بيار روفايل

طريق الدموع

دار الجيل
بيروت

طريق الدموع

الطرقات التي يسلكها الانسان على هذه الارض الفانية عديدة، ذات الوان واشكال وانواع. منها الطريق الطويل، ومنها الطريق القصير. منها الطريق السهل المعبَّد، ومنها الوَعِرِ المليء بالاشواك والصخور. منها طريق الفرح والسعادة والهناء، ومنها طريق الدموع ...

ولعلَّ هذا الطريق، طريق الدموع، هو الاطول والاصعب والاشقى.

وهذه القصة هي قصة طريق الدموع الذي يسير فيه المحبّون المغرمون، الهائمون في رحاب الشوق والهوى والحنين. وهي قصة الضالين التائهين في مجاهل الظلام المدلهم السواد.

طريق الدموع

بيار روفايل

طريق الدموع

دار الجيل
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الرابعة
١٩٩٢

١

نجيبة الترك تقيم على حسرة وأسى ودموع ، لقد مات زوجها منذ شهور قليلة ، تاركاً لها في هـــذه الحياة الفقر والعوز .. ومع الفقر والعوز ترك لهـا المرحوم ابنتين : سلمى وهي في العشرين من العمر ، ونجلاء وهي لم تتجاوز السابعة عشر .. ولم يترك حبيب الترك لأرملته ولابنتيه شيئاً من حطام هذه الدنيا ..

لا مال ، ولا أرض ، ولا عقار ..

وضاقت الدنيا في عيني الأرملة الحزين .. وأقامت في منزلها الصغير في طرابلس ، في لبنان ، تبكي حظها التعس وطالعها البائس المنكود .. واحتارت نجيبة في أمرها ، وهي لا تعلم إلى من تلجأ ، ولا بمن تستعين بعد أن رحل زوجها عن هذا العالم الفاني ..

وجلست في غرفتها الباردة الكئيبة تفكر وتستغرق في التفكير ، علها تستطيع أن تصل إلى حل يدفع عنهـا وعن سلمى ونجلاء الحبيبتين شبح الفقر والفاقة ، وطال تفكير نجيبة دون أن تصل إلى الحل المنشود ، وكادت الأرملة البائسة تيأس

من الوصول إلى الحل، إلا أن خاطراً سريعاً مخر عباب رأسها..

هناك شقيق زوجها السيد عبد الله الترك ، الذي هاجر من لبنان ، إلى الولايات المتحدة الأميركية منذ ثلاثين سنة ، وهو على غنى كبير ، وكان يعطف من حين إلى آخر على أخيه ، فيرسل له مبالغ من المال ..

ولكن عبد الله انقطع عن مراسلة أخيه ، وعن إرسال المال إليه منذ زهاء عشر سنوات ، دون أن يعلم أحد سبب هذا الانقطاع ..

نجيبة ستكتب رسالة مسهبة إلى شقيق زوجها ، تطلعه فيها على وفاة أخيه ، وعلى الحالة البائسة التي وصلت إليها مع ابنتيها بعد وفاة الزوج الحبيب ..

وارتاحت نجيبة بعض الارتياح ، وقد وصلت بتفكيرها إلى هذا الحد ..

من يدري قد يعطف عبد الله عليها وعلى ابنتيها ويجود عليهن بالمال وينقذهن من الفاقة التي بدأت تطل عليهن بوجهها الأسود المخيف ..

ونادت نجيبة الترك إليها ابنتها الكبرى : سلمى ! تعالي يا سلمى تعالي يا حبيبتي ..

وجاءت سلمى تخطر بقدها المياس وبثوبها القاتم السواد لتقول : نعم يا ماما ، أمر ؟..

وتمتمت نجيبة : هاتي قلماً وورقة وتعالي ..

وحملت سلمى القلم والورقة وجاءت إلى أمها ..

وتمتمت نجيبة : إجلسي.. إجلسي هنا قربي .. عند هذه المنضدة يا حبيبتي ..

وجلست سلمى الحسناء، هناك، عند المنضدة قرب أمها..

فتمتمت الأم اكتبي يا سلمى ، اكتبي ..

وقبل أن تكتب سلمى التفتت إلى أمها تسألها: لمن تريدين أن أكتب يا ماما ؟

وهمست نجيبة : ستكتبين رسالة بلساني إلى عمك الموجود في المهجر القاصي البعيد يا حبيبتي ، عمك هو آخر أمل لنا يا حبيبتي .. ومن يدري ، قد يسطع هذا الأمل لينير ظلام بؤسنا وشقائنا .. اكتبي .. اكتبي يا ابنتي اكتبي :

أخي العزيز عبد الله ..

وبدأت سلمى تكتب ما تملي أمها عليها :«أخي العزيز عبد الله ! أشواقنا القلبية إليكم ، وقبلاتنا الحارة إلى جميع أفراد الأسرة المحترمة .. يؤلمنا أن نكتب إليكم في مثل هذه المناسبة الأليمة فنعلن لحضرتكم وفاة أخيكم حبيب .. توفاه الله إثر نوبة قلبية شديدة الوطء ، لم يستطع ذلك القلب الكبير احتمالها. ورحل عن هذا العالم مخلفاً لنا الحزن والأسى والدموع والفقر والعوز .. وها أنا الآن مع ابنتيّ أعيش عيش بؤس وفاقة بعد أن رحل حبيبنا عن هذا العالم الفاني ..

ليس لنا من معين ، ولا من مساعد ولا من رحيم .. لم يعد لنا في هذه الحياة إلا عطفكم وحنانكم، لا حرمنا الله منكم وليمنّ الله علينا بمرآكم في العاجل الوشيك ..

نقدم لكم تعازينا الحارة على هـذه الخسارة الجسيمة ، ونطلب إليه تعالى أن يكون هذا المصاب ، المصاب الأخير على قلوبنا وعلى قلبكم الطاهر النبيل ..

سلامي العاطر وقبلاتي الحارة إلى جميع أفراد الأسرة ..

إبنتاي سلمى ونجلا تشتركان معي في هذه الرسالةوتهديانكم قبلاتهما وأشواقهما ودمتم لأرملة أخيكم الحزين نجيبة ..»

والتفتت نجيبة إلى ابنتها سلمى لتقول: أعيديعلى مسامعي تلاوة الرسالة يا ابنتي ..

فأعادت سلمى على مسامع أمها تلاوة الرسالة ..

وهمست نجيبة «تعال ..» اكتبي العنوان على الغلاف ..

وكتبت سلمى العنوان ، وحملت نجيبة الرسالة وطارت إلى مكتب البريد تودعه تلك الرسالة والأمـــل الباسم الوارف الظلال يغمر حنايا قلبها وروحها ..

من المؤكد أن شقيق زوجها الراحل سيرد على رسالتهـا برسالة مفعمة بالتعزية وبالمحبة والعطف والحنان ، وسيطوي رسالته تلك على مبلغ رجيح من المال تستعين به على حالها ..

سيفرجها الله عليها بعد أن ضاقت بها الحال وعبست في وجهها الأيام ..

وأقامت أرملةحبيب الترك ترقب رد شقيق زوجها علىالرسالة بصبر فارغ وأمل نافد بعيد، وطال انتظارها دون جدوى ..

شقيق الزوج لم يرد على رسالتها .. لم يجد عليها بالمال ، ولا هو كلف نفسه عناء كتابة كلمة تعزية ..

وانقضت الأيام على سرعة واندفاع ، ونجيبـــة تقيم على انتظار ممض لاهب ..

وانقضى شهر والرد لم يصلها ، فقلقت وغضبت وعادت إلى ابنتها سلمى تطلب إليها أن تخط رسالة ثانية لعمها .

وخطت سلمى الرسالة الثانية .. وطارت نجيبة إلى مكتب البريد تودع الرسالة بالبريد المضمون ، فالبريد المضمون كفيل بأن يوصل رسالتها إلى شقيق زوجها ..

يبدو أن الرسالة السابقة التي أودعتها البريد العـادي لم تصل إلى يد عبد الله الترك ..

وعادت نجيبة إلى الانتظار .. عادت تنتظر رد عبد الله على رسالتها .. من المؤكد أن عبد الله سيستلم الرسالة وسيسرع إلى الرد عليها ..

وطال انتظار نجيبة .. طال الانتظار إلى أكثر من شهر ..

وأخيراً أطل ساعي البريد عليها ذات صباح ، حاملاً لها رسالة .. رسالة مرسلة لها من الولايات المتحدة الأميركية ..

فلمعت الفرحة في عيني نجيبة وهي تشاهد ساعي البريد .. وطفت الابتسامة على شفتيها – الحمد لله – لقـــد حنّ قلب عبد الله أخيراً ، من المؤكد أن شقيق زوجها ضمّن رسالته إليها مبلغاً من المال . ورحبت نجيبة بساعي البريد شديـــد الترحيب ، وأسرعت إلى محفظتها تخرج منها ورقة نقدية من فئة الليرة اللبنانية لتدفع بها إلى ساعي البريد : خذ يا أخي خذ .. سلمت يداك ..

وتناولت الرسالة المضمونة منه .. ودهشت وهي تكتشف أن تلك الرسالة لم تكن إلا رسالتها نفسها.. إنها الرسالة التي بعثت بها إلى عبد الله الترك منذ شهر.. هي الرسالة نفسها تعود إليها وقد كتبت عليها كلمات قليلة باللغة الانكليزية ..

ونادت نجيبة ابنتها سلمى إليها: تعالي يا سلمى، تعالي يا ابنتي.

وجاءت سلمى فدفعت نجيبة بالرسالة إليها قائلة: خذي.. الرسالة التي أرسلناها إلى عمك عادت إلينا، ما هي هذه الكلمات المخطوطة عليها يا سلمى ؟..

وقرأت سلمى الكلمات القليلة وترجمتها لأمها : صاحب هذه الرسالة توفي منذ عشر سنوات ..

ضربت نجيبة كفاً بكف : يا ضياع الأمل .. يا ضياع الليرة اللبنانية التي نفحت بها ساعي البريد ..

وجلست الأرملة الحزين على حيرة وقلق ووجوم .. لقد خبا ذلك الأمل الجميل الذي كان يداعب قلبها ..

شقيق زوجها مات منذ عشر سنوات، وهي لا تزال تنتظر النجدة والعون منه ؟ ماذا عليها أن تفعل الآن ؟ كيف ستخرج من هذه الأزمة الخانقة التي تحيط بها ؟ كيف : ليست تدري ..

وعادت نجيبة إلى التفكير تنغمس فيه، والألم يعصر قلبها والحزن يرهق روحها ويذيب فؤادها .. إلى من تلجأ ؟ بمن تستعين ؟.. من تراه يمد لها يد المعونة والنجدة والإنقاذ ؟ من ؟ ليست تدري ؟..

وطال تفكيرها دون أن تهتدي إلى حـــل .. وضاقت الدنيا على رحبها في وجهها ، وأحاط الظلام بها يقطع عليها سبيل النور ، وطريق الضياء.وأدمعت عيناها وهي تفكر بالمستقبل القريب القاتم السواد ..

عليها أن تنقد صاحب البيت أجرة بيته، وعليها أن تدفع لصاحب « الدكان » ثمن البضاعة التي اشترتها من دكانه ..

فاتورة الكهرباء لم تسددها .. وثمن الخبز لم تدفعه، وسلمى بحاجة إلى ثياب ، وقد أقبل فصل الشتاء ، ونجلا بحاجة إلى معطف وحذاء .. وهي ، هي أيضاً بحاجة إلى كساء وغذاء، إلا أنها تستطيع أن توفر ثمن كسائها وغذائها لتكسو وتطعم ابنتيها ، هي لا تبالي بنفسها .. ولكن هناك سلمى ونجلاء أتدعها تتقلبان في مجاهل البؤس والفاقة والعوز ؟..

لا .. لا .. عليها أن تعمل على دفع شبح الفاقة عنها ..

ومضت نجيبة في تفكيرها المؤلم الممض القاسي .. وبكت، بكت بدموع سخية حمراء .. وطال تفكيرها دون أن تهتدي إلى حل ..

وشاهدتها ابنتاها سلمى ونجلاء في بكائها ودموعها فوثبتا إليها على هلع وخوف تسألانها : ما بك يا ماما ؟ مـــا بك يا حبيبتنا ؟ لماذا تبكين ؟..

ومسحت نجيبة دموعها، وأطلقت ابتسامة واهية صفراء، حاولت بها إيهام ابنتيها أنها تتربع من السعادة في القمة العالية، إلا أن ابتسامتها جاءت تؤكد للابنتين عذاب الأم وشقائها ..

وتقدمت سلمى منها لتقول : لا تذرفي يا أمي هذه الدموع الثمينة ، لا تفكري بالمستقبل ، ولا تحملي من أعباء الحياة ما ينوء الرجال بحمله .. أنا هنا لأدفع عنك وعن أختي كل فاقة وكل بؤس وكل شقاء ..

فوجمت أرملة حبيب الترك ، ودهشت .. أتكون سلمى قد وقفت على حقيقتها ؟ أتكون ابنتها قد علمت سرها، وهي تريد ذلك السر مكتوماً حتى عن ابنتها؟ نجيبة الترك لا تريد أن تقف ابنتاها على سر حزنها وبكائها ..

أجل لا تريد أن تعلم سلمى ونجلاء أن أمهما تشكو الفقر وتحتاج إلى المال لإعالتهما .. هي تريد أن توهمهما أنها غنية .. وأن والدهما ترك لها ولهما ما يكفيهما طيلة العمر .. لا تريد نجيبة أن تغمر قلبي ابنتيها النديين بالألم والهم والشجن ..

لا .. هي ستتألم وحدها ، وستتعذب وتشقى وتبكي وحدها ..

واستأنفت سلمى الكلام بعد صمت قصير لتقول: أنا سأعمل يا أمي ، سأشتغل ، سأكد وأتعب وأكسب خبزي وخبزكما بعرق الجبين ..

فازدادت الأرملة البائسة دهشة ووجوماً ، والتفتت إلى ابنتها لتقول : لا يا سلمى .. لا يا حبيبتي ، نحن لسنا بحاجة إلي المال وقد ترك لنا والدك الكثير من المال ، إلا أنني أبكي والدك المرحوم يا سلمى ، انني أبكيه وأبكي تلك الأيام الجميلة التي كان فيها قربنا ، يحنُّ إلينا ، ويعطف علينا ، ويغمرنا

بكل ما في قلبه الطاهر النبيل من الحب والعطف والحنان ..

فأمسكت سلمى بيد أمها الباردة لتقول : لا تحاولي إخفاء الحقيقة عني يا أمي .. لقد وقفت على كل شيء ، وأنا التي خطت الرسالة إلى عمنا .. لقد أوضحت في الرسالة لعمي كل شيء ، وأطلعته على كل شيء .. لم يعد ثمة مجال للافكار بعد أن وقفت على الحقيقة المؤلمة يا ماما ..

وعضت نجيبة شفتها السفلى ، وغمزت سلمى بعينها مشيرة إلى ابنتها الثانية نجلاء ، وكأنها تقول لسلمى : اخفضي صوتك لئلا تسمع أختك حديثنا ، إن تكوني قد وقفت على الحقيقة ، فلا يجوز أن تحملي هذه الحقيقة إلى أختك ، وتحملي إلى قلبها الندي العذاب ، وإلى عينيها النجلاوين الدموع ..

وصمتت سلمى ، وقد أدركت ما ترمي إليه «غمزة» أمها ..

ونهضت الأم لتخرج من الغرفة ، ونهضت سلمى ولحقت بها .. ودخلت الأم إلى غرفتها .. وكانت الابنة في أثرها ..

وهناك ، في غرفة الأم جلست الاثنتان .. الأم والابنة تتهامسان وتتحدثان ..

قالت الابنة : لماذا تحاولين إخفاء الحقيقة عني .. ألست ابنتك التي تحبينها وتبوحين لها بكل أسرارك ؟..

عادت الدموع تغمر عيني الأم لتتدحرج غزيرة على وجنتيها ..

وهمست من خلال دموعها : سلمى ! لماذا تحاولين أن تقفي على الحقيقة ، والحقيقة مرعبة هائلة يا ابنتي ؟ لماذا تريدين أن تحملي العبء الثقيل معي وأنا مجبرة على حمله وحدي ؟..

وهمست سلمى : لا يا أمي ، لا ، أنا لن أدعك تحملين العبء وحدك ، قلت لك وأعيد القول ، أنا على استعداد للعمل .. إن المرحوم والدي أنفق الكثير في سبيل تثقيفي وتثقيف أختي ، فكأنه كان يعلم أن الثقافة والعلم سيكونان رأسمالنا في مجابهة أحداث الحياة ..

وتمتمت الأم بحزم وعناد : لا .. لن تعملي .. مقامك هنا في الدار ، وليس لك أن تخرجي عن مقامك ..

وأصرّت الابنة على أن تعمل وتجاهد لإنقاذ أمها وأختها من البؤس والفقر والشقاء ..

وأصرّت الأم على موقفها لا تخرج ولا تحيد عنه ..

ولم تأبه سلمى لرأي أمها ، بل هي اندفعت للبحث عن عمل تستطيع بواسطته أن تؤمن العيش للأسرة الصغيرة البائسة ..

وسدّت الأبواب ، كل الأبواب في وجهها .. فلم تستطع أن تقع على العمل المنشود .. وكادت سلمى تيأس من الوقوع على عمل ، كادت تمل البحث والتفتيش ، إلا أن الله لم يرد لهـا الخيبة والفشل فأنار أمامها السبيل للوصول إلى ما تصبو إليه..

والنور ذاك أضاءته أمامها يد أمها .. فقد لجأت الأم إلى أحد الأثرياء الوجهاء طالبة منه المعونة ، والوجيه ذاك كان من أصدقاء زوجها ، فحزن للحالة المؤسفة التي وصلت إليها الأرملة البائسة !

والتفت إليها ليقول : إن حالتك أدمت فؤادي .. وأنا على استعداد لأن أمد لك يد المساعدة لا سيما وزوجك الراحل

كان من أصدقائي المخلصين ..

وتمتمت أرملة حبيب الترك بذل وانكسار: شكراً لك يا سيدي .. جميلك هذا سيظل في عنقي حتى أرحل عن هذه الفانية ..

قال الوجيه الثري: أنا أحد أصحاب شركة كبرى في بيروت! سأمدك ببطاقة توصية لمدير الشركة .. تحمل ابنتك الكبرى البطاقة وتطير بها إلى بيروت وتقدمها للمدير.. وهي لن تخرج من مكتب الشركة إلا وقد أسند إليهـــا منصب مرموق.

ووجمت نجيبة الـــترك .. وهمست بعد صمت قصير: لا يا سيدي لا .. أنا لن أسمح لابنتي بالعمل !!

وهمس الوجيه الثري؟ لكن واقعيين يا نجيبة .. أنت لن تستطيعي القيام بأعباء الحياة إذا لم تمد ابنتك لك يـــد المساعدة .. قد تقعين على من يمدك بمئة ليرة، وبمئتين وبثلاثمئة، ولكنك لن تقعي على من يخصك بمرتب شهري، ليس أمامك إلا هذا الحل الوحيد للخروج من هذه الحال القاتمة السواد ..

قالت نجيبة: ولكن هل أدفع بابنتي إلى مهاوي الظلام لأسد رمقي ..

فضحك الثري الوجيه. وتمتم: من قال لك أن ابنتك ستندفع في مهاوي الظلام؟ الفتيات اليوم يجارين الشبان في طريق العمل والجهاد، كلهن يشتغلن، كلهن يمددن لأهلهن يـــد المعونة .. ليس هناك فتاة مثقفة تقبع في دارها اليوم، والعهد

عهد حرية ، والزمن زمن انطلاق ..

وصمتت الأرملة الحزين ..

وتناول الثري الوجيه بطاقة من محفظته ليخط عليها كلمات قليلة : « الرجاء من مدير شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية أن يسند إلى الآنسة سلمى حبيب الترك المنصب الشاغر في الشركة » ..ووضع البطاقة في غلاف خط عليه :

« حضرة مدير شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية المحترم

بيروت — شارع اللنبي »

ودفع به إلى الأرملة البائسة متمتماً : أتمنى لكنَّ السعادة والتوفيق يا اختي نجيبة ..

وتناولت نجيبة البطاقة .. وهمست : شكراً يا سيدي ..

وخرجت نجيبه من دار الوجيه الثري لا تلوي على شيء .. وقد عزمت على أن تهمل تلك البطاقة .. لا .. لن تسلم البطاقة لسلمى ، لن تسمح لابنتها بالعمل ، لا سيما إذا كان مركز هذا العمل بيروت . . أتدفع بابنتها إلى بيروت لتعمل وتشقى وحدها ، وتظل هي بعيدة عنها في طرابلس؟ . .

لا .. لا .. وألف لا .. وهمّت بتمزيق البطاقة ، إلا انها تراجعت عما عزمت عليه ، لن تمزق البطاقة ، من يدري؟ قد تحتاج يوماً إلى هذه البطاقة ..

وسارت إلى دارها واليأس يعصر قلبها والألم النفسي يعصف بها ويكاد يعمي بصرها.. ووصلت إلى الدار ..وألقت بالبطاقة على المنضدة ، ودخلت إلى غرفتها لتستلقي على

سريرها وتستغرق في نوم عميق ..

وعندما استفاقت كانت الشمس قد بدات تحتل كبد السماء وكان النهار قد انتصف .. وخرجت من الغرفة فإذا بها امام ابنتها نجلاء جالسة على المقعد الرجراج تطالع كتاباً .. وسألتها : اين اختك سلمى ؟

فقلبت نجلاء شفتيها وهمست : لست أدري يا ماما ..

وأعدت نجيبة الطعام .. وجلست تنتظر حضور سلمى ، إلا أن انتظارها طال وسلمى لم تعد ..

ودقت الساعة الثانية بعد الظهر وسلمى لم تطل .. ومالت الساعة إلى الثالثة وسلمى لم يبن لها أثر ، وبدأ القلق يستحوذ على نجيبة الترك وقد طال غياب سلمى عن الدار.

لم يكن من عادة سلمى أن تخرج من الدار دون أن تستأذن أمها بالخروج ، فما بالها اليوم تخرج عن عادتها فتنأى عن الدار دون أن تستأذن ، ودون أن تكلف نفسها عناء إلقاء كلمة واحدة قبل أن تخرج ؟..

وأبت نجيبة أن تذوق طعاماقبل أن تعود سلمى.. ولكن سلمى لم تعد فاشتد القلق بأرملة حبيب الترك ، وعضها الجوع بنابه ، إلا أنها لم تأبه للجوع ، وهناك القلق الشديد يعذبها ويعصف بفؤادها .

وبدأت الشمس تميل الى المغيب ، وسلمى لم تعد إلى الدار ، فانقلب القلق في قلب نجيبة إلى ذعر .. واشتد الذعر بها وقد غمر الظلام أنحاء طرابلس الفيحاء ..

وخرجت الأم إلى الشرفة رافعة نظرها إلى السماء مبتهلة إلى الله تعالى ، طالبة إليه أن يعيد إبنتها سلمى إليها معافية بعيدة عن كل خطر وعن كل شر ..

وإذا بالباب يطرق .. وهبت نجلاء تفتح الباب ولحقت بها أمها إلى الباب .. وإذا بهما أمام سلمى وجهاً لوجه ..

وترقرقت دموع الفرح في عيني الأم ، وقد شاهدت سلمى الحبيبة ..

ووثبت نجيبة إلى إبنتها تعاتبها : أين كنت يا ماما ؟ لماذا تأخرت في العودة إلى الدار ؟ لقد أقلقت خاطري عليك يا حبيبتي ..

وشعت على شفتي سلمى ابتسامة .. ووثبت إلى أمها تعانقها ، وإلى أختها نجلاء تقبلها وتتمتم : باركا لي .. باركا.. هنئاني بالوظيفة الجديدة .. انا منذ اليوم موظفة محترمة .. موظفة كبيرة صاحبة منصب مرموق ، مرتبي الشهري ثلاثمئة ليرة لبنانية ..

ووجمت الأم .. ودهشت الأخت ، ماذا تقول سلمى ؟ أتراها تهزأ ؟ أم أنها في حلم ؟..

وتقدمت نجيبة من إبنتها تتفرس بها متمتمة : ما بك ؟ ماذا تقولين ؟ ماذا تقولين يا سلمى ؟..

ودخلت سلمى إلى بهو الدار لتجلس على المقعد الرجراج.. وجلست أمها عن يمينها ، وجلست أختها عن يسارها ..

وتمتمت سلمى : انا قادمة الآن من بيروت .. حملته

البطاقـة التي وجدتها هنا على المنضدة يا أمي ، وشخصت إلى بيروت ..

ذهبت إلى شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية في شارع النبي ، فقابلت المدير وسلمته بطاقة التوصية ..

ورحب المدير بي وقال لي : أنتِ منذ اليوم موظفة في هذه الشركة، ستقومين بمهمة أمانة السر ، مرتبك الشهري سيكون الآن بصورة مؤقتة ثلاثمئة ليرة لبنانية شهرياً ..

لم أصدق ما تسمع أذناي أول الأمر .. لقد خيل إليّ أنني في حلم رائع جميل ..

وعاد المدير إلى الكلام ليقول : إن حظك عظيم يا ابنتي.. هذا المنصب تحوم حوله عشرات الفتيات ، إلا أن التوصية التي تحملينها من أحد أصحاب الشركة تهيب بي إلى تقديمك عليهن.. إذهبي الآن ، شرط أن تكوني هنا في تمام الساعة الثامنة من صباح غد ..

وترقرقت الدموع في عيني.. ووقفت أصافح المدير شاكرة له جميله .. وخرجت من الشركة لأستقل سيارة الأوتوبيس وأعود تواً إلى طرابلس .

ووجمت نجيبة الترك ، وصمتت.ولم تعلم ماذا عليها أن تفعل ، هل تفرح أم تحزن ؟ هل تلوم ابنتها على ما فعلت أم ترحب بها ؟ ليست تدري .. ليست تدري ..

وتكلمت نجلاء لتقول : ولكن كيف ستتصرفين يا أختي الآن ، ومركز عملك في بيروت ، ودارنا هنا في طرابلس ؟

وأين ستنامين في بيروت ؟

وتمتمت سلمى وهي تنظر إلى أمها : أنا سأعود بعد ظهر كل يوم إلى طرابلس .. العمل ينتهي في الشركة كما علمت في الساعة الثانية . وفي الساعة الرابعة أو في الساعة الثالثة والنصف أكون هنا في طرابلس، أذهب إلى بيروت في الساعة السادسة من الصباح وأعود في الساعة الرابعة من بعد الظهر .. هذا لمدة شهر ، شهر واحد فقط ريثما أتناول مرتبي واستأجر داراً لنا في بيروت ، فننتقل من طرابلس إلى العاصمة اللبنانية الهوجاء ..

نطربت نجلاء .. وصفقت طرباً .. منذ أمد بعيد وهي تحلم في أن تكون من بنات بيروت .. منذ أمد بعيد وهي تعلل النفس في الانتقال من طرابلس إلى بيروت، كانت نجلاء تحلم في أن تقيم يوماً في بيروت ، ويبدو أن الحلم الرائع الجميل بدأ يسير في طريق التحقيق .. يا لفرحتها الباسمة ، ويالهنائها الفاتن الجميل ..

ولم تنبس نجيبة بحرف .. بل هي مضت في تفكيرها العميق السحيق ، البعيد القرار ..

٢

تحققت آمـــال نجلاء الترك ، كما تحققت أمنية أختها سلمى .. فقـد انتقلت الأسرة الصغيرة من محلة الميناء في طرابلس إلى محلة المزرعة في بيروت ...

وهناك.. في منزل صغير في محلة المزرعة في بيروت،، حلت أسرة المرحوم حبيب الترك ... وبدأت نجيبة، الأم، تتذوق طعم الراحة والاطمئنان وابنتها سلمى تجود عليها بكل مرتبها..

في آخر كل شهر تحمل سلمى إلى أمها ثلاثمئة ليرة لبنانية فتضعها بين يديهـا متمتمة : خذي يا ماما هذا هو مرتبي .. ادفعي اجرة المنزل وابتاعي لنا ما نحتاج إليه ..

وتتناول نجيبة المئات الثلاث ، وترفع نظرها إلى السماء قائلة : فليوفقكِ الله يا إبنتي يا سلمى ، وليمهد أمامكِ السبيل إلى السعادة وليرد عنكِ أولاد الحرام ..

وبـدأت الأسرة الصغـيرة تتعرف إلى السعادة ، وبـــدأ

الاطمئنـــان يخيم على تلك الدار الصغيرة ليلف الأم وإبنتيهـا بوشاحه الفضفاض الجميل ..

ومضت سلمى في عملها بهمة وجهد ونشاط .. ونالت حظوة لدى المسؤولين في الشركه ، فهي موظفة أمينة مخلصة مجتهدة وفيّة . وسارت في طريـق الترقية بخطوات سريعة عاجلة ، الكل فيالشركة يحترمها ويكرمها ويحفظ لها في قلبه الإعجاب والتقدير والإحترام ..

وزيد مرتبها فبلغ أربعمئـة ليرة لبنانية، كانت سلمى تجود بها كلها على أمها ، والأم تنفق عليها وعلى أختها ، وعهد مدير الشركة إليها بأمانة الصندوق .. فالأمانة التي ترتع بها الفتاة، والإخلاص والوفاء والتضحية أهابت بالمدير إلى تقدير الفتاةوإلى تسليمها أموال الشركة ، كل أموال الشركة بين يدي سلمى الترك ..

وبرهنت سلمى عن جدارة واستحقاق ، فكانت تحافظ على الأمانة محافظة شديدة .. ولم تكن سلمى لتغفل وظيفتها ، ولا لتهمل أمر المال المتدفق بين يديها ..

كانت تسهر على عملها وتحافظ على المهمة الشاقة الملقاة على عاتقها.. واحتلت سلمى في شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية المقام المرموق الرفيع، ونعمت بالمنصب الرفيع، وابتسمت لها الأيام بعد طويل العبوس ..

ولم تكن سلمى لتلتفت إلى أحد من زملائها الموظفين. . لا ، فهي لعملها، وليس لها أن تفكر سوى بذلك العمل. . إلا أن

الموظفين كانوا يطمعون في الإستيلاء على قلب أمينة الصندوق، كان الكثير منهم يحاول التودد إليهـا توصلاً إلى احتلال ذلك القلب الطاهر النبيل، إلا أنهم لم يكونوا ليوفقوا في مسعاهم.. وسلمى الحسناء أوصدت قلبها أمام جميع الطارقين ..

وتراجع الجميع، وقد لمسوا في الفتاة الحسناء الأنفة والكرامة والشرف والنبل والإعتداد ، لم تكن سلمى لتبتسم في الوجوه الباسمة، ولا لتبادل المازحين مزاحهم، لم تكن لتساير أحداً ولا لتهتم بأحد ، ولا لتتنازل وتقبل دعوة أحد ..

وتراجع الجميع، وقد يئس الجميع من إيقاع سلمى في الشرك.. الجميع، إلا ذلك الشاب النحيل، القصير القامة التائه النظرات، الجالس هنـاك في زاوية من زوايا مكاتب الشركة وراء طاولة صغيرة ، يعمل بصمت ويرمق الفتاة الحسناء من خلال نظارتيه بنظرات تائهة حيرى ملتهبة النفثات ..

وعزم ذاك الشاب القصير النحيل على أن يوقع الغزال الشرود في الشرك، هو لن يتراجع عما عزم عليه.. شفيق وهي لم ينهدحر أمام فتاة حتى الآن .. ما أن يلقي الشرك في طريق الفتاة ، حتى تقع الفتاة في الشرك ، لم يسبق لشفيق أن عرف الفشل يوماً في مشاريعه الغرامية ، لم يسبق له أن تراجع أمام فتاة..

أتراه يفشل الآن في مشروعه الغرامي الجديد ؟.

أتراه يتراجع أمام سلمى الترك ؟ لا .. وألف لا ..

وبدأ شفيق وهي يتقرب من سلمى .. بدأ يظهر أمامها بمظهر الحمل الوديع.. فهو لم يتودد إليها كما فعل ويفعل زملاؤه

الموظفون، لم يدعها إلى تناول الطعام معه كما فعل ويفعل الزملاء، لم يمازحها، لم يسايرها، لم يتحدث إليها بسوى أحاديث العمل..

واطمأنت سلمى وركنت إليه، وقد خيّل إليها أنه شاب شهم نبيل، وآمنت بنصاعة جبينه وبنقاوة نواياه السليمة.. وبدأت تحترمه وتقدره، والحب ما كان يوماً ليبدأ إلا في طريق الإحترام والتقدير..

وذات يوم من أيام كانون البارد الزاخر بالأمطار والسيول، خرجت سلمى من مكتب الشركة في شارع اللنبي في بيروت لتعود إلى دارها. وكانت الأمطار تهطل بغزارة، والسيول تغمر الشوارع، والعواصف تهب عاتية هوجـــاء، ولم يكن باستطاعة سلمى أن تصل إلى محطة القطار الكهربائي لتستقله إلى منزلها كعادتها فوقفت أمام باب مبنى الشركة بانتظار انحباس المطر، وانقطاع السيول..

وإذا بشفيق وهي يخرج من مكاتب الشركة ليقف قربها ويهمس في اذنها: يا له من يوم ممطر غضوب.. كيف ستصلين إلى دارك أيتها الآنسة سلمى ؟

وتمتمت سلمى: سأنتظر انحباس الأمطار وانقطاع السيول، فأشخص إلى محطة القطار الكهربائي القريبة، وأستقل القطار إلى المنزل..

وبكل تهذيب وأدب ووقار همس شفيق: هل تسمح لي الآنسة سلمى بأن أنقلها في سيارتي الخاصة إلى دارها ؟.

وترددت سلمى قليلاً قبل أن توافـق على اقتراح زميلها

الكريم .. وأسرع شفيق إلى سيارته الصغيرة القديمة الصنع يستقلها ويقودهـــا إلى أمام مبنى الشركة تحت وابل المطر الغزير .. وفتح الباب أمام سلمى ، فوثبت إلى السيارة تحشر نفسها فيها بكل جهد وعناء .. فالسيارة صغيرة ، لا تكاد تتسع إلى إنسان يجلس قرب السائق ..

وأدار شفيق محرك السيارة القديمة الصنع ، فسارت تتهادى وتعربد وتزأر وتئن وتحشرج لتنطلق بكل عنـــاء ، تاركة وراءها دخاناً كثيفاً في طريقها إلى محلة المزرعة.

ولم ينبس شفيق بحرف طيلة الطريق.. وازدادت سلمى إيماناً وثقة بزميلها الكريم .. وأوصلها شفيق إلى محلة المزرعـــة ، وتمتم : أين تقع داركم أيتها الآنسة سلمى ؟

وأرشدته سلمى إلى الدار : إنها هنـاك .. هنـاك في آخر الشارع عند المنعطف الضيق ، قرب الشجرة الخضراء ..

وسار شفيق بالسيارة ، إلى هناك ، إلى آخر الشارع عند المنعطف الضيق ، قرب الشجرة الخضراء ..

وتمتمت سلمى : هنا .. هنا أيها السيد شفيق.. هنا دارنا..

وأوقف شفيق السيارة العجوز أمام تلك الدار ..وقبل أن تترجل سلمى من السيارة التفتت إلى زميلها الكريم لتقول:هل تتفضل وتتناول فنجان قهوة عندنا ؟.

واعتذر شفيق، وقال بكل تهذيب ورصانة ووقار : لا ، شكراً أيتها الآنسة سلمى ، أنا مضطر للعودة تواً إلى دارنـا لئلا يقلق خاطر « الماما» عليّ ..

وترجلت سلمى من السيارة شاكرة لزميلها مروءته وشهامته ونبله ، وودّعته ودخلت إلى الدار..

وفي اليوم التالي ، قبل أن تخرج سلمى من مكتب الشركة تقدم منها شفيق وهي ، بكلى رصانة وتهذيب – الرصانة والتهذيب قبل كل شيء – ليسألها : هل تريدين أن انقلك بسيارتي إلى داركم أيتها الآنسة سلمى ؟.

وقالت سلمى : لا ، شكراً أيها السيد شفيق .. سأعود إلى دارنا كعادتي في القطار الكهربائي .

ومضى شفيق في سبيله وكأنه لا يأبه لأمينة الصندوق الحسناء ..

وخرجت سلمى بعد قليل لتتجه توا إلى محطة القطار الكهربائي وتصعد إلى القطار ، كعادتها ، وتعود إلى الدار..

ومضت الأيام القليلة ، مضت عشرة أيام دون أن يعرض شفيق على الآنسه سلمى خدماته ... وبعد عشرة أيام ، فيما كانت سلمى تخرج من مكتب الشركة فوجئت بسيارة شفيق تقف قربها ، وبرأس شفيق يطل من السيارة ليقول لها بكل تهذيب ووقار: تفضلي أيتها الآنسة سلمى لأوصلك إلى داركم..

وحاولت سلمى الاعتذار ، إلا أن شفيقاً أصرّ قائلا: أنا في طريقي إلى المزرعه أيتها الآنسة سلمى ، لن أقصد تلك المحلة من أجلكِ .. تفضلي ، اصعدي إلى السيارة ..

وجلست قرب شفيق لتسير السيارة العجوز بهما، على بركات الله الى محلة المزرعة ..

ولم يعتصم شفيق ، هذه المرة ، بالصمت الطويـل ، مثله في المرة السابقة ، بـــل هو راح يساير سلمى ويحدثها بعض الاحاديث .. أحاديث تدور حول العمل في الشركة ، وحول العلم والثقافة والأزياء .. ووصلت السيارة القديمة العهد بهما إلى أمام دار سلمى ، ودعت سلمى زميلها في العمل الى تنـاول فنجان قهوة في دارها العامرة ، إلا أن شفيقاً أعتذر عن قبول الدعوة ، وسار بسيارته مودعاً سلمى بابتسامة بيضاء تطفـح بالسعادة والغبطة والهناء ..

فدخلت سلمى إلى الدار وهي تفكر للمرة الأولى في حياتها ، بهذا الشاب الشهم النبيل ..

وفي اليوم التالي ، قبل انتهاء دوام العمل في الشركة بقليل ، تقدم شفيق من سلمى ليهمس في أذنها : أنـا في طريقي الآن إلى محلة المزرعة ، هل تسمحين لي أن أوصلك إلى الدار ؟.

وحاولت سلمى الاعتذار ، إلا أن شفيقاً اصرّ ، فلم يكن لها إلا أن تنزل عند إصراره ، وأوصلها إلى دارها ..

ومنذ ذلك اليوم بدأ شفيق وهبي يوصـل سلمى الترك إلى دارها بعد الانتهاء من العمل .. وكان من الطبيعي ان تتوطد الصداقة بين سلمى وزميلها الكريم ..

ولم يعد شفيق يدعو سلمى إلى الصعود لسيارته ، ولم يعـد يصر عليها بالدعوة ، بل اصبحت سلمى تصعد إلى سيارة شفيق الهرمة ، بعد ان تنتهي من عملها بدون دعوة ودون إصرار..

وبدات الصداقة تتحول في القلبين النديين ، في قلب سلمى

وفي قلب شفيق ، إلى مودة عميقة المدى رحبة الحنايا ..

ووثقت سلمى بصديقها وزميلها شفيق ، وركنت إليه كل الركون ، واخذت سلمى الحسناء تفضي إلى الزميل بخفاياها وبأسرارها الخاصة ، وراحت تستشيره في كل ما تنوي الإقدام عليه ، وشفيق ، حرس الله عينه ، لم يكن ليضن على زميلته الجميلة بآرائه الصائبة وبمشورته العصماء ..

ورويداً رويداً بـــدات المودة تتحوّل في القلبين ، او بالأحرى هي بدأت تتحول في قلب واحد ، في قلب سلمى إلى حب ، بدات سلمى تميل إلى شفيق ، بعد تلك المودة الطويلة ، لقد عرف اللعين كيف يلقي الشرك في الطريق ، فكبت سلمى التزك ووقعت في الشرك ..

واحبت سلمى شفيقاً ، احبته بكل ما يحب قلب العذراء ويهوى .. وحب شفيق هو حبها العذري الأول ..

لم يكن قلب سلمى قد تعرّف إلى الحب ، ولا هو احترق بنار الهوى والغرام ..

وأقامت سلمى ترقب من شفيق أن يبوح لها بحبه ، شفيق يحبها ، الحب يطل مع النظرات من عينيه ، ومع الكلمات من بين شفتيه ، وهو يحبها كما تحبه ، من المؤكـد أن لهيب الحب يندلع في قلب شفيق .. ولم يطل انتظار سلمى ، لا ، لم يطل انتظارها ، فقد أدرك شفيق أن الثمرة باتت ناضجة كل النضج ، وأن موعد القطاف قد حان ..

وذات يوم ، من أيام شهر نوار العابق بالأريج والعبير ، فيما

شفيق يقود السيارة العجوز وسلمى قربــه في طريقهما الى محلة المزرعة،التفت شفيق الى سلمى فجأة،وهو يقود السيارة ليقول: اتتناولين طعام الغداء معي يا سلمى ؟.

وفوجئت سلمى بالسؤال !. وصمتت لا تدرى بماذا تجيب، هل تجيب بنعم أم ترد بلا؟. وقبل أن يستمع شفيق إلى جوابها أدار مقود السيارة واتجه بها الى محلة الروشة ..

ولم تبد سلمى أي اعتراض، بل تركت لحبيبها شفيق تقرير المصير .. وأوقف شفيق السيارة الصغيرة العجوز أمام مطعم فخم في محلة الروشة.. والتفت الى سلمى ليقول: هنا ستتناول طعام الغداء ، تعالي ..

وترجل من السيارة، وترجلت وراءه سلمى.. وصعدا معاً السلالم القليلة الى المطعم الفخم الأنيق المطل على أمواج البحر الصاخبة الزرقاء .. وجلسا دون أن ينبسا بحرف .. وأقبل الخادم ينحني أمامهما متمتماً : أمر ؟

والتفت شفيق الى سلماه هامساً : ماذا تأكلين ؟

وتمتمت سلمى : كما تريد يا شفيق ..

وقال شفيق للخادم : هات سمكاً وفراريج ..

وعاد الخادم الى الانحناء ، وغاب دقائق قليلة حــاملاً لهما الطعام ..

وجلس الحبيبان يأكلان ويتحدثان .. وانتهيا من تنــــاول الطعام .. وجاءهما الخادم بالقهوة ..

وتناول شفيق لفافة دفع بها الى سلمى ..

قالت سلمى : أنا لا أدخن يا شفيق ..

قال : دخني لفافة إكراماً لي ..

وتناولت سلمى اللفافة تلقي بها بين شفتيها ..

وألقى شفيق بلفافة بين شفتيه وأشعل اللفافتين .. ورشف شفيق قهوته ونفث دخان لفافته في الفضاء. ونظر الى الأمواج الهادئة الزرقاء ليقول : سلمى!.. أنا ما جئت بك الى هنا إلا لأصارحك بما يخالج قلبي ..

وبدأت نبضات قلب سلمى ترتفع .. وبدأ الخجل يصبغ وجنتيها النديتين. وراحت تدخن بعجل محاولة أن تبدد بدخان اللفافة قلقها واضطرابها ..

وأكمل شفيق كلامه فقال: أجل يا سلمى.. أجل يا حبيبتي.. وعادت نبضات قلب سلمى إلى الارتفاع وهي تسمع كلمة « حبيبتي » تنطق بها شفتا شفيق .. كانت المرة الأولى التي تسمع بها سلمى هذه الكلمة العذبة الشجية السمحاء ..

وتمم شفيق مكملاً حديثه : أنا أحبك يا سلمى، احبكِ واتفانى في حبك ، احبكِ حباً هائلاً عاصفاً لاهباً ..

لم يخفق قلبي يوماً بمثل هذا الحب العنيف يا سلمى، لا اعلم ماذا فعلتِ بقلبي يا حبيبتي ، لا اعلم ماذا فعلت بشفيق ..

لقد كنت دائماً المتمرد على الحب ، الهازيء بالعاشقين المتيمين الباكين ، إلى ان نكبني الله بهذاء الداء الوبيل ، بداء الحب الخطير ، وها انا اعيش الآن في نار هذا الداء ..

إنني لأقضي الليالي ساهراً افكر بحبيبتي ، افكر بكِ

يا سلمى ، واناجي طيفك الجميل الجاثم ابداً فوق وسادتي ..

اقول في نفسي: ترى هل تحبني سلمى كما احبها؟. هل تفكر بي كما افكر بها ؟. هل تحن إليّ كما احنّ إليها ؟

وتتراقص في راسي عشرات الأسئلةَ دون ان استطيع الجواب على اسئلتي هذه .. انتِ وحدك تستطيعين ان تجيبي على هذه الأسئلة يا سلمي ..

انت وحدك تستطيعين ان تريحي قلب شفيق، وان تخمدي النار اللاهبة المتقدة السعير التي تلتهم حنايا هذا القلب الموجع الحزين .

قولي لي يا سلمى ، قولي يا حبيبتي ، هل تحبينني ؟ هل تبادلني العاطفة العاصفة العاتية الهوجاء ؟. هل تفكرين بي ؟ هل تحنين اليّ ؟.

وكان بارعاً في الحديث، كان رائعاً في شرح هواه، فأشجاها حديثه وطربت له.. إلا انها لم تستطع ان تجيب على اسئلته..

كان القلق يستبدّ بها ، والخجل يسحق قلبها.. وارتجفت اللفافة في يدها وسقطت من بين اصابعها ..

وراحت تحدق بالبحر الفسيح الرحيب الشاسع دون ان تستطيع النطق بحرف .. وعاد شفيق الى الكلام .. وامسك بيدها يشدها هامساً في أذنها برقة وشوق وحنان : سلمى !. قولي لي يا حياتي ، هل تحبين شفيقاً؟.

وجاهدت سلمى النفس واستطاعت اخيراً ان تنظر الى شفيق بعينين تغمرها الدموع، دموع الفرح والسعادة، وقالت:

شفيق ما نزل بك ، نزل بي ، وما دهاك دهاني ، وما أصابك أصابني .. اجل يا شفيق أنا احبك كما تحبني وأحن إليـك كما تحن إليّ .. يبدو أن سهم الحب لا يصيب قلباً واحداً ، فهو دائماً ينزل في القلبين معاً ..

نزل هذا السهم في قلبك وفي قلبي دفعة واحـدة .. فأنا أحبك ، احبك يا شفيق ..

وشدت اصابع شفيق وهي اصابع سلمى الترك وقال :

– يا حياتي يا سلمى ..

ونزلت كلماته في اذنيها نغماً حلواً رائعاً شجياً... وبادلت اصابعها اصابعه الشد ، واغمضت عينيها وهمست :

– ياحبيبي ..

٣

سلمى الترك على هناة وسعادة وطمأنينة وارتيـاح ... لقد غمر الحب العذري الرحيب قلبها الندي بنوره الوهاج ، فأضاء ذلك القلب النبيل وغمره بالضياء ... وتدلهت سلمى بهوى زميلها في العمل شفيق وهبي . وتوغلت في حبه ترشف من منهل ذلك الحب الطاهر الشريف ولا ترتوي ..

حبها هـــذا هو الحب الأول ، هي لم تتعرف إلى اسرار الهوى ، ولا هي تذوقت لذة الحب والهيام .. أهذا هو الحب الذي يتحدث البشر عنه ؟.. أهـــذا هو الهوى الذي يقول الناس فيه أنه معـذب ، شاق مرهق ، ثقيل الوطء ؟ أين هو الارهاق ؟.. أين هي الدموع ؟.. أين ؟. أين ؟.. هي لا ترى في هواها إلا السعادة الهانئة والطمأنينة الوارفة الظلال...هذا ما خيل لسلمى الترك.لقد خيل إليها أن الحب حلاوة وسعادة وهناء ، وقد جهلت سلمي أن الحب عـذاب وشقاء وأسى ، وبكاء ، ودموع .. جهلت المسكينة أن الحب درهم عسل على قنطار مرارة ..

ومضت سلمى الترك في الطريق الموحل الشائك البعيد دون أن تدري إلى أين سيصل بها الطريق .. وسارت مغمضة العينين لا ترى ما حولها من وهاد عميقة الغور ، ولا تشاهدما يعترض سبيلهـا من أشواك وصخور ووحول .. وكانت تجتمع بحبيب القلب والروح ، بشفيق وهبي كل يوم ..

ما ان ينتهي دوام العمل في الشركـة حتى تستقل سلمى سيارة الحبيب الصغيرة ، المتعبة ، العجوز ، ويجلس شفيق إلى مقود السيارة ، ويدير محركها فتسير ، على بركات الله، تتهادى في سيرها كأنها امرأة عجوز تعصف بها الأوبئة وترهق جسدها النحيل الأمراض ، تلهث بعناء ، وتتنفس بتعب وجهـــد وعياء.. ويطوف شفيق وهبي بحبيبته سلمى النوادي والمطاعم والملاهي والمنتزهات الممتدة على الساحـل اللبناني البهيج . من صور حتى طرابلس ..

الساحل هو طريق السيارة الهرمة العجوز ، أما الجبـال العالية ، فهي محرمة عليها ... سيارة شفيق عاجزة عن تسلق الجبال ، وهي تكاد تنوء بسائقها وبحبيبته في طريق الساحل المعبد الفسيح الأرجاء ..

ونعمت سلمى الترك بهوى الحبيب الكريم ، ولقيت بـين ذراعيه ما تلقى كل حبيبة بين ذراعي حبيبها من نشوة وسعادة وهناء .. وخيل إليها أنها تربعت من السعادة الشامخة على القمة العالية الشماء ..

وغفت سلمى على أحلامها العذاب وأمانيها الهانئة الوارفة

الظلال،وهي الآن تحلم بالغد الرائع السناء،البهي الجمال .. وكان لابد من الافاقة . وكان لا بد من الانتفاضة ، كان لا بد للحلم الجميل من الانقشاع .. وكان لا بد للمرارة أن تبزغ بعد أن طال عهد الحلاوة .

وانقشع الحلم الندي ، وتوارت الحلاوة ، واستفاقت سلمى الترك على الحقيقة المرة السوداء .. فهي قد جاءت ذات صباح إلى الشركة لتفاجأ بمقعد حبيبها شفيق فارغاً.. لم يكن شفيق في مقعده يومذاك . . وهي المرة الأولى التي يتغيب فيها شفيق عن الحضور إلى عمله .. وقلقت سلمى كل القلق، وخشيت أن يكون قد نزل بحبيب القلب والروح مكروه .. وتقدمت من أحد الزملاء تسأله : أين هو شفيق ؟.. لماذا لم يحضر اليوم إلى عمله ؟.

وطفت على ثغر الموظف الشاب ابتسامة هزء وسخرية ، وهمس يجيب على سؤال أمينة الصندوق : عوضنا الله بسلامتك أيتها الآنسة سلمى ..

وذعرت سلمى الترك . ماذا يقول هذا الشاب ؟.. عوضنا الله بسلامتك ؟ أيكون شفيق قد مات ؟.. أيكون قد رحل عن هذا العالم الفاني ؟.. لا .. مستحيل .. أمس الظهر تناولت طعام الغداء معه في مطعم صغير في ساحة الشهداء، وكان أمس في صحة تامة وعافية كاملة ..

واقتربت سلمى من الشاب هامسة : ما بـه شفيق ؟.. ماذا دهاه ؟ ماذا اصابه ؟ واتسعت ابتسامة الموظف الشاب

على شفتيه وتمتم : اطمئني .. صديقك شفيق وهي بألف خير. وهو لم يصب بمكروه .. كل ما في الأمر أن المدير طرده من الشركة .

وحلّ الوجوم مكان الذعرفي عيني سلمى الترك..هل يمكن هذا ؟.. أيطرد شفيق من الشركة ؟.. ولماذا يطرد ؟.. أي جريمة أرتكب شفيق وهي ليكون نصيبه الطرد من شركة الاستيراد والتصدير اللبنانيــــة ؟.. ماذا فعـل ؟.. لا . لا مستحيل .. هذا الموظف يكذب . انه كاذب منـــافق محتال يحاول الحط من كرامـــة شفيق ومن سمعتـه العطرة الناصعة البياض .. هي ستنتقم منه .. أيجرؤ على تشويه سمعة حبيبها شفيق وتقعد عن الانتقام منه ؟ انها لخائنة إن هي تخاذلت وجبنت وغضت الطرف عنه .. هي ستخبر شفيقاً بما يروج هذا الموظف الخبيث ..

وانصرفت سلمى عنه . وعادت إلى عملها والحنق يعصف بها والنقمة على الموظف الثرثار تثير غضبها .. وحاولت المضي في العمل ، إلا انها عجزت..كانت أفكارها كلها عند شفيق.. ما به شفيق؟..ولماذا لم يحضر إلى عمله اليوم؟..ماذا أصابه؟.. ماذا دهاه ؟.. ماذا حل به ؟.. وتكاثرت الأفكار في رأسها، وآلمتها الهواجس السوداءفطاقت فيذلك الرأس الجميلعشرات الأسئلة دون أن تستطيع الاجابة على سؤال واحد منها ..

وشعرت سلمى بالنار تكوي قلبها وتحرق مهجتها .. ترى هل يحضر شفيق غداً الى عمله؟.. وإذا لم يحضر فأين ستراه؟..

وكيف ؟.. أيكون شفيق قد ضاع منها إلى الأبد ؟.. ليست تدري .. ليست تدري .. وشعرت سلمى بالوهن ، وأحست بدوار شديد ، فنادت إليها الحاجب تطلب منه أن يبتاع لها قرص أسبرين .. ولبى الحاجب الطلب، فحمل إليها الاسبرين والماء . وتناولت سلمى المسكن .. وانصرفت إلى العمل بألم وجهد وعياء وعناء .

وحان موعـــد الإنصراف .. فانصرفت ، وخرجت من الشركة لتشخص إلى محطة القطار الكهربائي، واستقلت القطار .. لقد عادت إلى القطار الكهربائي.وراحت تفكر.. انها لتفكر بحبيبها شفيق .. ليتها تعرف أين تقع داره العامرة ، إذن لشخصت إلى داره لتطمئن إلى سلامته . . ووصل القطار بها إلى محطة المزرعة فترجلت ..

وشخصت إلى دارها لتدخـــل إلى تلك الدار وتتجه إلى غرفتها فتنزع عنها ثيابها وترتدي ثياب النوم وتندس في سريرها .. لا لتنام ، بل لتمضي في التفكير بحبيب القلب والروح .

وقلقت أمها عليها .. ودخلت إلى غرفتها والقلق يطل من عينيها لتقول «ما بك يا سلمى ؟.. ما بك يا حبيبتي ؟.. لماذا تلجأين إلى السرير ؟.. أتكونين مريضة يا ابنتي؟.» ودون أن ترفع رأسها من تحت اللحاف همست سلمى : لا يا ماما . . لا .. أنا لست مريضة ، إلا أنني متعبة.. والعمل الشاق أنهك قواي .. كان العمل كثيراً اليوم .. أريد أن أنام .. أريد أن أرتاح.وهمست الأم : ألا تريدين أن تتناولي طعام الغداء ؟ ..

لقد هيأت لك طعاماً شهياً تحبينه .. إنهضي .. قومي يا ابنتي قومي . تناولي طعامك ثم عودي إلى النوم ..

ولم تنزل سلمى عند طلب والدتها . لم تنهض من السرير ، لم تقم، بل هي تمتمت: أرجوك يا ماما أن تدعيني أنام ساعة.. ساعة واحدة فقط .. وخرجت الأم من غرفـــة ابنتها والألم يعصرْ قلبها .. مسكينة سلمى انهـــا ترهق نفسها لتؤمن لها ولشقيقتها نجلاء الطعام والثياب والمسكن ..

ليس لسلمى ، وهي في عمر الزهور ، أن تشقى وأن تتعب من أجل أمها ومن أجل شقيقتها .. ودخلت نجيبة الترك إلى غرفتها لتذرف الدموع الغزيرة السخية الحمراء . . ليس لها إلا الدموع تستنجد بها على حالها .. الأقدار ظلمتها ، فسلبتهـا زوجها وهي لا تزال بأشد الحاجة إليه وألقت بهـا في مهاوي الفاقة والفقر .

وانغمست سلمى في سريرها تبكي وتفكر.. تبكي حظها التعس . هذا الحظ الذي حرمها والدها وألقى بها وبأمهـــا وبشقيقتها في مهاوي البؤس .. ثم حرمها من حبيبها شفيق .. وتفكر .. تفكر بحبيبها . ما به شفيق؟ أيكون في خطر؟.. أيكون ما قاله الموظف صحيحاً ؟. هل طرد شفيق من الشركة؟ لا . لا مستحيل . شفيق شاب مخلص في عمله. مهذب، مستقيم، رصين .. شفيق لا يرتكب جريمة ، لا يقدم على أي هفوة ، هو سيحضر غداً إلى عمله في الشركة .. من المؤكد أنـــه سيحضر غداً ..

وأقامت سلمى تنتظر بزوغ فجر غد بفارغ صبر.. أقامت على جوى ونار وشوق ودمع وحنين.. ولم تستطع أن تهدأ ولا أن تطمئن ولا أن تستريح .. وقضت الليل ساهرة تتقلب في سريرها على نار وشوك وابر .. ولم يغمض لها جفن طيلة ذلك الليل ..

يا لآلام الحب ، ويا لدموعه ويا لعذابه الموجع الأليم . صدق من قال : « ان الحب عذاب وشجن ودموع » . .

لقد غيرت سلمى رأيها في الحب منذ الصدمة الأولى . فماذا عساها فاعلة وقد توالت عليها الصدمات وتعددت على قلبها الندي النبيل النكبات ؟ ..

ومع بزوغ الفجر البعيد وثبت سلمى من السرير ، وقد خشن الفراش الوثير عليها .. ونهضت تغسل وجهها وترتدي ثيابها وتهم بالخروج من الدار .. الى أين ؟.. ليست تدري..وكانت والدتها قد استفاقت ، فاعترضت سبيلها :

إلى أين يا سلمى ؟ .. إلى أين يا ابنتي ؟ وهمست سلمى : أريد أن أمر بإحدى الزميلات قبل أن أشخص إلى العمل وأبت الأم أن تدع ابنتها تخرج من الدار قبل أن تتناول القهوة والطعام .. وأرغمتها على تناول القهوة .. وجاءتها بالطعام وأرغمتها على تناول القليل من العسل والجبن واللبن ..

وخرجت سلمى من الدار والساعة تميل إلى السابعة والنصف.. أمامها نصف ساعة ، بعد نصف ساعة تفتح أبواب الشركة ويحضر الموظفون إلى أعمالهم .. ترى هل سيكون شفيق بين

الموظفين اليوم ؟ أم انه سيتخلف عن الحضور إلى الشركة مثله بالأمس ؟ ..

واستقلت سلمى القطار الكهربائي المزدحم بالناس ، وسار القطار بها يتهادى في سيره على مهل واتئاد . وتمنت سلمى لو أن هذا القطار الزاحف يسرع سيره ليصل بها إلى مقر الشركة فوراً ويريح قلبها الدائم الاضطراب .. إلا أن القطار الكهربائي لم يحقق أمانيها العذاب ، ولم يصل بها إلى الشركة إلا والساعة تعلن تمام الثامنة ..

ودخلت سلمى إلى مكاتب الشركة .. وكان الموظفون قد بدأوا يفدون إلى أعمالهم .. ولم تجد سلمى حبيبها شفيقاً بينهم .. ولم يصل شفيق وهي مع زملائه الموظفين إلى الشركة .. من يدري ؟ . قد يحضر بعد دقائق قليلة .. هناك ثلاثة موظفين لم يصلوا بعد إلى أعمالهم قد يكون رابعهم .. ومن عادة شفيق أن يتأخر في الوصول إلى عمله .. من المؤكد أنه سيحضر بعد قليل .. وإذا بأحد الموظفين الثلاثة يصل . ثم وصل الموظف الثاني ، وبعد برهة وجيزة وصل الموظف الثالث .. ولم يصل شفيق ..

وعادت الهواجس والأفكار السوداء تعصف برأس سلمى وبقلبها وبحنايا فؤادها .. وجلست في مقعدها وانصرفت إلى العمل ، إلا أنها لم تستطع أن تعمل . كانت أفكارها كلها متجهة إلى شفيق .. وانغمست في تفكير بارد صامت كئيب . ماذا عليها أن تفعل ؟ عليها أن تبحث عن شفيق ، عليها أن

تجد وسيلة تهتدي بها إلى داره .. يجب أن تعلم أين تقع دار شفيق ، وعندما تعلم ذلك ، عندما تهتدي إلى داره ستشخص إليه ، ستزوره في داره وتريح قلبها من هـــذا العذاب المؤلم الموجع الشديد ..

ومضى الوقت ثقيلاً على قلب سلمى الترك .. وحان موعد الانصراف ، فانصرفت سلمى مع زملائها الموظفين. •وخرجت من الشركة •• وسارت متجهة إلى محطة القطار الكهربائي وهي تفكر بشفيق •• عليها أن تبحث عن داره وتسرع إليه . قد يكون شفيق في خطر ، وقد يكون بحاجة إليها .. عليها أن تسرع في البحث عنه وفي الأهتداء إليه ..

ومضت في سيرها المتئد الحثيث..وقبل أن تصل إلى محطة القطار الكهربائي بقليل نزل صوت هادىء شجي رخيم في أذنها: « سلمى ! .. سلمى !.. سلمى ! .. »

هذا هو صوت شفيق .. صوت شفيق ؟ أتكون في حلم ؟. والتفتت إلى الوراء لتشاهد شفيقاً مقبلاً نحوها والابتسامة تشع على شفتيه .. واغرورقت عيناها بالدموع •• إنها دموع الفرح بلقاء حبيب القلب شفيق .

وتوقفت سلمى عن المسير ، واقترب شفيق منها هامساً :

سلمى ؟..إنني في اشتياق رحيب إليك يا حبيبتي.ومسحت سلمى دموعها،وتمتمت :

شفيق !.. ما بك يا حبيبي ؟ .. ما بك ؟.. لماذا تخلفت

عن الحضور إلى الشركة أمس واليوم؟ إنني قلقة الخاطرعليك يا شفيق .

وتقدم شفيق منها يمسك بيدها هامساً في أذنها :

إطمئني،ليس ثمة ما يشغل الخاطر ويقلق البال يا حبيبتي.. سأخبرك كل شيء ، تعالي معي ، تعالي إلى السيارة .. لقد أوقفتها هناك . هناك في آخر الشارع .. تعالي .. تعالي ..

وسارت سلمى برفقة حبيبها شفيق . . ودلفت معه إلى السيارة العجوز القديمة العهد الجاثمة هناك في آخر الشارع على ذل وانكسار قرب السيارات الفخمة الأنيقة الحديثة الصنع.. وتقدمت من السيارة تفتح الباب وتدخل إليها ..

ودخل شفيق إلى السيارة وجلس إلى مقودها ليديرمحركها ويسير بها إلى محلة الروشة.هناك في محلةالروشة حيث السكينة والهدوء والبحر والسماء الصافية الأديم ، هناك يستطيع ان ينعم شفيق وهي بالجلوس قرب حبيبته سلمى ، وأن يتحدثا دون ان يزعج خاطرهما احد .. وفي الطريق راحت سلمى تلقي على حبيبها شفيق بعض الأسئلة :

ما بك يا شفيق ؟ هل صحيح انك تركت العمل في الشركة؟ لماذا يا حبيبي ؟ هل هناك ما يزعجك في الشركة ؟ ..

إلا أن شفيقاً لم يكن ليرد على سؤال واحد من أسئلتها . واكتفى بالهمس :

– مهلاً . مهلاً يا حبيبتي ، سأطلعك على كل شيء .. على كل شيء ، لن أخفي عنك شيئاً يا روح شفيق .

ووصلت بهما السيارة إلى محلة الروشة . وأوقفها شفيق أمام مربع هادىء ساكن رحيب يجثم فوق الصخور الناتئة ، تغسل أقدامه الأمواج ويغمره النسيم العليل بفوحه العاطر الشذا ... وجلس شفيق عند طاولة صغيرة في زاوية من زوايا المربع الفسيح ... وأمسك شفيق بيد سلمى ليقول :

«كم أنا في اشتياق إليك يا حبيبتي يا سلمى.؟»

وهمست سلمى : أنت في اشتياق إليّ . الشوق وحـده يعذب قلبك،اما أنا فثمةالشوق والقلق والحيرة والاصطراب.. كل هذه الأشياء كانت تتآمر على قلبي لتمضه وتقلقه وتعذبـه وتعبث بحناياه يا حبيبي .. لقد قضيت ليـل امس ساهرة لا يغمض لي جفن . كنت أفكر بك ، كنت اشتاق، كنتقلقة عليك يا حبيبي .. عشرات الأفكار السوداء مخرت عباب هذا الرأس .. عشرات الهواجس المقلقة الممضة المرعبـة عصفت بقلبي .. كنت أقول في سري : ما به شفيق ؟ لماذا تخلف عن الحضور الى الشركة ؟.. هل نزل به مكروه ؟ هل حلّت به مصيبة ؟.. هل ؟ هل ؟ هل .. عشرات «هـل» مرت في رأسي دون ان استطيع الاجابة على «هل» واحدة منها..وبما زاد في حيرتي وفي قلقي وفي اضطرابي ما قاله لي أحد الزملاء عنك ..

قال شفيق ، وهو يرشف قهوته وينفث دخان لفافتـه في الفضاء : ماذا قال لك عني ذلك الزميل الكريم ؟..

قالت : ما لنا وله .. المهم لدي الآن هو أنني شاهدتـك

أمامي وأنت بألف خير .

قال باصرار: لا.. أريد أن أعلم ماذا قال لكذلك الزميل يجب أن أعلم ماذا يقول الناس عني..

ومضي شفيق في اصراره .. ورأت أن تنزل منه عند الاصرار فقالت :

لقد قال لي الخبيث إن المدير طردك من الشركة .

وأطلق شفيق ابتسامة واهية باردة صفراء وهمس : أهذا ما قاله الزميل ؟..

قالت : اجل . قال هذا بكل قحة ؟

قال : ألم يقل لك لماذا طردني المدير من الشركة .

قالت : لا . لا أنا سألته لماذا، ولا هو قال لي .

واتسعت ابتسامة شفيق وهبي وقد اطمأن قلبه وهمس : « انه كاذب » .

قالت : لقد كنت على يقين من كذبه . ومن المؤكد انه كاذب .. ولكن قل لي يا شفيق لماذا تخلفت عن الحضور الى الشركة يومين متتالين ؟..

فعاد شفيق يمسك بيدها ليقول :

اسمعي يا سلمى .. أنا تركت العمل في الشركة .. ولم يطردني المدير . لا ، ليس بمثلي تلصق هذه التهم.. أنا استقلت بملء إرادتي من الشركة .

قالت بوجل وقلق واضطراب: أنت استقلت من الشركة؟.. لماذا ؟ يا شفيق ؟..

فنفث شفيق وهبي دخان لفافته المحتضرة في الفضاء وتمتم:

إسمعي يا سلمى .. أنا لست مرتاحاً الى مستقبلي في شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية ، لا أريد أن أظل طيلة العمر موظفاً بسيطاً أتقاضى مرتباً ضئيلاً لا يكاد يكفيني لشراء التبغ ، أنا شاب طموح ، انظر إلى المستقبل البعيد بعين المنى والاحلام . أريد أن أستقل في عملي، أريد أن أكون صاحب شركة تفوق شركة الاستيراد والتصدير مالاً ومقاماً وثقة .. من أجل هذا استقلت .. لقد قدمت استقالتي أمس الأول لأبدأ بتأسيس شركة جديدة .. شركتي ستضارب شركة الاستيراد والتصدير ، هي ستكون بين الشركات الوطنية في الطليعة ، لن تستطيع شركة مهما كبرت وعظمت وتوطدت اركانها ان تنافس شركتي .

اطمئني يا سلمى . اطمئني يا حبيبتي . زوجك سيكون من خيرة الازواج في المستقبل القريب . سيكون زوجك شفيق وهبي صاحب شركة وطنية كبرى ، لا موظفاً في شركة صغيرة مثل شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية .

وغمرت الابتسامة شفتي سلمى وهي تسمع كلمات الحبيب الولوع .. لقد فرش طريقها بالوعود اللامعة البراقة الوضاحة السناء ونثر أمامها الزهور والورود والرياحين .. ما عليها إلا أن تدوس على الورود لتجتاز الطريق إلى القمة العالية الشماء وتلتقي هناك ، على القمة بالحبيب المخلص الوفي ..

واستأنف شفيق الكلام بعد صمت قصير ليقول:

نحن سنكون بين الازواج من السعداء ياحبيبتي . فليطمئن قلبك الطاهر الشريف النبيل ...

واطمأن قلب سلمى. الحمد لله ليس ثمة مصيبة نزلت بحبيبها شفيق ولا هناك كارثة حلت به .. لقد استقال من منصبه في الشركة كي يصبح صاحب شركة كبيرة مرموقة في لبنان. يا له من شاب جريء ، طموح شهم نبيل .. إلا أن غمامة دكناء غمرت خيالها وهي تفكر بشهامة شفيق وبطموحه .. لقد أصبح شفيق بعيداً عنها الآن بعد أن ترك العمل في الشركة، هي لا تستطيع أن تراه كل يوم ، لن تستطيع ان تشاهده ساعة تريد ، لن تستطيع أن تستقل سيارته الصغيرة ظهر كل يوم وتشخص وإياه إلى المطاعم والى المرابع وإلى المقاهي وإلى المنتزهات . أتكون قد خسرت شفيقاً ؟.. وانصرفت سلمى إلى التفكير تنغمس فيه .

وراح شفيق يدخن بصمت بارد موحش كئيب .. وطال صمتها .. وبعد صمت طويل التفت شفيق إلى حبيبته ليقول :

انت لم تتناولي طعام الغداء . ولا أنا تناولته .. سنتناول الطعام معاً الآن. وتمتمت سلمى :

كما تريد يا حبيبي ..

ونادى شفيق الخادم إليه ليقول :

إلينا بالطعام . كبة . وفراريج . وحمص . وسمك و ...

وجاءهما الخادم بالطعام، فراحا يتناولان الطعام ويتحدثان ويبنيان قصور الآمال والأحلام .. وانتهيا من تناول الطعام

فوقفت سلمى تقول :

لقد تأخرت في العودة إلى الدار . ستقلق والدتي عليّ . يجب أن أعود ياحبيبي ..

قال : ساوصلك إلى الدار .

وسار قربها ، إلى السيارة .. وسارت السيارة العجوز بهما إلى محلة المزرعة .. وقبل أن تترجل سلمى من السيارة التفتت إلى شفيق لتقول :

متى سأراك يا حبيبي ؟

وهمس شفيق : سأراك غداً يا حبيبتي . غداً ، بعد أن ينتهي دوام العمل في الشركة ستجديني في انتظارك ، مثل اليوم ، أمام مبنى الشركة .. سأوصلك كل يوم بسيارتي إلى الدار . إطمئني يا حبيبتي ، إطمئني يا سلماي . أنا لن ابتعد عنك . نحن لن نفترق . سنعيش العمر معاً .. طيلة العمر سنظل معاً يا روح شفيق .

وأمسك بيدها يشدها ويرفعها إلى شفتيه ليقبل راحتها . .

وهمس :

— إلى اللقاء غداً يا حبيبتي ..

وترجلت سلمى من سيارة حبيبها شفيق ودخلت الى دارها والفرحة تغمر قلبها والابتسامة تشع على شفتيها الارجوانيتين النديتين .. لقد تبددت الغيام من فضاء أحلامها وامانيها .. الحمد لله ثم الحمد لله . شفيق عاد إليها ، فعادت معه الابتسامة الى شفتيها والسعادة الى روحها الهانئة المطمئنة المعصاء .

وأقامت سلمى الترك ترقب لقاء الحبيب في اليوم التـالي بفارغ صبر ..وما ان حان موعد الانصراف ، حتى اسرعت سلمى بالخروج من الشركة لتوافي شفيقـاً إلى السيارة الصغيرة العجوز .. وبر شفيق بوعده .. وكان شفيق في انتظارها ، كما وعد ، فصعدت الى السيارة لتجلس قربه .. وطـارت بها السيارة الى خلدة ..

وهنـاك في «جزيرة مروش» على شاطىء البحر ، في محلة خلدة جلس الحبيبان يتناولان الطعام ويتناجيان ، ويتبادلان أحاديث الحب والشوق والهوى والحنين .

وتعدد لقاؤهما .. كل يوم يوافي شفيق وهبي حبيبته سلمى الى أمام دار شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية ، ويطير بها الى مطعم أو الى مربع أو الى منتزه .. ويجلسان ليـاً كلا ويشربا ويتحدثا ويبنيا قصور الأماني ويرسما خطوط المستقبل الزاهر الزاهي البهيج.. واطمأنت سلمى الترك الى مصير قلبها الهائم الولوع ، وركنت الى الأيـام ، وآمنت بنشوة الحب وبسعادة الهوي والغرام .

٤ سلمى والمدير

–"مدموازيل سلمى ! . المدير يدعوك اليه . . هو يريد أن يتحدث اليك في أمر هام كما لاح لي .."

وكان الحاجب في شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية هو الذى يتكلم ويدعو الآنسة سلمى لمقابلة المدير . .

وخيّل لسلمى الترك أن المدير يريد أن يتحدث اليها في أمور العمل .. خيل اليها أن المدير يريد أن يعهد اليها بعمل جديد ، أو انه يريد منها ان تهتم بنوع خاص من العمل ، بالإضافة إلى عملها في أمانة الصندوق .

وتمتمت سلمى :

– أنا قادمة اليه ... واقفلت الصندوق الحديدي بالمفتاح..

وسارت الى غرفة المدير . . واستقبلها المدير بابتسامة زاهية بيضاء .. ورحب بها .. ودعاها للجلوس .

ودهشت سلمى وهي تلمس في المدير الكريم ذلك الترحيب

الشديد وتلك الابتسامة المشجعة البيضاء . . لم يكن من عادة المدير أن يرحب بها مثل هذا الترحيب ، ولا أن ينفحها بمثل تلك الابتسامة الوضاحة السناء ولا أن يدعوهـا للجلوس في مكتبه . .

وجلست سلمى ، جلست على المقعد الجلدي الوثير دون أن تنبس بحرف . . وامتدت يد المدير الى الجرس يقرعه فأقبل الحاجب . . والتفت المدير الى سلمى يقول لها :

- ماذا تتناولين ؟ . قهوة ؟ .

وصبغ الخجل وجنتي سلمى .. المدير يتنازل ويسألها ماذا تتناولين ؟ . أتكون في حلم ؟

وهمست بعد صمت قصير : لا ، شكراً يا سعادة المدير..

قال بلطف زائد : لا يا سلمى ، تناولي فنجان قهوة . . أنا لم أتناول القهوة اليوم ، سنتناول القهوة معاً..

قال المدير هذا ليلتفت إلى الحاجب ويقول: هات فنجاني قهوة . .

وذهب الحاجب . . وتناول المدير علبة التبغ عن مكتبه وقدّم لفافة لأمينة الصندوق .. وازدادت سلمى دهشة وهي تشاهد المدير يقدم لها اللفافة ، مــا بال المدير اليوم يبالغ في تكريمها . . واعتذرت عن التدخين في حضرة المدير . . وأقبل الخادم بعد قليل حاملا لها القهوة . . وجلس المدير يرشف القهوة ويدخن ..

وراحت سلمى ترشف قهوتها ، وفي رأسها يدور ألف

سؤال.وعلى جبينها ترتسم الف علامة استفهام.. وساد الصمت برهة في غرفة المدير . . والتفت بعد صمت قصير الى أمينة الصندوق ليقول :

– اسمعي يا سلمى ، أنتِ عندي في مقام ابنتي، وسمعتك تهمني كما تهمني سمعة ابنتي، لقد كنتِ وما زلتِ يا سلمى مثال الفتاة الطاهرة الشريفة ، وكنتِ وما زلتِ يا ابنتي مثال الموظفة النشيطة المخلصة الوفية لعملكِ . . وهذا ما أهاب بنا الى تقديرك والى ترفيعكِ والى زيادة مرتبك . .

وهمست سلمى بخجل سحيق شاسع:

– شكراً يا سيدي المدير ..

وتابع المدير كلامه ليقول : يا ابنتي يا سلمى، الحياة ملأى بالذئاب الضارية .. الذئاب التي تبحث عن النعاج أمثالك . .

فوجمت سلمى ، ماذا يقول المدير ؟ . والى ماذا يرمي من وراء هذه المقدمة التي ينفحها بها ..

واستأنف مدير الشركة الكلام، قال:

– أنا لا أشك بقدرتكِ على الدفاع عن سمعتكِ ، وعن شرفك يا سلمى . . لا ، لم أكن يوماً لأشك بقدرتك على المحافظة والاعتصام . . ولكن رأيتك أمس في سيارة الشاب شفيق وهبي . . كنت جالسة قربه وكان هو يقود سيارته الصغيرة.. ولاح لي أنكما منسجمان.. كانت السيارة تسير بكما على مهل ، في طريق « اوتوستراد » المعاملتين . . وكانت سيارتي وراءكما . .

وبدأ الخجل يتحوّل في نفس سلمى الى قلق ووجوم . .

ومضى المدير في كلامه قائلاً : وهذا ما أهـــاب بي الى التحدث معكِ الآن بصراحة يا ابنتي ، وثقي أنني لا أرمي من وراء مصارحتك إلى سوى إنارة السبيـل أمامـك والابتعاد بـك عن «طريق الدموع»، إلى طريق السعادة والابتسامة . .

وصمتت سلمى ، وانغمست في تفكير بارد كئيب عميق..

لماذا يحشر المدير نفسه في شؤونها الخاصة؟. لماذا يحاول الوثوب الى أمورها الشخصية ؟ لماذا يتدخل سعادته في ما لا يعنيه ؟

وكأن مدير الشركة أدرك ما يجول بخاطرها ، وهو يراها تنغمس في تفكيرها العميق ، فاستأنف الكلام ليقول:

— أنا ليس من شأني أن أصارحك بهذا يا ابنتي ، ليس من واجبي أن أنبهكِ الى الخطر المحدق بك.. لو قدّر لي أن أرى إحدى الموظفات ، غيركِ أنت ، تسير في الطريق الموحـــل الشائك الخطر ، لما عمدت الى تنبيهها . . فتاة في مثل عمرك تعرف صالحها . . ولكنني أحدثك الآن كأب لا كمدير . . قلت لك وأعيد القول يا سلمى ، أنت عندي في مقام ابنتي . لذلك يا ابنتي ، واسمحي لي أن أناديك بيا ابنتي . . لذلك يا ابنتي أنا أدعوكِ للانقطاع عن الاجتماع ، وعن الاتصال بشفيق وهبي .

وازدادت سلمى وجوماً وقلقاً واضطراباً والمدير يدعوها الى الانقطاع عن حبيب القلب والروح . . واستطاعت بعد جهد أن تتمتم :

— لماذا يا سعادة المدير ؟ .

ورشف المدير قهوته ونفث دخان لفافته وقال :

– تسألينني لماذا ؟ . أنا أقول لك لماذا . . إنني أدعوك للابتعاد عن هذا الشاب لأنه لا يليق بك أولاً ، ولأنـــه من أصحـاب السوابق في التغرير بالفتيات أمثالك ثانياً ، ولأنه مختلس محتال ثالثاً..

وشاهد المدير القلق والاضطراب يطـلان من وجه أمينة الصندوق ، فتابع كلامه قائلاً لها :

– لا تقلقي ولا تضطربي يا ابنتي.. سأصارحك بكل شيء وسأضع أمام عينيك كل شيء، ولك بعدئذ أن تفعلي ما يطيب لك.. إسمعي يا سلمى.. إن الرجل النبيل الذي توسط لشفيق عندنا وأرغمنا على إسنـــاد وظيفة له في شركتنا ، هو والد فتاة في مثل عمرك . . كان شفيق قـد وعدها بالزواج عندما يتسلم وظيفة . . وطلبت الفتاة من والدها أن يتوسط له لدينا فتوسط . . وأسندنا الى شفيق وظيفـة في شركتنا وراحت الفتاة تنتظر منه أن يبرّ بوعده لها . . ولكنه ، بعد أن أصبح موظفاً ، بفضلها ، هجرها وغدر بها .. هذه « مأثرة » من مآثر شفيق . .

أما « المأثرة » الثانية ، فهي تلك التي اكتشفناهـا منذ أسابيع قليلة .. لقد اكتشفنا أن شفيقاً ، الموظف في شركتنا يتواطأ علينا مع بعض عملائنا ويبتز أموالهم بطرق غير قانونية باسم الشركة .. إن المبالغ التي وصلت الى يد شفيق، بواسطة احتياله هذا ، تتراوح بين خمسة وعشرة آلاف ليرة أنفقهـــا

كلها على موائد القمار .. شفيق وهبي مقامر عريق يا ابنتي.. وكان أن عمدنا الى طرده من شركتنا . . واذا كنت تحرصين على سمعتك وعلى كرامتك وعلى اسمك ، وعلى شرفك ، وعلى نصاعة جبينك، فعليك أن تبتعدي عن هذا الذئب يا ابنتي . .

وذعرت سلمى وهي تسمع ما يقول المدير، وشعرت بالوهن وأحست بدوار شديد يعصف برأسها ووهنت قواها ، وظهر الحزن والخوف والألم جلياً في عينيها. ولمس المدير مدى تأثرها واهتمامها وحزنها وخوفها ، فوقف يمسك بيدها ويقول :

– سلمى . . خير لك أن تنقطعي عن المسير في طريق الدموع الآن .. الآن أفضل من الغد يا ابنتي . . انقطعي عن المسير في هذا الطريق قبل أن تتورطي فيه، قبل أن تستفيقي لتجدي نفسك غير قادرة على العودة . .

ومضت سلمى في صمتها البارد الحزين الكئيب . . لم تجب بكلمة ، لم تستطع ان تنطق بحرف.. كلام المدير هدّ قواها ، وسحق قلبها وغمر روحها بالكآبة والحزن والأسى . . ماذا يقول المدير ؟. هل يمكن هذا ؟. هل يمكن أن يكون حبيبها شفيق نذلاً محتالاً مقامراً غادراً .. المدير لا ينطق بالكذب.. هي ستجرب أن تنزل عند رأي المدير ، ستعمل جاهدة على نسيان شفيق ، مــا لها وله ، فلتبتعد عن طريقه ، وطريقه خطرة محفوفة بالأشواك والصخور والوحول ، طريقه «طريق الدموع» ، فلتبتعد عن طريق الدموع .

واستأنف المدير الكلام بعد قليل ليقول :

– لقد أوضحت لكِ كل شيء يا ابنتي ، وأفهمتك كل شيء ، ولكِ أن تختاري الطريق الذي تريدين..

ووقف المدير .. وكان وقوفه يعني أن المقابلة انتهت، وأن الحديث انتهى .. ووقفت سلمى .. واستطاعت بعد جهد ان تتمتم : شكراً لك يا سيدي المدير ..

قال مدير الشركة : على ماذا عولت يا ابنتي ؟

قالت : سأعمل بنصيحتك يا سيدي ..

قال : وتنقطعين عنه ؟

قالت بألم وحزن وأسى : أجل . . أجل .

وصافحها المدير هامساً في أذنها : فليوفقك الله يا سلمى وليبعد عن طريقك أولاد الحرام .

وخرجت سلمى من مكتب المدير والدموع تترقرق في عينيها . . وحاولت المضي في العمل ، إلا أنها عجزت عن العمل، لم تستطع أن تعمل ولا أن تسجل أرقام المبالغ المكدسة في الصندوق ولا أن تفكر ، ولا أن تتكلم . . كانت سلمى ، بعد ان استمعت الى حديث المدير في حال مؤسفة مؤلمة . . ونادت الحاجب اليها : أرجوك قرص اسبرين . .

وجاءها الحاجب بالاسبرين فتناولته . . وأقامت ترقب حلول موعد الانصراف . . كانت بحاجة الى الراحة ، بحاجة الى التفكير ، بحاجة الى البكاء . . هي تريد أن تعود الى دارها لتدخل الى غرفتها وتفرغ كل ما في مآقيها من دموع

قانية الاحمرار ، فالكارثة النازلة بها هدّت قواها وأذابت فؤادها وأذلتها وحطمت آمالها الوارفة وأحلامها العذاب . . لقد تبخرت تلك الأماني الخضراء ، التي شيّدتها في خيالها ، لقد توارت في لحظة واحدة تلك القصور التي بنتها للمستقبل الآتي القريب .

يا للمصيبة تنزل بسلمى الترك لتهدّ قواها وتذري أمانيها وأحلامها وآمالها الباسمة السمحاء .

صدق من قـــال : « إن الحب ألم وهم وأسى وشجون وعذاب ودموع » . الحب سراب « سراب لامع حلو جميل . إلا أنه خيال لا يُلمس ولا يروي غلة عطشان. لقد خدعت سلمى بالسراب الجميل . . واستفاقت فجأة على الحقيقة المرعبة المروعة . .

وحان موعد الانصراف من العمـــل ، فحملت سلمى محفظتها وخرجت من الشركة . . خرجت لتسير في الشارع الطويل الفسيح على غير هدى . . كانت الدنيا كلها سوداء في عينيها ، لم تكن تشاهد شيئاً مما حولها . . ما هنـــاك سوى ضبـــاب ، ضباب كثيف ينتصب أمامها ليحجب عن عينيها النور والضياء .

واتجهت سلمى نحو محطة القطار الكهربائي ، وقد عزمت على أن تستقلّ القطـــار وتعود الى دارها . . واذا بصوت شفيق يرنّ في أذنيها :

سلمى ! . سلمى ! . ما بكِ ؟ . أنا هنا في انتظارك يا حبيبتي . .

والتفتت سلمى اليه بعينين تغمرهما الدموع وقالت :

– شفيق !. أنا تعبة ، مريضة ، الحمى تنهش جسدي .. أريد أن أعود الى الدار .. أريد أن أستريح . . لن أرافقك اليوم .. لن أسير معك .

واقترب شفيق منها هامساً: لقد أقلقت خاطري يا سلمى ما بك يا حبيبتي ؟ ما بك ؟ .

قالت وهي تحاول إخفاء دمعها : قلت لك أنا مريضة .. أريد أن أعود الى الدار وأرتاح.

قال وهو يمسك بيدها : تعـــالي معي . . سأوصلك الى الدار بسيارتي .

قالت برجاء واسترحام : لا ، لا ، أرجوك . . أرجوك دعني .. سأستقل القطار الكهربائي ، دعني .

ـــلا ، أنا سأنقلك بسيارتي الخاصة ، تعالي، تعالي .

وأرغمها على الصعود الى السيارة الهرمـــة العجوز . . وسارت بهما السيارة الى محلة المزرعة . . وفي الطريق حاول شفيق أن يستدرج سلمى الى الكلام ، حـاول أن ينتزع سرها من صدرها ، إلا أن سلمى اعتصمت بالصمت العميق لا تخرج عنه . . ووصلت السيارة بهما الى الدار . . وترجلت سلمى قائلة وداعاً يا شفيق .

وتمتم شفيق : بل الى اللقاء .. الى اللقاء غداً يا حبيبتي .

سأنتظرك غداً كالعادة قرب مكاتب الشركة وسنتناول طعام الغداء معاً .. الى الغد .. الى الغد .

وتمتمت سلمى : إن شاء الله يا شفيق .

قـــال : لا تقلقي خاطري عليكِ يا حبيبتي ، يجب أن توافيني غداً في الموعد المضروب .

وعادت الى الهمس : إن شاء الله .

وسارت ، ودخلت الى الدار لتسرع بالدخول الى غرفتها فترتمي على سريرها وتجهش بالبكاء .

٥ سلمى في حيرة

غرقت سلمى في آهاتها ولوعاتها ودموعها ، وبكت . . بكت بحرقة وحسرة وأسى ، ولم تستطع أن تجذب الكرى إلى مقلتيهـــا طيلة ذاك الليل الطويل ، وما أطول الليل على قلوب العشاق المتيمين المعذبين . . وتقلبت سلمى في سريرها الوثير ، وكأنها تتقلب على وخز الإبر ، وحمم البراكين . . وراحت تفكر بألم وعذاب ، ماذا عليها أن تفعل الآن ؟ . .

هل تنزل عند نصائح مدير شركة الاستيراد والتصدير اللبنانيه وتتخلى عن شفيق ؟.. وهل تستطيع أن تبتعد عن حبيبها شفيق ؟.. شفيق الذي أحبته ملء قلبها وروحهـا ، والذي عقدت على حبه الآمال العذاب ، وشيّدت الأحـلام الوارفة الخضراء .. إن شفيقاً هو كل ما تملك سلمى في هـذه الحياة من حب وهوى وعطف وشوق وحنين.

أتتخلى عن كل ما تملك في الحياة من هذه الأشياء الثمينة

الغالية الرائعة السناء ؟.. أهكذا ينهار فجأة ، بلمحة بصر ، حبها الشامخ العنيف ؟ لا .. لا . . هي لن تتخلى عن حبيبها شفيق . . لن تبتعد عنه . . لن تهجره . . شفيق حياتها . . أتهجر حياتها ؟.. إنه روحها .. أتتخلى عن روحها ؟ .. هو سعادتها .. أتبتعد عن سعادتها ؟. لا.. لا.. هي لن تستطيع أن تنفذ أوامر المدير الكريم ، لن تستطيع أن تبتعــد عن حبيب القلب والروح . . الموت أفضل لديها من الابتعاد عن شفيق .

وتمضي سلمى في التفكير : « ولكن » . . وتتوقف عند كلمة ولكن.. لكن شفيقاً محتال ، مقامر، مختلس ، أتتورط في هوى شاب محتال ؟ أتنغمس في حب رجل مقامر ؟ أتمضي في غرام فتى مختلس ؟ ماذا ستكون حالها مع شفيق المختلس المقامر المحتال ؟ الى أين سيصل بها هواها ؟ الى أين سيقذف بها حبها العاصف المجنون ؟ لتكن عاقلة ولتبتعد عن النار التي تحيط بها من كل جانب وصوب ، قبل أن تحترق بألسنة اللهيب . .

ومضى الليل الطويل ثقيــل الوطء على قلب سلمى . . وبدأت النجوم تتأهب للاختفاء وراء أنوار الفجر البعيــد ، وسلمى الترك ساهرة في سريرها البارد الكئيب تبكي وتفكر بألم ودموع .. وبزغ الفجر ، وتلمست وسادتها فاذا بالوسادة مبللة بالدموع ، واستوت في السرير تمسح دموعها وتهمس في سرها : ماذا عليّ أن أفعل ؟ ماذا عليّ أن أفعل يا رب ؟ »

ولم تستطع أن تتخذ قراراً حاسماً . . لم تستطع أن تقر نهجاً تنهجه ، ولا أن ترسم خطة تنفذها . .ووثبت من السرير وقد ضاق السرير على رحبه بها ، وراحت تتمشى في الغرفة ذهاباً وإياباً ، والهم يعصر قلبها وروحها .

وتلألأت أنوار الصباح البيضاء وتسربت من زجاج النافذة لتغمر سرير سلمى بضيائها الواهي الجميل . . وراحت تغسل وجهها وترتدي ثيابها على مهل . . وانتهت من ارتداء ثيابها وخيوط الشمس الذهبية اللامعة تنسج وشاحها الذهبي المحموم فوق سريرها الوثير .

وأقبلت أمها حاملة لها القهوة . . وجاءت أختها نجلاء لترشف قهوتها في غرفة شقيقتها سلمى . . وجلسن ، الأم وسلمى ونجلاء يرشفن القهوة ويتحدثن . . وراحت الأم تمازح سلمى . . وشاركتها ابنتها نجلاء في المزاح ، إلا أن سلمى لم تكن لتطيق مزاحها .. كان قلبها مغموساً بالظلام.. وروحها غارقة في يم سحيق من الألم والأسى والدموع .. وانتهين من رشف القهوة ، فهمت سلمى بالخروج من الدار ، إلا أن أمها الحنون أبت أن تدعها تخرج قبل أن تتناول طعام الصباح .. وتناولت الطعام دون شهية نزولاً عند رغبة أمها .

وخرجت من الدار ، والألم يحز في نفسها والدموع تترقرق في عينيها .. وشخصت الى محطة القطار الكهربائي . ووقفت عند المحطة ترقب قدوم القطار . . واذا بسيارة شفيق تقف

أمامها .. ودهشت سلمى .. ماذا جاء بشفيق الى ذلك الحي في مثل تلك الساعة ؟ فهي ليست على موعد معه .. ولم تكن لترقب مروره بذلك الشارع . . وأطـل شفيق وهبي برأسه من السيارة الهرمة العجوز .. وابتسم لها .. وهمس وهو يفتح باب السيارة : إصعدي .

وترددت سلمى في الصعود الى سيـــارة شفيق . . المدير حذرها من الاتصال بشفيق ومن مرافقته .. ماذا سيقول عنها مدير الشركة إن هو علم أنها جاءت إلى عملها بسيارة شفيق ؟ من المؤكد أن المدير سيغضب عليها . . وقد يحمله غضبه على طردها من الشركة .. لا ، هي لن تصعد الى السيارة القديمة العهد الهرمة العجوز .

وعاد صوت شفيق يرن في أذنها: تعالي يا سلمى، إصعدي الى السيارة يا حبيبتي .

وعادت الأفكار تدور في رأسها : هــــل تستقل سيارة شفيق ؟ لا . . المدير يريدها أن تبتعد عن هذا الشاب . . المدير لا يريدها أن تستقل هذه السيارة .. المدير .. المدير .

ولكن أنى للمدير أن يعلم أنهـا خالفت نصحه وضربت بتحذيره عرض الحائط ؟ . . هو لا يحضر الى الشركة قبل الساعة التاسعة . . وهي ستكون هناك في الساعة الثامنة . . لن يقف المدير على أمرها . . لن يعلم شيئاً .. وسمعت سلمى صوت شفيق يعود الى التمتمة : أسرعي .. أسرعي يا سلمى، لقد أقبل القطار وتعطل السير .. أسرعي ، أسرعي .

وأسرعت سلمى بالصعود إلى السيارة . . وسـار شفيق بسيارته على مهل .. وساد الصمت داخل السيارة ، فلا شفيق تكلم ولا سلمى . . وأخيراً ، وبعد ان سارت السيـارة بهما شوطاً بعيداً ، التفت شفيق إلى سلمى ليقول : أتعلمين يا سلمى انني لم أذق طعم النوم طيلة ليلة أمس .

ووجمت سلمى . . مـاذا يقول شفيق ؟ أيكون هو أيضاً مثلها لم يذق طعم الرقاد ؟.. أتكون حاله شبيهة بحالها ؟ ولم تجب سلمى . . لم تفه بحرف . . بل هي انغمست في صمتها العميق على تفكير بارد حزين كئيب .

وعاد شفيق إلى الكلام ليقول : كنت ليلة أمس أفكر بك على قلق واضطراب.. كنت في حال نفسية مؤلمة.. كنت أفكر بك وأقول في نفسي : ما بها سلمى ؟.. لماذا كان الحزن بادياً على جبينها ؟.. لماذا كانت تعتصم بالصمت؟ لماذا اعتذرت عن مرافقتي إلى المطعم ؟ . . أتكون قد ملّت هواي ؟ . . أتكون قد سئمت حبي ؟ . . أتكون قـد أحبت شاباً غير شفيق ؟ هل أخسر سلمى ؟.. هل أفقد حبيبتي ؟ هل ؟ هل؟ هل ؟.. عشرات الأسئلة مرّت في خاطري وأنا ساهر أدخن وأفكر ؟ ..

وقلقت سلمى واضطربت وشفيق يبوح لها بأسرار قلبه.. مسكين شفيق ، كم تعذب ليل أمس . . يبدو أن عذابهـا يتضاءل حيـال عذابه . . هو يحبها .. من المؤكد أنه يحبها

ويتفانى في حبها . لو لم يكن الحب متمكناً من قلبه لما تألم ، ولما بكى ولما سهر الليل يناجي طيفها ويفكر بها .

وعاد شفيق وهي إلى الكلام ليقول بعد صمت قصير : سلمى ما بك يا حبيبتي ؟ ماذا دهاك ؟ لماذا تغير قلبك ؟ . . هل تحبين شاباً غيري ؟.. قولي لي يا سلمى ؟ إذا كان حبي قد توارى عن قلبك الطاهر الحنون، فصارحيني بالحقيقة يا حبيبتي، قولي لي كل شيء يا سلمى ، كل شيء ، لا تخفي عني شيئاً ، قولي لي :«أنا لم أعد أحبك يا شفيق».قولي هذا لتجدي شفيقاً يحمل جراح قلبه ودموع روحه ، ويبتعد عنك إلى الأبد .

وأهاج كلامه المؤلم الشجي الحنون دموعها، فبدأت الدموع تتدحرج غزيرة على وجنتيها.. وهمس شفيق وهو يرى دموعها تتواثب من عينيها النجلاوين على غزارة واندفاع : سلمى ما بك يا حبيبتي ؟ لماذا تبكين ؟ أتريدين الابتعاد عن شفيق ؟ أيهون لديك حبيبك شفيق يا سلمى ؟ .

وحاولت سلمى الترك الكلام ، إلا أنهـا لم تستطع إلى الكلام سبيلاً . . كانت الدموع تقطع عليهـا سبيل الكلام ، كان الألم يخنقها ، والأسى يعذب روحها . . وهمس شفيق : من هو هذا الشاب الذي تحبينه يا سلمى ؟ من هو هذا الذي لعب بعقلك السليم وخدع قلبك النبيل الشريف ؟ من هو ؟ هل أستطيع أن أعلم من هو ؟ .

واستطاعت سلمى أن تتكلم ، وقد استفزها اتهام شفيق ، وتمتمت : أنت على خطأ يا شفيق، أنا لا أحب أحداً سواك..

ليس ثمة حب دخل الى قلبي غير حبك ! ليس هناك إنسان غزا قلب سلمى ، لا قبلك ولا بعدك . . ثق يا شفيق انه اذا قدر لنـــا أن نفترق يوماً ، فأنا لن ألتفت إلى أي شاب ما حييت .

فاطمأن قلب شفيق وهو يسمع كلام سلمى : الحمد لله ، ثم الحمد لله .. ليس هناك من غزا قلب حبيبته سلمى . . إنه ما زال يتربع في ذلك القلب النبيل على الرحب والسعـــة . .

وهمس : ولكن ما بك حزينة الفؤاد كسيرة الخاطر دامعة العين ؟ هل أستطيع أن أعلم ما بك يا حبيبتي ؟ .

وتمتمت سلمى وهي تمسح دموعها : هناك سر يعذبني يا شفيق .. أنا لا أستطيع أن أبوح لك بهذا السر .

قال : إذا كنت تحبينني فانه يجب عليك أن تبوحي لي يا سلمى بجميع أسرارك . ليس بيني وبينك أي سر . . ها أنا قد أطلعتك على أسراري ، على كل أسراري ، لم أخف سراً ، فلماذا تعمدين أنت إلى إخفاء الأسرار عني يا حبيبتي ؟

قالت : سري يختلف عن جميع أسرارك يا شفيق إنه سر هائل مروع مخيف ، هذا السر سينزل معي الى القبر ، أنا لن أبوح به لأحد .

وتمتم شفيق : هذا دليل على أنك لا تحبين شفيقاً . . لو كنت تحبينه لما ترددت في إفشاء جميع أسرارك أمامه .

قالت : سل قلبك ينبئك الخبر اليقين . . سله يقل لك : إن سلمى تحبك وتتفانى في حبك .

قال بإصرار : أريد أن أعلم مـــا هو هذا السر الذي يعذبك ويؤلم روحك . . أريد أن أعلم كل شيء ، كل شيء يا سلمى . .

وتمتمت سلمى : مستحيل .. مستحيل يا شفيق .. وكانت السيارة قد وصلت بهما إلى شارع اللنبي ..

وقبل أن تقترب السيارة من مبنى شركة الاستيراد والتصدير همست سلمى في إذن شفيق : أرجـــو أن توقف السيارة هنا .. هنا يا شفيق ، بعيداً عن مكتب الشركة ..

ودون تردد ، ودون أي اعـــتراض أوقف شفيق وهبي السيارة ، وقبل أن تترجل سلمى من السيارة همس شفيق : سأنتظرك بعد انتهاء دوام العمل .. أريد أن أتناول طعام الغداء معك اليوم ..

وحاولت سلمى الاعتذار .. حاولت الرفض ، قالت : لا يا شفيق ، لا .. أنا لن أستطيع أن ألبي دعوتك اليوم ، دع ذلك إلى فرصة أخري يا حبيبي ..

قال بإصرار : لا.. سأنتظرك اليوم أمام مبنى الشركة . بعد أن ينتهي دوام العمل، سنشخص إلى محلة الروشة ونتناول طعام الغداء معاً ..

قالت : لا .. لا.. أرجوك ، أرجوك أن تعفيني اليوم من تناول الغداء معك يا شفيق ..

قال بإصرار : أنت لا تحبينني .. لقد تأكدت من ذلك.. أنت تخشين أن يشاهدك حبيبك الجديد معي فيغضب عليك..

إما أن تلبي دعوتي اليوم ، وإما أن نفترق إلى الأبد .. إذا لم توافقي على تناول طعام الغداء معي ، وإذا لم تنزلي عند طلبي.. فثقي أنك لن تشاهدي شفيقاً مدى الحياة ..

قال شفيق هذا وأدار محرك السيارة ..

وترجلت سلمى من السيارة وعاد شفيق إلى الهمس : أنا سأكون في انتظارك أمام مبنى الشركة بعد انتهاء الدوام ، ولك أن تختاري ، إما مرافقتي وإما الإنفصال !

وكان عليها أن تحدد موقفها بسرعة ، كان عليها أن تسير وتبتعد عن سيارة شفيق قبل أن يشاهدها أحد موظفي الشركة ويصل الخبر إلى المدير .. فتمتمت : طيب .. ولكن لا تقف بسيارتك هنا في هذا الشارع .. انتظرني هناك قرب البرلمان.. سأوافيك في تمام الساعة الثانية إلى هناك !

قال : سأكون في انتظارك يا حبيبتي !!

وسار شفيق بسيارته العجوز !! وسارت سلمى إلى الشركة والأفكار المقلقة تدور في رأسها على سرعة واندفاع ! ماذا عليها أن تفعل الآن ؟ هل توافي شفيقاً إلى الموعد المضروب ؟ هل تتناول طعام الغداء معه ؟ هل ستخلف الموعد ؟ ماذا عليها أن تفعل ؟ ماذا عليها أن تفعل ؟ ليست تدري ! ليست تدري !

ودخلت إلى الشركة ، وانصرفت إلى العمل والهواجس والأفكار تعصف برأسها الجميل ، وكانت قلقة الخاطر ، معذبة الفؤاد ! وعادت تسائل نفسها وهي منصرفة إلى العمل ، ماذا

سأفعل ؟ ماذا سأفعل ؟ هل أغضب المدير ؟ هل أغضب شفيقاً ولم تفكر سلمى الترك بمستقبلها ، لم تفكر بمصيرها ، لم تفكر بالنصائح التي نفحها مدير شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية بها .. لم تفكر إلا بحاضرها ، فراحت تتمتم في سرها : ماذا سأفعل ؟ هل أغضب شفيقاً ؟ أم أغضب المدير ؟؟ !

ومضى الوقت في سرعة واندفاع ، واقترب موعد العمل من الانتهاء ، وسلمى الترك منصرفة إلى التفكير ، واهتدت بعد تفكير طويل إلى حل ينقذها من المأزق الحرج ، هي لن تغضب شفيقاً ولن تغضب المدير ! ستلبي دعوة شفيق اليوم الى تناول الطعام . تذهب برفقته إلى محلة الروشة ، وتتناول طعام الغداء معه وتدعوه إلى التريث والتروي .. تطلب إليه أن يخفف من دعوته إلى تناول الطعام . ستقول له :«أنا لم أعد أستطيع أن أرافقك كل يوم يا شفيق .. يكفي أن نجتمع مرة واحدة في الأسبوع »وشفيق سيوافق على رأيها ..

لم يكن شفيق وهبي ليخالف لها يوماً أي رأي .. سترافق شفيقاً اليوم فلا تغضبه ، وأنّى للمدير أن يعلم أنهـا تناولت الغداء مع شفيق ..

واطمأنت وقد توصلت إلى هذا الحل الموفق . هذا الحل الذي ينقذها من الحيرة والقلق والاضطراب .. هي لن تغضب شفيقاً ولن تغضب المدير .«عال»انه حـل موفق مضمون النجاح .. وحان موعد الانصراف !

وخرجت سلمى من الشركة ، وعادت الأفكار تعصف بها

وهي تسير في الشارع الفسيح الأرجاء، وعادت الأسئلة تتراقص في رأسها : ماذا ؟ هل تشخص الى شارع المعرض ، إلى قرب البرلمان حيث ينتظرها شفيق ؟ ولكن إذا علم المدير بأمرها ؟ ماذا ستكون النتيجة ؟ ..

لا .. هي لن تذهب إلى شفيق ، ستعود تواً إلى الدار ، ولكن ، ولكن شفيقاً قال لها : إذا تخلفت عن الموعد، إذا لم توافقي على تناول الطعام معي اليوم ، فأنت لن تري وجهي مدى الحياة ! أيهون لديها شفيق ؟ لا ! لا ! هي ستشخص إليه وتتناول وإياه طعام الغداء ثم تعود إلى الدار ، ولا من رأى ولا من سمع !!

وسارت نحو البرلمان ، وكانت سيارة شفيق هنـــاك في انتظارها ، وكان شفيق في حال نفسية ، كان يخشى أن تخلف سلمى موعدها معه ، أما الآن ، قد شاهدها مقبلة نحوه فقد ارتاح قلبه وعرفت شفتاه نعمــة الابتسام ! وفتح شفيق باب السيارة أمام سلمى وهمس : أهلا سلمى، أهلا سلمى، تفضلي، تفضلي يا حبيبتي ، إصعدي !!

وتفضلت سلمى، وصعدت إلى السيارة لتجلس قرب شفيق، وأدار شفيق محرك السيارة فسارت بهما ببطء واتئاد في الطريق إلى محلة الروشة !

وهناك ، في مطعم هادىء فسيح الأرجـاء ، يشرف على أمواج البحر المتواثبة الزرقاء ، جلس الحبيبان يتناولان الطعام ويتحدثان أحاديث الحب والهوى والحنين !! ولم يفاتح شفيق

حبيبته سلمى بأمر ذلك السر الذي يعذب قلبها ، لم يتحدث إليها بشيء حتى انتهيا من تناول الطعام ، وفيما هما يرشفان القهوة ويدخنان ، التفت شفيق إلى حبيبته الحسناء ليقول ، فجأة ودون مقدمات: ما هو هذا السر الذي يعذبك يا سلمى؟

وفوجئت سلمى بالسؤال ، وتمتمت : قلت لك يا شفيق ، أنا لا أستطيع أن أبوح بهذا السر ..

وألقى شفيق وهبي باللفافة من يده ووقف ليقول : إذن وداعاً يا سلمى .. أنا لا أستطيع أن استمر في حب فتـاة لا تحبني ، لا أستطيع أن أحب فتاة تخفي عني أسرارهـــا .. وأرجو أن تذكريني يا سلمى ، كما أذكرك وأن تحني إليّ كما أحنُ ، إليك وداعاً ، وداعاً ..

وخيل لسلمى أنه حازم في ما يقول فذعرت..وأمسكت بيده لتقول : لا يا شفيق ..لا يا حبيبي لا تذهب .. إجلس، إجلس ..

وأبى شفيق أن يجلس.. أبى أن ينزل عند طلب سلمى.. وهمس : لا يا سلمى، لا يا حبيبتي ، لن أجلس ، لماذا أجالس فتاة تخفي عني أسرارها ؟ لماذا أجلس قرب فتاة تكرهني ؟ لا .. رحم الله أيامنا العِذاب.. رحم الله حبنا الطاهر الندي الذي كان عمره قصيراً كعمر الزهور والورود ..

وأبت سلمى أن تترك يده.وهمست : عيب يا شفيق نحن في مكان عام ولسنا داخل دار .. الكل يشاهدونني الآن أمسك بيدك وأطلب إليك الجلوس. إجلس لنتحدث ونتفاهم.

قال : بماذا تريدين أن تتحدثي ؟ ماذا تريدين أن تقولي ؟ هل أنت ستبوحين لي بسرك ؟ كلمة واحدة . . أجـل ، أو ، لا . .

وأدركت سلمى أنه مصرّ على سماع الجواب النهائي، وكان عليها أن تجيب ، أن تقول : « أجل » فتحتفظ بشفيق ، أو أن تقول « لا » فتخسره إلى الأبد . .

لم يكن لديها الوقت الكافي للتفكير، كان عليها أن تجيب بسرعة .. وأجابت بسرعة قائلة : أجـــل ، يا شفيق ، أنا سأبوح لك بهذا السر . لن أخفي عنك شيئاً يا حبيبي ، لن أحجب عنك سراً ، سأبوح لك بكل شيء . . إجلس يـــا شفيق ، إجلس يا حبيبي ، أرجوك ، أرجوك أن تجلس . وجلس شفيق وقد اطمأن إلى نجاح خطته الموفقة . وهمس :

– ما هو هذا السر يا سلمى ؟

فصمتت سلمى برهـــة .. وراحت تحدق بأمواج البحر المتدافعة نحو الشاطىء الفسيح الأرجاء لتتحطم فوق الصخور. والتفتت إلى شفيق بعد صمت قصير لتقول :

– شفيق ! .. قبل أن أبوح لك بسري أريد أن أطرح عليك سؤالاً وأريدك أن تجيبني على سؤالي بكل صدق وبكل صراحة ..

قال: سَلي ما تريدين وثقي أن شفيقاً سيكون صريحاً معك إلى أبعد حدود الصراحة .. لم يكن شفيق يوماً ليخفي عنك سراً يا حبيبتي يا سلمى . وقالت سلمى :

ـ أريد أن أعلم لماذا تركت العمل في شركة الإستيراد والتصدير يا شفيق ؟

وتمتم شفيق وهبي : لقـد قلت لك السبب . . أنا شاب طموح أريد أن أنشىء شركة لحسابي الخاص، فقدمت استقالتي من الشركة وانصرفت إلى تأسيس شركتي !

وتمتمت سلمى باسترحام ورجاء : إنني استحلفك بحبنا ، بحياتي يا شفيق أن تصدقني الخبر ، هل هذا هو السبب الذي من أجله تركت العمل في الشركة ؟ ..

ودون تردد همس شفيق :

إنني أقسم لك بحبنا ، وبحياتك الغالية عندي ان هذا هو السبب الوحيـد في استقالتي من الشركة . قالت سلمى : ألم تُطرد من الشركة؟وتمتم بتساؤل ودهشة : أُطرد ؟ أنا أُطرد؟ ولماذا أُطرد ؟ هل هناك من ضحك منك وأخبرك انني طردت من الشركة ؟.وأومأت سلمى برأسها مشيرة بالإيجاب..وطفت ابتسامة هزء وسخرية على شفتي شفيق وهبي وهمس : من هو اريد أن أعلم من هو ؟ وأبت سلمى أن تقول له من هو . . أبت أن تقول له ما دار بينها وبين المدير من حديث ، إلا أن شفيقاً غضب وعاد إلى الوقوف ليقول : إذا لم تطلعيني على اسم هذا النذل فأنا سأضع حداً فاصلاً الآن لعلاقتنا يا سلمى . ان الأمر يتعلق بكرامتي ، وكرامتي عزيزة على قلبي.وعادت سلمى إلى الإمساك بيده ، عادت الى الرجاء والاستعطاف : أرجوك إجلس . إجلس يا شفيق . إجلس يا حبيبي . قال :

وتطلعيني على إسم الواشي اللئيم ؟ .. قالت : أجل أجـــل وأطلعك على إسمه .

وجلس شفيق والغضب يعصف بـه . . وهمست سلمى : إسمع يا شفيق اسمع يا حبيبي ، أنا سأطلعك على كل شي ، لن أخفي عنك شيئـاً . ولكنني أريد منك أن تطلعني على كل شيء ولا تخفي عني شيئاً...قـــال : أنا لم أكن يوماً لأخفي عنك شيئاً يا حبيبتي.قالت : إسمع إذن . . يبدو ان مدير شركة الاستيراد والتصدير اللبنـــانية شاهدني ذات يوم في سيارتك .. ودعاني اليه ليقول لي : أريد منك الانقطاع عن شفيق وهبي .. شفيق ليس بالشاب النظيف الكف ، الناصع الجبين . لقد أجبرنا على طرده من الشركة نظراً لسوء أخلاقه ولاقدامه على هفوات كبيرة . إن عـــلاقتك به تسيء إلى سمعتك وإلى شرفك وإلى كرامتك يا سلمى .

وخيل لسلمى أن شفيقاً سيغضب وسيثور ويقول : أنا سأشخص الآن فوراً الى المدير وأعاتبه على ما بدر حيالي، إلا أن شفيقاً لم يقدم على شيء من ذلك . . بل هو أشعل لفافة نفث دخانها في الفضاء.وهمس بكل رصانة ووقار . . أهذا هو السر الذي يعذبك يا سلمى ؟وتمتمت سلمى : أجل يا شفيق أجل يا حبيبي . كان عليّ أن أنزل عند طلب المدير ، كان عليّ أن أضحي بك أو ان أضحي بمستقبلي في الشركة . أنت تعلم يا حبيبي أي رجل صارم قاس هو مدير شركة الاستيراد

والتصدير .. صدقني يا شفيق انني شعرت بالوهن والألم والعياء وكلام المدير يقع مني في الأذنين. منذ ان تحدث إلي وانا لم أذق طعم النوم، منذ ذلك اليوم وانا أتعذب وأتألم وأبكي.

واتسعت الابتسامة على شفتي شفيق وهي ونفث دخان اللفافة في الفضاء وراح يحدق بالأمواج الزرقاء ليقول : إسمعي يا سلمى . . ان مدير الشركة بات يكرهني كرهاً شديداً ، لا سيا بعد ان علم انني بدأت بإنشاء شركة من نوع الشركة التي يديرها ، شركتي يا سلمى ستضارب شركته ، وقد تقضي عليه .. لقد حاول المدير صرفي عن التفكير بتأسيس شركتي، أغراني بترفيعي في شركته ، عرض عليَّ منصب مساعد ، إلا انني رفضت وأصررت على الاستقالة .. وراح المدير يعمل على الانتقام مني فلم يجد طريقاً الى الانتقام سوى طريق قلبي ، فعمد الى الوشاية بي عندك .

فوجمت سلمى . كلام شفيق معقول . . قد تكون الغيرة ثارت في قلب المدير فعمد الى تشويه سمعة شفيق . . يا لها من غبية ، كيف لم تدرك هذا قبل الآن ؟ . . وعاد شفيق وهي الى الكلام ليقـــول : أنا سأعرف كيف سأنتقم من مدير شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية . سأعرف كيف أحطمه وأحطم شركته وأنزل به وبها المصائب والكوارث والويلات.

وارتاحت سلمى بعض الارتياح وقد وضحت لها نصاعة جبين شفيق . الحمد الله . لقد أراح شفيق قلبها ، فليرح الله

قلبه النبيل الشريف .. ولكن ظلت هناك معضلة تشغل بالها. هل تستطيع مواصلة علاقتها بشفيق ؟ . . ألا يعمد المدير الى الانتقام منها ويعمد الى طردها من الشركة ؟. . والتفتت إلى شفيق : لقد آمنت بصدقك يا حبيبي . انت على حق . يبدو ان المدير أراد الايقاع بك ليحطم قلبك ويشغلك عن التفكير بإنشاء شركة تضاهي شركته . ولكن ماذا عساي أن أفعل الآن وقد حذرني المدير من الاتصال بك .

وخيّل الى سلمى ان شفيقاً سيقول لها استقيلي من الشركة. انا سأسند اليك منصباً رفيعاً في شركتي ، بصورة مؤقتة ، ريثما يتم زفافنا . . هكذا خيل اليهـا ، إلا ان شفيقاً لم يقل هذا ، بل هو نفث دخان اللفافة المحتضرة في الفضاء وهمس : أرى ان نتقي شر هذا المدير الآن . . إسمعي يا حبيبتي . انا لن أنقلك بسيارتي بعد اليوم . لن أوافيك إلى شارع اللنبي.. فوجمت سلمى ماذا يقول شفيق . أيدعوها الى الابتعاد عنه ؟. إلا أن وجومها تبدد وهي تسمع شفيقاً يكمل حديثه فيقول : سيكون لقاؤنا في مكان بعيد عن عيون الرقباء،انني أخشى أن يعمد المدير إلى الاساءة اليك اذا علم انك لم تنفذي أوامره. انا لا أريد ان أكون سبباً في إيذائك يا حبيبتي.

وعاد الاطمئنان يموج في قلب سلمى التركي . . وهمست : كما تريد يا حبيبي . قال : إسمعي يا حبيبتي . غداً سنلتقي هنا . في هذا المطعم . ستستقلين سيارة تاكسي بعد ان ينتهي

دوام العمل وتحضرين الى هنا .. وسأكون أنا هنا بانتظارك ، فنتناول طعام الغداء معاً . . ثم نذهب في نزهة الى صيدا .. ما هو رأيك يا سلمى ؟ وتمتمت سلمى بفرح وارتياح : كما تريد يا حبيبي كما تريد .

وأمسك بيدها يشدها بشوق وحب وهوى وهمس : يا حياة شفيق يا سلمى . . وأغمضت سلمى الترك عينيهـــا ويد شفيق تشد يدها .. وهمست : يا حبيبي يا شفيق.وارتاحت سلمى الترك كل الارتياح . لقد أراحها حبيبها شفيق من آلامها وعذابها ودموعها .. يا له من حبيب نبيل كريم شريف .

٦

سلمى ضحية

الجو مكفهر عبوس . . والغيام تنتشر في الفضاء سوداء دكناء ممطرة ، والأمطار تهطل بغزارة على بيروت . والسيول تغمر الشوارع وتقطع على المارة الطريق . . وخرجت سلمى من دار شركة الاستيراد والتصدير ، وقد انتهي دوام العمل في الشركة .. ووقفت أمام الباب الكبير تنتظر مرور سيارة تاكسي لتستقلها وتطير بها الى محلة الروشة ، حيث ينتظرها حبيب القلب والروح.. وطال انتظار سلمى والسيارة المرجوة لم تطل .. وأخيراً ، وبعد انتظار طويل مرت بهـا سيارة تاكسي فخمة حديثة الصنع . . ورفعت سلمى يدهـا تلوح للسائق وتنادي : تاكسي ! . . وتوقفت السيارة . . وأطل السائق برأسه من النافذة ليقول : أمر ؟. وأسرعت سلمى الى السيارة تفتح بابها وتلقي بجسدها على مقعد السيارة وتقول للسائق : الى محله الروشة ..

وانطلقت السيارة الأنيقة بها الى محلة الروشة. وفيما السيارة الفخمة تجتاز بهـا شوارع بيروت المغمورة بالسيول ، راحت سلمى ، تجفف ، بمنديلها شعرها وثيابها ومحفظتها التي بللتها الأمطار .. ووصلت السيارة بها الى محلة الروشة . . وهناك أمام ذلك المطعم، حيث كانت تجلس مع شفيق وهبي بالأمس ووثبت من السيارة تحت وابل الأمطـــار الغزيرة لتسرع بالدخول الى المطعم ، حيث كان شفيق في انتظارهـــا على جمر ونار .

ووقف يصافحها ويرحب بها بحرارة وشوق : أهلاً يا حياة شفيق . . وجلست سلمى والابتسامة الوضاحة تغمر شفتيها النديتين . . وهمس شفيق : الحقيقة هي انـــني خشيت ألاّ تحضري الآن تحت هذه الأمطار العارمة يا سلمى . خيل إلي انك ستشخصين تواً الى دارك وانت تشاهدين الأمطار تهطل بغزارة والسيول تغمر الشوارع والطرقات . الآن . الآن تأكدت من انك تحبين شفيقاً ،.. وأمسكت سلمى بيد شفيق تشد أصابعه وتهمس : يا مجنون . . أيخيل اليك ان الأمطار والسيول والوحول وكل ما في الطبيعة من أهوال تقعد بسلمى عن موافاة حبيبها شفيق الى الموعد المضروب ؟ أيسمح لك قلبك بأن تشك بحب سلمى وباخلاصها وبوفائها يا حبيبي ؟ قال مازحاً : ان عين الحب عمياء . وأنا أنظر اليـــك بعيني العمياء يا حبيبتي . من يدري ؟ قد لا يكون الحب في قلبك من نفس ونوع ووزن الحب في قلبي ؛. فشدت أصابعها أصابعه

وهمست: ان حبي لك يفوق حبك لي يا شفيق ،. قال : وكأنه يشك بما تقول : صحيح يا سلمى ؟.. وهمست مؤكدة : وحياة عينيك صحيح وألف صحيح يا حبيبي .

قال : يا لسعادتي بحبك الطاهر النبيل يا حبيبتي . إن كل ما في الأرض من سعادة لا يوازي سعادة شفيق وهبي بحب حبيبته سلمى الترك .

صدقيني يا سلمى إذا قلت لك انك لديّ كل شي في هذه الحياة . إذا فقدتك يوماً - لا سمح الله - فقدت كل شيء . وانتشت سلمى بكلمات حبيبها الولوع . . وآمنت بما يقول : شفيق صادق في حبه مخلص في هــواه . . هو شريف كريم نبيل. كم كانت غبية حمقاء يوم صدقت وشاية المدير به وآمنت بكلام ذلك المدير .

وأقبل الخادم حاملاً لهما الطعام ، فجلسا يتناولان الطعام ويتسامران ويتناجيان ويتبــادلان أحاديث الحب والشوق والحنين . . وانتهيــا من تناول الطعام دون أن ينتهيا من أحاديثهما .. وطال الحديث بينهما، طال حتى الساعة الخامسة من المساء . . من الساعة الثــانية حتى الساعة الخامسة ، والحبيبان المتيمان جالسان في ذلك المطعم الفسيح الأرجاء المطل على أمواج البحر الهائجة السوداء يتحدثان ويتسامران ويتناجيان ويرسمان قصور الأماني ومعاقل الأحلام .

وراح شفيق يفرش الأزهار والورود والرياحين في طريق

سلمى : غداً يا سلمى عندما توطد شركتي أقدامهـــا وترسخ دعائمهـــا سنتزوج . وستكون حفلة زفافنا زينة الحفلات . الوزراء والنواب والوجهـــاء والأثرياء ، وزملائي أصحاب الشركات الكبرى ، والأدباء والصحافيون ورجال المال والعلم والسياسة والاقتصاد . ونطير إلى أوروبا حيث نقضي شهر العسل . . شهر العسل ؟ . . شهر واحد فقط ؟ لا يا حبيبتي حياتنا كلها ستكون شهوراً من العسل . . ثم ، ثم نعود إلى لبنان . وأكون قد بنيت قصري على ربوة هادئة خضراء تطل على بيروت فنعيش معاً في القصر عيش الأزواج السعداء .

إطمئني يا سلمى إطمئني يا حبيبتي ، شفيق وهبي سيكون لك ، نعم الزوج ونعم الحبيب المخلص الوفي . . ثم ، ثم بعد أن أطمئن إلى مصير قلبي أنصرف إلى الاهتمام بأمور شركتي ولن أنسى مدير شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية ، هذا المدير الخبيث الذي حاول تشويه سمعتي لديك . هـذا المدير سيكون حسابه عسيراً عندي سأحاربه وأحارب الشركة التي يديرها حرباً لا هوادة فيهـــا . سأخرب بيته وأقضي على شركته القضاء المبرم . سترين يوماً كيف سيكون انتقـام حبيبك شفيق هائلاً ، مروعاً رهيباً . .

وانتشت سلمى الترك بحديث حبيبها شفيق. وآمنت بكل كلمة نطق بها ، وشعرت بالسعادة الوارفة الظلال يغمر حنايا قلبها وروحهـــا . يا لسعادتها الهانئة الباسمة السمحاء . هي

ستصبح يوماً زوجة شفيق وهبي ، صاحب الشركة الكبيرة، وستسافر وإياه إلى أوروبا ثم تعـــود وإياه . يدها بيده إلى لبنان ، وتقيم وإياه فى القصر الشاهق الكبير الجاثم على الربوة الخضراء المطلة على بيروت إنها أحـــلام رائعة باسمة وضاحة السناء ، فمتى ستتحقق هذه الأحلام ؟ .

وألقت سلمى نظرة سريعة على الساعة المشدودة إلى معصمها لتقول : الساعة بدأت تميل إلى الخامسة والنصف يا شفيق . يجب أن أعود إلى الدار يـا حبيبي . . وألقى شفيق وهبي نظرة إلى ساعته أيضاً. وهمس :«أوه». لقـد مضى الوقت سريعاً .. أتعرفين يا سلمى ؟ . . عندما أكون قربكِ أنسى كل نفسي ، فتمر الساعات دون أن أشعر بمرورها.. . ووقفت سلمى لتقول : فلنعد يا حبيبي... ووقف شفيق هامساً : كما تريدين يا حبيبتي . قالت : سأستقل سيارة تاكسي وأعود إلى الدار .. قال : لا . الجو مكفهر عبوس ، والأمطار ما زالت تهطل بغزارة . لن أدعـك تعودين وحدك إلى الدار . أنا سأنقلك في سيارتي . قالت : ولكن . . فقاطعهـا : ولكن ماذا ؟ تخشين أن يشاهدك المدير في سيارتي؟.. لا تخشي شيئاً. المدير لا يخرج من داره في مثل هذا اليوم المطر الكئيب .

وصمتت سلمى . . وسار شفيق ، وسارت قربه . ودلفا معاً إلى السيارة تحت وابل الأمطار . . وجلس شفيق يقود السيارة وجلست سلمى قربه . . وهمس شفيق قبل أن يدير محرك السيارة:ما رأيك يا سلمى في نزهة قصيرة نقوم بها إلى خلدة فهي قريبة من هنا . هي لا تبعد سوى دقائق قليلة ؟ قالت وهي تنظر إلى ساعتها : ولكنني تأخرت في العودة إلى الدار يا حبيبي . قال : أنا لا أرتوي من التحدث اليكِ ، لا أشبع يا حبيبتي ، أنا جشع ، نهم لا أرتوي ولا أشبع .

وضحكت سلمى، وهمست : كما تريد يا حبيبي، كما تريد.
وأدار شفيق محرك السيارة، فسارت تتهادى بهما تحت الأمطار الغزيره في طريق خلدة . . وراح شفيق يحدث سلمى بعض الأحاديث العاطفية وهو يقود السيارة العجوز . . ووصلت السيارة بهما وهما غارقان في حديثهما الممتع الشجي، واجتازت السيـــارة بهما خلدة وأطلت على الدامور وهما منصرفان إلى الحديث دون أن ينتبها إلى انهما أشرفا على الدامور. واجتازت السيارة الهرمة بهما الدامور وهما في نشوة حالمة ، والأمطار تهطل بغزارة وجنون،والسيول تكاد تقطع على السيارة المتعبة الطريق . .

ولم تتنبه سلمى الترك إلى انها وصلت مع شفيق إلى ضواحي صيدا . . لم تتنبه سلمى إلى ذلـك لأن حديث شفيق العذب الحنون أنساها كل شيء . . وفجأة توقفت السيارة إلى جانب الطريق ، أمام منزل قديم العهد غارق وسط أشجار الحور والسرو الباسقة الخضراء . . والتفتت سلمى إلى حبيبها شفيق لتقول : ما بك يا شفيق ؟ لـماذا أوقفت السيارة هنا ؟ . . وتظاهر شفيق وهبي بالقلق.وهمس : لا أعلم ما أصاب محرك السيارة !.. لقد توقف فجأة يا حبيبتي . .

وعادت سلمى تلقي نظرتها على الساعة، فإذا بالساعة تشير إلى السابعة من الليل، والظلام يكتنف تلك الأرجاء والأمطار تهطل بقـوة وغزارة واندفاع . والسـيول عـارمة جارفة في

الطريق ، والطريق البعيد يكاد يقفر من السيارات. ليس هناك سوى سيارات قليلة تمزق بأنوارها الساطعة من حين إلى آخر الظــلام الدامس المدلهم . . وشعرت سلمى الترك بالخشية وبالإنقباض.والتفتت إلى شفيق لتقول : ماذا سنفعل الآن يا حبيبي ؟ قال : سأجرب أن أصلح الخلل في المحرك . قال هذا وترجل من السيارة تحت الأمطــار وراح يعـالج محرك السيارة . . وخشيت سلمى أن تبلل الأمطــار جسد شفيق فنادته اليها : شفيق ! .. تعال يا حبيبي . إصعد إلىالسيارة اتقِ الأمطار، ستعود إلى إصلاح السيارة عندما ينحبس المطر.

ونزل شفيق عند طلب سلمى .. وعاد إلى السيارة . عاد بعد أن بللت الأمطار ثيابه . . وجلس في السيارة فراحت سلمى تجفف المياه العالقة بثيابه بمنديلها . . والتفت إلى سلمى ليقول :

– يبدو ان الأمطار لن تنقطع .. ما رأيك في اللجوء إلى هذه الدار الجاثمة تحت أغصان هــذه الأشجار ؟ ريثما تهدأ العــاصفة ويصفو الجو . . قالت : ولكننا لا نعرف من هم أصحاب هذه الدار . قال : ما لنا ولهم . نحن سنرتاح قليلاً في دارهم، وعندما ينحبس المطر نصلحالسيارة ونعود أدراجنا. قال شفيق وهبي هذا وفتح باب السيارة وهم بالترجل ، إلا أن سلمى أمسكت بيده لتقول : لا يا شفيق ، لا يا حبيبي. فلنظل هنا في السيارة . لماذا ندخل إلى دار لا نعرف من هم أصحابها ؟.. قال بإصرار : تعالي .. تعالي .

وترجل شفيق من السيارة . . ورأت سلمى نفسها مرغمة على الترجل فترجلت .. وأمسك شفيق بيدهـــا . . وراحا يعدوان معاً تحت المطر الغزير نحو تلك الدار . .ووقف شفيق أمام الباب يقرعه بشدة.. وفتح الباب .. وأطلت منه امرأة في العقد الخامس من العمر ، لا تزال مسحة من الجمال الآفل تكمن في وجهها المشرف على الخريف.. وهمست بصوت أجش خافت : أهلاً وسهلاً .. كلمتان فقط : أهلاً وسهلاً . ودخل شفيق إلى الدار .. ولحقت به سلمى .. وسارت المرأة أمامهما إلى الداخل دون أن تنطق بحرف.. ولحق بها شفيق. وسارت سلمى وراءهما . . واقترب شفيق من صاحبة الدار . وهمس في أذنها كلمات قليلة لم تسمعها سلمى . . وقـادتهما المرأة إلى غرفة أنيقة . غرفة فيها مقعد رجراج وثير وسجادة ثمينة ، ورسوم تمثل نساء عاريات ، وثريا ، وطنافس.. وسرير وثير. ودون أن تنبس المرأة بحرف، خرجت من الغرفة ، وأوصدت الباب وراءها .

وجلس شفيق على السرير . . والتفت إلى سلمى يقـول : اجلسي يا حبيبتي . . وجلست سلمى على المقعد الرجراج . . وهمست وقد استقرت في المقعـــد الوثير : أنا لست مرتاحة للدخول إلى هذه الدار يا شفيق . لا أعلم لمـاذا انقبض قلبي عندما تخطت قدماي عتبتها. من هي هذه المرأة؟ هل تعرفها يا شفيق ؟.. وتمتم شفيق : لا . أنا لا أعرفها يا حبيبتي . ولكن

يبدو أن هذه الدار ملجأ لأمثالنا من المسافرين .. إنها فندق صغير كما يبدو .. لا بأس ، سنرتاح قليلاً ، وعندمـــا يصفو الجو ننقد صاحبة الدار مبلغـــاً صغيراً من النقود ونعود الى بيروت . .

وعادت سلمى لتقول : أنا لست مرتاحة يا حبيبي للاقامة في هذه الدار .. فلنعد أدراجنا الآن .

قال : هل نسيت ان السيارة معطلة ؟. . أنا لن أستطيع إصلاح السيارة تحت وابل الأمطار .. مهلاً يا حبيبتي مهلاً .

وصمتت سلمى . . وجلست تنتظر انحباس الأمطار على قلق وحيرة واضطراب .

٧ | سلمى في قلق وحيرة

الأمطـــار تهطل بغزارة مرسلة وشوشة أشبه بوشوشات الناحبـات . والعواصف تهب من كل صوب مزمجرة مهدّدة الأشجار بالويل والطغيان ، والسيول تغمر الجبال والوهـــاد والربى والتـلال . والليل يبسط أجنحته السوداء على أنحاء لبنان ليزيد كآبة الشتاء كآبة ، وحزنه حزناً ، وتجهمه تجهماً وعبوساً ، وأمواج البحر تندفع بجنون نحو الشاطىء الفسيح الممتد بين بيروت وصيدا لتتحطم على الصخـــور معربدة صاخبة هوجاء .

وهناك في تلك الدار الجاثمـة بذلٍ وضعة وانكسار إلى جانب الطريق ، بين الأشجـــار الباسقة في ضواحي مدينة صيدا ، في الغرفة الأنيقة الفخمة المترفة الرياش، جلست سلمى الترك تنتظر انقطاع الأمطار بفارغ صبر وهي ترمق الساعة المشدودة إلى معصمها ، بنظرات سريعة من حيز إلى آخر والقلق يطلّ من عينيها .

وجلس حبيبها شفيق يدخن بارتياح رحيب المدى ، شاسع الأرجاء .. وساد الصمت أنحاء الغرفة . . ووقفت سلمى بعد صمت طويل وتفكير بعيد ، وقفت لتقترب من النافذة المطلة على البحر ، ورفعت الستائر عن النافذة وراحت تنظر إلى أمواج البحر المتلاطمة وإلى الطريق البعيد الممتد على الشاطىء الفسيح لتشاهد السيارات القليلة تجتاز الطريق تحت وابل الأمطار ممزقة ستر الظلام الدامس بأنوارها اللامعة البيضاء .. ووقف وراءها يلقي بيديه على كتفيها هامساً في أذنها: ما بك يا سلمى ؟ ما بك يا حبيبتي ؟ تعالي ، تعالي نجلس هناك على السرير .. تعالي . .

قالت سلمى: أنا قلقة الخاطر يا شفيق، حبذا لو أستطيع العودة الآن إلى دارنا .. من المؤكد أن القلق بدأ يستبد بأمي بعد أن طال غيابي عن الدار .

وتمتم شفيق، وهو يحدق عبر زجاج النافذة بالبحر وبالطريق: أنظري يا سلمى ما أروع الطبيعة وما أبهاها وما أعظمها ، أنظري الأمواج الصاخبة المتمردة الغضبى كيف تهاجم الصخور بعزم وحزم وجنون ، أنظري المياه ، مياه السيول تغمر هذا الطريق البعيد مندفعة من القمم والسفوح جارفة كل ما يقع في طريقها الى البحر ، أنظري هذه الأشجار المتمايلة بين أيدي العاصفة الهوجاء ، ألا تروقك هذه المناظر الخلابة الرائعة الفاتنة ؟

قالت سلمى : أنا لا أرى شيئاً يا حبيبي ، إن تفكيري ليعجز عن إدراك هذه الحقائق المظيمة ، كل تفكيري منصرف إلى هناك ، إلى أمي . . ماذا تكون حال أمي الآن ، وقد سار الليل خطواته الأولى وأنا بعيدة عنها ؟ هذه هي المرة الأولى التي أظل فيها حتى هذه الساعة خارج الدار . . أريد ان أعود إلى أمي . . فأطلق شفيق ابتسامة لها ألف لون ولون ، والف معنى ومعنى ، إلا أن سلمى لم تشاهد لوناً من ألوان تلك الابتسامة ، ولم تدرك معنى واحداً من معانيها .

قال شفيق : كيف تريدين ان نعود الى بيروت ، والجو مكفهر عبوس ، والأمطار تهطل ، والسيول عاتية ، والبحر متلاطم الأمواج و .. والسيارة معطلة ؟

قالت : نستأجر سيارة تاكسي ونعود فيها إلى بيروت ..

واتسعت ابتسامة شفيق حتى أصبحت ضحكة هازئة وتمتم : أين سنجد سيارة التاكسي في مثل هذا المكان ، وفي مثل هذا الطقس ، وفي مثل هذه الساعة ؟ ما لنا إلا الانتظار يا حبيبتي ، فلننتظر ، لا بد للعاصفة من الهدوء ولا بد للأمطار من الإنحباس ، ولا بد للغمام من الانقشاع ، عندما يصفو الجو ، سنصلح السيارة ، ونعود أدراجنا على هنأة واطمئنان . .

وصمتت سلمى ، قد يكون شفيق على حق ، لا بد للجو من الصفاء ، ما علينا إلا الانتظار . . وأمسك شفيق بيدها

الباردة يشدها قائلاً : تعالي نجلس هناك ، هناك على السرير يا حبيبتي، تعالي ، تعالي .. وسارت معه دون أن تنبس بحرف، وجلس شفيق على السرير، وجلست سلمى قربه.. وتمتم شفيق: البرد قارس يا سلمى .. هل تتناولين كأس كونياك ؟

قالت : لا ، أنا لا أشرب الكونياك يا حبيبي ، أفضل فنجان شاي .

—: سنشرب الشاي والكونياك .. قال هذا ونهض ليفتح باب الغرفة ويخرج .

وأخذت الهواجس تمخر رأس سلمى وهي جالسة على السرير الوثير ، وتعدّدت الأفكار السوداء في رأسها : الساعة بدأت تشير الى التاسعة من الليل ، وأمها قلقة عليها ، من المؤكد أن أمها شديدة القلق، عليها أن تعود الآن، فوراً الى الدار ، ولكن كيف تستطيع العودة والجو مكفهر عبوس، والعاصفة عاتية هوجاء، والأمطار تهطل بغزارة والسيول جارفة والليل مدلهم قاتم السواد ؟ و .. السيارة معطلة ؟ وانغمست سلمى في أفكارها السوداء كسواد ذلك الليل الأسود البهيم ؟

وإذا بالباب يفتح ، ويدخل منه شفيق ، دخل شفيق والابتسامة تشع على شفتيه..وجلس قرب سلمى ليمسك بيدها قائلاً : ستأتينا صاحبة الدار بالشاي وبالكونياك.

وقالت سلمى : حبذا لو نستطيع العودة الآن يا شفيق .

وشدت يد شفيق يد الحبيبة الولوع وتمتم : مهلاً يا حبيبتي

مهلاً ، لن تطول إقامتنا هنا ، سنعود إلى بيروت بعد ساعات قليلة ، اطمئني يا سلمى ، اطمئني يا حبيبتي، نحن هنا في مأمن من كل خطر وشر .

ولم تستطع سلمى أن تطمئن ، لم يستطع الاطمئنان أن يعرف إلى ذلك القلب الطاهر البريء طريقاً، وإذا بالباب يفتح وتطل منه صاحبة الدار ، ابنـــة الخمسين ، وهي تحمل بيديها صينية عليها زجاجة كونياك وكأسان ، وبعض الأثمار والخضار والفستق واللوز . . وفنجان شاي . . ودون أن تنطق المرأة بحرف ، تقدمت من الحبيبـــين لتضع الصينية أمامهما على منضدة صغيرة وتعود أدراجها وتقفل البـــاب وراءها . .

وتناول شفيق فنجـــان الشاي يقدمه لسلمى : تفضلي يا حبيبتي ، تفضلي إشربي الشاي . . وبيد باردة مرتجفة صفراء تناولت سلمى الشاي من يد شفيق هامسة : شكراً يا حبيبي. قالت هذا وراحت ترشف الشاي وهي منصرفة الى التفكير.

وعاد الصمت البارد الفسيح يخيم فوقها ، وعـــاد شفيق إلى التدخين بنهم وجشع ، وصب الكونيـاك في كأسه ، ورفع الكأس بيـــده ليهمس في أذن سلمى : إنني أشرب نخب حبنا المقدس الشريف يا حبيبتي ، وغمزها بعينه !.وهمست سلمى : شكراً يا حبيبي . .

وانتهت سلمى من احتساء الشاي ، وصب شفيق لهـــا

الكونياك وقدم لها الكأس : خذي اشربي وانعشي قلبك يا حبيبتي . .

وترددت سلمى في تناول الكأس من يد شفيق ، وقالت : لا ، لا يا شفيق ، لا يا حبيبي ، دعني من الخمرة ، أنا لا أرتاح إليها . .

وألحّ شفيق وأصرّ : أرجوكِ يا سلمى لا ترفضي طلبي، كأساً واحدة فقط تساعدك على احتمال البرد القارس وتطرد عنكِ الهواجس والأوهام . .

وامتدت اليد الباردة الصفراء الى الكأس تتناولها من يد شفيق ، ورشفت رشفة منها ووضعتها على المنضدة : وقدم لها اللوز والفستق، وراحا يشربان ويأكلان ويتحدثان ويتناجيان. وشعرت سلمى برعشة حارة تسري في عروقها وقد تناولت الكأس الثانية ، ونسيت أمها ، واضمحلت تلك الهواجس والأوهام من رأسها ، وانتشت بكلمات الحب يسكبها شفيق في أذنيها شجية عطرة الشذا .

ومد شفيق يده إلى شعر سلمى يداعبه وهو يسكب في أذنيها كلماته الحالمة العطرة ، وطوقها بذراعه وطبع على خدها قبلة ملتهبة حمراء ، وألقت سلمى برأسها الواهي إلى صدر حبيبها شفيق وأغمضت عينيها ، ورأى شفيق الفرصة سانحة لإلقاء الشرك ، وضمها الى صدره بقوة وجنون ، وضاعت سلمى بين يديه، ولم تتمكن من إبداء أي مقاومة .

ضم ، وقُبل ، وعنـاق ، وكلمات حب ملتهبـة الحروف ، وكأس مترعة ، وغرفة مقفلة النوافذ والأبواب ، وسرير . .

وانقضت ساعات الليل الباردة، محمومة على العاشقين المتيمين وغابت سلمى في سكرها وفي تهورها وفي حبها ، وذابت بين يدي شفيق ، وعندما استفاقت مع مطلع الفجر البعيد كانت الفتاة العذراء قد فقدت كل شيء !

وبكت سلمى ، وذرفت الدموع الغزيرة الحمراء وقـد اكتشفت الحقيقة المرعبة الرهيبة ، وتمتمت في إذن شفيق من خلال دموعهـا الحمراء : شفيق لقد قضي عليّ ! قضي على مستقبلي وعلى سعادتي وعلى شرفي وعلى سمعتي وعلى كرامتي !

فضمها شفيق إلى صدره برفق وحنـان.وهمس : اطمئني يا حبيبتي اطمئني ، أنت لم تفقـدي شيئاً ، لا كرامتك ولا سمعتك ، ولا شرفك ، أنا هنـا لأدفع عنك كل أذى وشر ، لن أتخلى عنك !

وطوقت سلمى الترك حبيبهـا شفيقاً بذراعيها ، وشدته إلى صدرها بقوة استمدتها من ضعفها وعيائها ، وكأنها تخشى أن يفلت شفيق منها ، وتمتمت : شفيق ، لقد قيل أن ليس هناك أي شاب يتزوج من فتاة سلمته نفسها قبل الزواج . . انني لأخشى أن تبعد عني وتنأى بعد ان نلت مني كل ما تشتهي وتروم . .

فشدها شفيق إلى صدره، وهمس : أنا لست من أولئـك

الشبان ، ولست من أولئك الذئاب الذين يفترسون النعاج ثم يولون الأدبار . ثقي أن شفيقاً سيظل الحبيب المخلص الوفي لحبيبته سلمى طيلة العمر . كوني على اطمئنان يا سلمى . . لا تخافي يا حبيبتي .. ألا تثقين بشفيق؟

قالت ، ويداها تطوقان عنقه : أنا أثق بك وبحبك ثقة عمياء يا حبيبي . لو لم تكن الثقة غامرة قلبي وروحي لما رافقتك إلى هنا ، ولما دخلت معك إلى هذه الغرفة ولما تورطت معك ، ولما جدت عليك بكل شيء .. ولكنني أخشى أن يدهمنا الوقت وأن يفوت الأوان ، أخشى أن يتأخر موعد زفافنا وتكون الفضيحة الكبرى .

قال : قلت لك وأعيد القول : لا تخافي. أنا لن أقعد عن الإنقاذ ، لن أتقاعس عن إصلاح الهفوة التي ارتكبتها ، لن أتأخر في التكفير عن الجريمة . أياماً قليلة وأنتهي من تأسيس شركتي وأمسك بيدك وأسير بك إلى حيث يعقد زفافنا ونحتفل احتفالاً رائعاً فاتناً بهيجاً ..

فاطمأنت سلمى الترك وحبيبها شفيق يغدق عليها الوعود والعهود .. وآمنت بتلك العهود والوعود .. شفيق من يقف مكتوف اليدين يتفرج عليها . لا ، لا ، شفيق لن يقدم على هذه الجريمة وهو من الشهامة والنبل والشرف في أعلى مقام ..

ووثبت سلمى من السرير ترتدي ثيابها . . واقتربت من النافذة ترفع الستائر عنها لتقول :

– يبدو أن العاصفة قد هدأت، والمطر انقطع عن الهطول، نستطيع أن نعود إلى بيروت يا حبيبي ..

ورمق شفيق وهبي ساعته بنظرة سريعة، فإذا الساعة تشير إلى الرابعة من الفجر .. ووثب من السرير يرتدي ثيابه . . وهمس : كما تريدين يا حبيبتي .. تريدين أن نعود إلى بيروت الآن .. فلنعد الآن فوراً ..

الآن ؟ .. الآن بعد أن نفذ خطته المرسومة الدنيئة يستطيع أن يعود إلى بيروت .. وانتهى من ارتداء ثيابه .. والتفت إلى سلمى هامساً :

– انتظريني برهة هنا . سأضع في يد صاحبة الدار بعض النقود وأعود إليك .

قال هذا وخرج من الغرفة ليتجه إلى غرفة صاحبة الدار .. ولاح منه أنه ليس بالغريب في تلك الدار ، فهو يعرف أين تقع غرفة المشرفة على الخريف ، وسار إلى تلك الغرفة تواً يقرعها! وفتح باب الغرفة وأطل منه الوجه المطل على الكهولة، وهمست المرأة : ما بك يا شفيق ؟

قال شفيق : أنا ذاهب ! ماذا تأمرين يا عفيفة ؟

إسمها عفيفة ، وبينها وبين العفة وهدة واسعة المدى عميقة الغور ! .

ومدت الست عفيفة يدها وهمست : هات خمسين ليرة لبنانية ..

وارتسمت الدهشة على وجـــه شفيق ، وهمس بتساؤل واستفهام : خمسون ليرة لبنانية ؟!

قال عفيفة : أجل خمسون ليرة لبنانية ..

فعاد إلى السؤال : خمسون ليرة لبنانية ؟ . أجرة غرفـة لساعات قليلة ؟ .. هل نسيت أنك تقاضيت مني عشرين ليرة لبنانية الأسبوع الماضي ؟ ألستُ من زبائنك الدائمين؟

وتمتمت عفيفة : لا تساومني ، ألم تكن مرتاحاً إلى الغرفة وإلى السرير ؟ في المرة السابقة لم تكن برفقتك فتاة صغـيرة السن مثل هذه الفتاة، كانت رفيقتك في الأسبوع الماضي أمرأة في مثل عمري ، وأعلم إنني مسؤولة عن كل ما حدث لهـــذه الفتاة في داري، ثم في المرة السابقة تناولت العرق مع خليلتك، أما هذه المرة فقد تناولت الكونياك ، وأنت تعلم أي فـرق كبير بين ثمن العرق وثمن الكونياك !

فمد يده إلى جيبه ليخرجها قابضة على ورقة من فئة الخمس والعشرين ليرة لبنانية دفع بها إلى صاحبة الدار وهو يتمتم :

— خذي ، هذه تكفي الآن ..

فلم تمد عفيفة إلى الورقة النقدية يداً ، وتمتمت بجزم :

— هات خمسين لـيرة ولا تساوم ، أنت تعلم أنني أعرض نفسي للسجن وأعرض داري للإقفال في استقبال أمثالكما من *العاشقين ، إن الخدمة التي أقدمها لكم ، أنتم معشر العشاق* لا تقدر بثمن ، هات خمسين ليرة ولا تساوم .

قال : ولكنني لا أحمل إلا هذا المبلغ يا عفيفة ، سأعوض عليك في المرة المقبلة !

فتناولت الست عفيفة الورقة النقدية من يده بتذمر وتأفف وتمتمت : لي بذمتك إذن خمس وعشرين ليرة !

وكانت عفيفة متساهلة مع شفيق كل التساهل ، فهي لا تريد أن تخسر « زبوناً » هو من خيرة زبائنها الكرام ، لا يكاد يمضي أسبوع إلا ويطل عليها شفيق ممسكاً بيد أمرأة جديدة !

وابتسم شفيق وهمس : اطمئني يا عفيفة ، شفيق سيقوم بأداء ما عليه من واجب مفروض !

قال هذا ، وعاد أدراجه إلى حيث تقيم سلمى منه على انتظار وأمسك بيدها هامساً : تعالي يا حبيبتي تعالي !وسارت سلمى برفقته ، تماماً كما تسير النعجة برفقة الجزار ! ودلفا معاً إلى السيارة ، وفتح شفيق باب السيارة وهمّ بالدخول ،ووقفت سلمى تقول له ، قبل أن يدخل إلى السيارة :

— ما بك يا شفيق ، هل نسيت أن السيارة معطلة ؟ ألا تريد إصلاحها ؟

فابتسم شفيق وهمس ، سأجرب ، قد يدور محركها الآن ، بعد أن جفت عنها المياه ..

وأدار المحرك .. أدار المحرك دون عناء .. لم تكن السيارة معطلة ، لقد أوهم شفيق سلمى أن السيارة معطلة ليستطيع الدخول بها إلى تلك الدار دون أن يلقى منها أي مقاومة ..

ووثبت سلمى إلى السيـــارة العجوز تجلس قرب شفيق .. وهمست : الحمد لله .. لقد سارت السيارة .. قال : يبدو أن المياه الغزيرة تسربت إلى محركها . . وعندما جفت المياه دار المحرك . . ومضت السيارة بهما في سيرها البطيء وكانت أنوار الفجر البعيد قد بدأت تغمر الفضاء ساكبة ثوبها الجميل على لبنان ، غامرة البحر المتلاطم الأمواج بضيائها لتزيده رهبة وخشوعاً ..

وانطلقت السيارة بهما إلى بيروت . وساد الصمت بينهما ، فلا سلمى تكلمت ولا شفيق .. كان شفيق مرتاحاً كل الارتياح إلى نجاح خطته المرسومة ، وإلى ذلك الانتصار الذي سجله في عالم المغامرات .. وكانت سلمى تفكر بحيلة تقنع بها أمها . . ماذا ستقول لأمها إذا سألتها : أين قضيت ليلتك ؟ . بماذا ستجيب تلك الأم إن هي سألتها : لماذا تتأخرين في العودة إلى الدار ؟ .. بماذا ستجيب ؟ .. وهل هناك فتاة في العالم تعدم حيلة تنقذ بها نفسها من مثل ذلك المأزق الحرج ؟ .. هل هناك فتاة في العالم تعجز عن خداع أهلها وعن إرغامهم على الإيمان بنقاوة كفها وبنصاعة جبينها ؟ .. كلا .. ليس هناك فتاة تعجز عن ذلك . فالفتاة مهما كانت ساذجة لا تعدم وسيلة تخدع بها أهلها وتحملهم على الإيمان بكل ما تزعم وتقول ...

ووصلت السيارة بهما إلى بيروت .. والتفت شفيق إلى حبيبته سلمى يقول وقد وصلت بهما السيارة إلى حرج بيروت:

إلى أين ستذهبين الآن ؟. وهمست سلمى: إلى الدار.. سأشخص تواً إلى الدار لأطمئن أمي إلى سلامتي . من المؤكد أن أمي في قلق شديد عليّ .. وأدار شفيق وهبي مقود السيارة فاتجهت بها إلى محلة المزرعة ..

وهناك ، أمام دار سلمى أوقف شفيق السيارة.. والتفتت سلمى إلى الحبيب المدنف الولوع تقول : متى سأراك يا شفيق؟ قال شفيق : اليوم .. لا .. أنا سأشخص إلى داري لأن ماما ستكون قلقة الخاطر عليّ . وسأنام طويلاً وقد يمتد بي النوم حتى المساء . قالت : أما أنا فلن أستطيع النوم ، لن أستطيع أن أرتاح .. إنني مجبرة على الذهاب إلى الشركة في تمام الساعة الثامنة . الساعة الآن تشير إلى الخامسة ، أمامي ثلاث ساعات أرتاح خلالها قليلاً ثم أشخص إلى الشركة. سأراك غداً يا حبيبي... قال : كما تريدين .. قالت : أين ؟ قال: حيث تريدين .. قالت : هناك في المطعم، في محلة الروشة . سأكون عندك في الساعة الثانية من بعد ظهر غد ، فعاد إلى التمتمة : كما تريدين ..

وترجلت سلمى من السيارة هامسة : إلى اللقاء يا حبيبي ..

وهمس شفيق : إلى اللقاء يا سلمى ..

وسار شفيق وهبي بسيارته الهرمة العجوز والارتياح يملأ حنايا روحه وقلبه . لم يشعر شفيق وهبي بالندم . ولم يحس بهول الجريمة النكراء التي ارتكبها . لم يشعر بشيء من وخز الضمير ، كان ضميره قد تحجر . لم يعد شفيق وهبي يملك ذرة

من ضمير .. والويل كل الويل للبشرية من إنسان مات ضميره وأصبح وحشاً مفترساً ضارياً مخيفاً .

ودخلت سلمى الترك إلى دارها بقدمين واهيتين مرتجفتين.. وإذا بأمها تثب إليها والدموع تغمر عينيهـا . . لم تكن تلك الأم قد ذاقت طعم الرقاد طيلة ذلك الليل. كانت نجيبة الترك قد قضت ليلها قلقة الخاطر مضطربة الفؤاد دامعة العين وهي تفكر بإبنتها الحبيبة سلمى ، ماذا حل بسلمى ؟ ماذا دهاها ؟ ماذا أصابها ؟ . لماذا لم تعد إلى الدار ؟ أيكون قد حل بهـا مكروه ؟ أتكون قد نزلت بها كارثة ؟ يا ويلها .. يا ويلها..

وأقامت نجيبة الترك طيلة ذلك الليل على ألم وقلق وحيرة ودموع حتى إذا بزغ الصباح وأطلت سلمى وثبت الأم إليهـا عاتبة مؤنبة قائلة : سلمى ! .. ما بك يا إبنتي ؟ . . لمـاذا تأخرت في العودة إلى الدار . لقـد أقلقت خاطري عليك يا سلمى . أثرت هواجسي ، لم أستطع أن أنام ، لم أستطع أن أهدأ ولا أن أطمئن . هل هناك فتاة تعود إلى دار أهلهـا في مثل هذه الساعة من الصباح ؟ تعالي إلى هنا . . أخبريني أين كنتِ ؟..

وألقت سلمى بجسدها الواهي المضطرب النحيل على المقعد القريب وقالت : أوه .. كم أنا تعبة يا أماه . . وجلست الأم لتقول : ما بك.. إن التعب يبدو واضحاً على محياك يا سلمى؟ ما بك ؟ أين كنت ؟ .. أين قضيت ليلة أمس ؟ قولي لي ماذا

حل بك ؟

وطفت على شفتي سلمى ابتسامة واهية صفراء وقالت : إطمئني يا ماما .. ليس ثمة ما يخيف..فعادت الأم تشد كتف ابنتها وتتمتم : ولكن أين كنت ؟ أريد أن أعلم أين نمت هذه الليلة ؟ وارتسمت الابتسامة على شفتي سلمى وهمست : هل يلوح لك مني أنني عرفت طعم الرقاد ؟ قالت الأم : لا .. يلوح لي إنك منهكة القوى ، متعبة ، شاحبة اللون.ما بك ؟ قالت سلمى والابتسامة لا تفارق شفتيها : أنا لم أنم طيلة الليل يا ماما ، لقد قضيت الليل في الشركة ، في العمل . . لقد اقترب العام من نهايته ، والمدير يريد أن يصفي حسابات الشركة كلها قبل انتهاء العام . كل الموظفين العاملين في قسم المحاسبة قضوا ليلة أمس في العمل ، وأنا منهم .

فضمت الأم ابنتها إلى صدرها والدموع تترقرق في عينيها وقالت: يا روح أمك. تسهرين الليل كي تنفقي عليّ وعلى أختك؟ إنك لنبيلة يا سلمى، يا لك من ابنة وأخت حنون تجود براحتها وبسعادتها من أجل أمها وأختها ، فليوفقك الله يا إبنتي وليبعد عنك أولاد الحرام...وهمست سلمى : هذا واجب مفروض علي يا أمي. فليبقك الله وليحرس أختي الحبيبة نجلاء .. ونهضت الأم لتقول : سأهيىء لك الحليب والشاي يا إبنتي . قالت سلمى : لا يا ماما .. لن أتناول شيئاً . أريد أن أنام ساعتين .. ساعتين فقط . أرجوك أن توقظيني في تمام

الساعة السابعة والنصف كي أستطيع أن أكون هنـــاك في الشركة الساعة الثامنة .

وضمت الأم إبنتها إلى صدرها برفق وحنان والدموع تترقرق في مقلتيها وهمست : ألا تستطيعين أن تتخلفي عن الذهاب إلى الشركة اليوم بعد أن قضيت الليلة ساهرة فيها ؟

قالت سلمى وهي تفلت من يد أمهـــا وتهم بالدخول إلى غرفتها : لا يا ماما .. لا يا حبيبتي قلت لك أن الأعمـــال كثيرة في الشركة . علينا أن نعمل الليل والنهار كي ننهي هذه الأعمال ..ودخلت سلمى إلى غرفتها من الدار .. وجثت الأم تضرع إلى الله كي يحفظ إبنتها ويبعد عنهـــا أولاد الشر والسوء ..

ونزعت سلمى ثيابها بعياء ، وارتدت ثياب النوم واندست في سريرها لتستغرق في نوم سحيق عميق ولم تستفق من نومها إلا على صوت أمها تناديها : سلمى ! .. سلمى ! .. إنهضي يا إبنتي .. إنهضي يا حبيبتي . الساعة تدق السابعة والنصف . قومي يا سلمى . إنهضي يا مامـــا ونهضت سلمى وجلست في سريرها تفرك عينيها بعناء وتعب ، وقدمت الأم لهـــا القهوة والحليب قائلة : خذي يا حبيبتي خذي اشربي ..وتنـــاولت سلمى الفنجان من يد أمها وجلست في سريرها ترشف ما فيه والنعاس يستبدّ بها ..

وأقبلت نجلاء، ووثبت إلى شقيقتها سلمى تعانقها هامسة :

– لقد أقلقت خاطري يا أختي،حلمت حلماً مزعجاً رهيباً ليلة أمس ، حلماً أخافني وأرعبني ..

فابتسمت سلمى لشقيقتها نجلاء وتمتمت : ما هو هذا الحلم يا أختي ؟

وتمتمت نجلاء وهي تجلس قرب أختها وأمها على السرير :

« رأيتك في الحلم واقفة على شفير وادٍ سحيق عميق الغور، وشاهدت أفعى سوداء،سوداء بلون الليل القاتم تنساب اليكِ ، والنار تندلع من عينيها،ووثبت الأفعى إليك تلتف على رجليك، ثم تنساب إلى عنقك لتلتف حوله وتشده بعنف ، وجحظت عيناكِ ،فذعرت، وخفت ، ووثبت إلى الأفعى الرقطاء أحاول ضربها بعصى غليظة ، فما كان من الأفعى القاتمة السواد ، إلا أن ارتدت إليّ فلسعتني في صدري ، ثم هوت بكِ إلى الوادي السحيق، وأخذت أرتجف من الخوف،ورحت أبكي وأولول، أختي .. أختي .. واستفقت فإذا بي أبكي وقد بللت دموعي وسادتي .. »

ووجمت الأم وقالت : نجنا يا رب من هذا الحلم المخيف .. وضحكت سلمى وقالت : إنها أضغاث أحلام ، وهل كانت الأحلام لتصدق يوماً ؟...ووثبت سلمى من السرير ترتدي ثيابها بوهن وعناء ، وهمت بالخروج من المنزل ، إلا أن أمها أبت عليها الخروج قبل أن تتناول طعام الصباح ، وأرغمتها على تناول القليل من الطعام ..

وخرجت سلمى من المنزل.وسارت باتئاد خطى ، إلى محطة القطار لتستقله إلى عملها ، وهي منقبضة النفس ، تعبة الجسد كسيرة الفؤاد ، ووصلت إلى الشركة ، وبدأت العمل بوهن وتعب وعياء .. كانت منهكة الجسد ، مرهفة الأعصاب ، الهواجس تقلقها ، والنعاس يكاد يطبق أجفانها ، وراحت تفكر ، كانت تفكر بحبيبها شفيق ، إنها في اشتياق رحيب إليه .. هي لن تراه اليوم إلا أنها ستراه غداً.في الساعة الثانية ستكون معه في ذلك المطعم الذي اعتادت لقاء الحبيب فيه ..

ومضت الساعات ثقيلة باردة على قلب سلمى.. تعمل بعياء وتتثاءب وتلقي برأسها الواهي بين يديها من حين إلى آخر والتعب يهدّها هداً .. وما أن حان موعد الإنصراف ، حتى أسرعت سلمى بالخروج من الشركة لتعود إلى الدار فتدخل إلى غرفتها وتنزع عنها ثيابها وترتدي ثياب النوم وتندس في سريرها وتستغرق في نوم عميق شاسع رحيب ..

ولم تستفق من النوم ، إلا والشمس قد توارت وراء الأفق البعيد ، ونهضت من السرير لتتناول القليل من الطعام، ثم تعود إلى النوم .. وفي صباح اليوم التالي استفاقت سلمى على صحة وعافية ونشاط وارتياح ، وشخصت إلى الشركة والأمل الباسم الوارف الظلال ، يغمر حنايا قلبها وروحها . في الساعة الثانية بعد الظهر ستلتقي بحبيبها شفيق ، موعدها معه الساعة الثانية، ساعات قليلة وتجلس قربه في ذلك المطعم الفسيح المطل على

البحر الأزرق الجميل ، وتنعم بالتحدث إليه ، وبالنظـــر إلى وجهه الباش وإلى ثغره الدائم الابتسام ، وراحت تعمل بهمة ونشاط ، وهي ترمق الساعة المشدودة إلى معصمهـا بنظرات سريعة عاجلـة . .

ومضت الساعات على بطء واتئاد ، وتمنت سلمى لو أن عقربي الساعة يسرعان في المسير ، تمنت لو أن الساعة تثب تواً إلى الثانية لتحظى بمرأى الحبيب ، إلا أن الأمنية العذبـة لم تتحقق، لم تثب الساعة المعاندة إلى الثانية فوراً، بل هي مضت في إطلاق نبضاتها على مهل واتزان .. وقبل أن يحين موعـد الإنصراف بقليل راحت سلمى تسرّح شعرها وتخضّب شفتيها بالأحمر وتصبغ وجنتيها بالأبيض وتسكب العطر على راحتيها، هي تريد أن تروق في عيني الحبيب الولوع ..

وما أن حان موعد الإنصراف حتى أسرعت سلمى الترك بالخروج من الشركة لتستقل سيارة تاكسي وتطير بها إلى محلة الروشة ، وانطلقت السيارة بها وقد جلست على المقعد الجلدي الرجراج وهي فرحة سعيدة .. بعد دقائق قليلة ستشاهـــد شفيقاً ، شفيق سيكون بانتظارها في ذلك المطعم، يا لفرحتها الهانئة السمحاء بلقاء حبيب الروح.. ووصلت السيارة بها إلى محلة الروشة ، وأشارت إلى السائق بالوقوف أمام ذلك المطعم، وأوقف السائق السيارة ، فنقدته سلمى أجرته ، ووثبت من السيارة لتدخل إلى المطعم باحثة عن شفيق ..

ولم يكن شفيق جالساً على ذلك المقعد الذي اعتاد الجلوس عليه هناك في آخر المطعم، عند الزاوية المطلة على البحر..أين هو شفيق ؟ قد يكون هناك ، في الزاوية الثانية..واتجهت إلى هناك ، إلى الزاوية الثانية، إلا أنها لم تجده..ومضت في البحث عنه ، بين رواد ذلك المطعم ، إلا أنهـا لم تقف له على أثر .. وقلقت ، ورأت أن تجلس على ذلك المقعـد الذي اعتادت الجلوس عليه .. قد تكون الأعمال الكثيرة ، وقفت بينه وبين الوصول إلى المطعم في الموعد المضروب ، هو سيحضر بعـد قليل ، من المؤكد أنه سيحضر ، فلتنتظر حضوره . .

وانتظرت ، وطال انتظارها دون جدوى ... وبـدأت الهواجس والأفكار القاتمة السواد تعذب فؤادها وتقلق خاطرها، ما بال شفيق يخلف موعده معها ؟ هـذه هي المرة الأولى التي يتخلف شفيق عن الحضور إليها في الموعد المضروب.. أيكون مريضاً ؟ أيكون في خطر ؟ أيكون في مصاب أليم؟وتـكاثرت الأفكار في رأسها ، وكلها أفكار قاتمة السواد ..

وأقبل الخادم ينحني أمامها هامساً : أمر ؟

قالت : إليّ بفنجان قهوة ..

وذهب الخادم ليعود ، بعد قليل ، حاملاً لهـا القهوة . .

وجلست سلمى ترشف القهوة وتدخن وتفكر وتحـدق بأمواج البحر المتلاطمة الهوجاء ، وطال جلوسها وطـال انتظارها ، وطال تفكيرها ، ودقت الساعـة معلنة الثالثة

وشفيق لم يطل ، وأشارت الساعة إلى الثالثة والنصف وشفيق لم يبن له أثر .. وأعلنت الساعة الرابعة وشفيق لم يحضر . .

واشتد القلق بسلمى ، ودهمتها الهواجس مقلقة رهيبة سوداء ، وأدركت أن شفيقاً ، لن يحضر ، فوقفت لتسير بقدمين واهيتين وتخرج من المطعم لتستقل سيارة تاكسي ، وتعود إلى دارها كسيرة الخاطر ، دامعة العين ، مهيضة الجناح .

٨ | طريق الدموع . . .

أقامت سلمى الترك على دمع وألم وشجون.بعاد شفيقعنها أذلها وأمضها وأنهك قواها .. باتت سلمى حزينةالقلب دامعة العين،لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم ، فهي دائمـــة الصمت ، تائهة النظرات شاردة الذهن ، تدخن باستمرار وترشف القهوة بجشع وعطش ونهم. وتفكر .. تفكر بشفيق. أين هو شفيق؟ ماذا حل به ؟.. لماذا هجرها ؟ هل هو مستاء منها ؟ ولكنها تسيء إليه. . هل هـو غاضب عليهـا؟ لا. مستحيل. . هـل ملّ هواها؟ ولكنه يحبها ويتفانى في حبها. . مـا به شفيق؟ لمـاذا يعذب قلبها في بعاده عنها؟ لماذا؟. . ليست تدري لماذا. .

وانقضت الأيام وسلمى الترك غرقى في لوعاتها وآهاتهـــا ودمعها وأساها .. وساءت صحتها ، إلا أنها لم تكن لتأبـه

لصحتها ، لم تكن لتهتم بنفسها بل كانت منصرفة إلى التفكير بحبيبها شفيق .. وراحت تفكر بوسيلة تهتدي بهــا إليه .. راحت تبحث عن صديق يرشدها إلى داره العامرة .. قــد يكون شفيق بحاجة إليها . قد يكؤن مريضاً ، قد يكون واقعاً في ضيق .. عليها أن تبحث عنه وأن تهتــدي إليه .. ولكن أين ستجده ؟ ومن تراه يرشدها إلى داره ؟ ..

وراحت سلمى تفكر وتمعن في التفكير .. وطالتفكيرها دون أن تهتدي إلى حل.. وأخيراً وبعد تفكير طويلاهتدت إلى الحل المنشود . ستسأل موظف الشركة عن دار شفيق . من المؤكد إنها ستجد بينهم من يرشدهـــا إلى داره العامرة الفسيحة الأرجاء. ولكن هل تستطيع أن تسأل احد الموظفين عن دار شفيق ؟ .. وماذا عساه يقول فيها ذلك الموظفوهي تسأله عن دار شفيق وهبي ؟ .. هو سيسألها : مـاذا تريدين منه ؟ .. هل تقول للموظف ماذا تريد منه ؟ . . هل تفضح نفسها أمام الموظف ؟.. لا هي لن تعترف بالحقيقة : لن تقول له : أنا أحب شفيقاً وأتعذب لفراقه ..

ستدّعي ان لشفيق وهبي الموظف السابق في الشركة ، مبلغاً ضئيلاً من المال في صندوق الشركة. هي أمينةالصندوق وعليها أن تؤدي للناس ما لهم بذمة الصندوق. . وراقت لها الفكرة الموفقة . فشخصت إلى رئيس قلم الموظفــين تسأله : الموظف السابق في الشركة شفيق وهبي ، هل تعرف أين تقع

داره ؟ .. ورفع رئيس القلم النظارتين عن عينيه ونظر إليها نظرة عميقة ليسألها : لماذا تسألين عن داره يا ابنتي ؟ . . وتمتمت سلمى : لقد اتضح لي اليوم من مراجعة الحسابات أن للسيد شفيق بذمة الشركة مبلغ عشرين ليرة لبنانية ونصف . أريد أن أرسل إليه المبلغ بالبريد .

فضحك رئيس القلم وقال : لا بأس .. اتركي المبلغ في صندوق الشركة . إن المال الذي اختلسه شفيق وهبي من الشركة والذي جمعه باسم الشركة من عملائنا واحتفظ به لنفسه يفوق بكثير هذا المبلغ الضئيل . لو عمدنا إلى إجراء حساب بيننا وبين شفيق وهبي لاتضح لنا أن للشركة بذمته عشرات الألوف من الليرات ، لا عشرات الليرات . فليطمئن ضميرك الحي ولترتح نفسك النبيلة يا ابنتي .

ووجمت سلمى .. ماذا يقول هذا الرجل المشرف على الكهولة ؟ .. إنه ليؤيد كلام المدير ، يؤيد اتهام المدير لشفيق .. أيكون شفيق مختلساً ؟ أيكون لصاً مجرماً ؟ لا ، لا ، مستحيل. إنهم ليتحاملون عليه في هذه الشركة . غداً ، عندما ينشىء شفيق شركته الكبيرة ستترك العمل في هذه الشركة وتنتقل إلى شركة شفيق .. الى شركة شفيق ؟.. لا ، بل هي ستنتقل الى داره وتصبح زوجته الحبيبة المصون ..

وقالت سلمى بإصرار : انا مسؤولة عن ايصال هذا المبلغ لصاحبه يا سيدي اما انتم فعليكم أن تعمدوا الى تحصيل ما

للشركة بذمة شفيق . هذا ليس من شأني أنا.أريد تسليم شفيق وهبي الليرات العشرين والنصف الليرة إراحـة لضميري . . وضحك رئيس القلم وهمس : يا لقلبك الطاهر النبيل يا ابنتي، حقاً إنك موظفة أمينة حية الضمـير أنا سأرشدك إلى عنوان شفيق وهبي ، قال رئيس القلم هذا ونهض عن مقعده ليتجه إلى غرفة المحفوظات ، ويعود بعد قليل حاملاً ملفاً كبيراً وألقى بالملف على الطاولة أمامه وراح يقلب بعض الأوراق.. واهتدى إلى اسم شفيق فتمتم : شفيق وهبي .. دخل إلى الشركة في ٧ أيلول عام ١٩٥٢ يحمل توصية من النائب (...) يحمل شهادة البكالوريا .. لم ينل ترقية خلال ثلاث سنوات بسبب إهماله .. حمل توصيات عديدة من نواب ووجهـاء فأمر المدير بترقيته عام ١٩٥٦ .. أعلن عنوانه شارع عبد الوهاب الانكليزي بناية نجيب سليم الطابق السادس .. طرد من الشركة لثبوت اختلاسه وسوء أخلاقه .

وتمتمت سلمى : شكراً .. وخرجت من مكتب رئيس القلم في الشركة والهواجس تعصف بهـا والقلق يعذب نفسها . . ودارت في رأسها عشرات الأسئلة:هل صحيح مـا قال رئيس القلم ؟.. أتكون تلك المعلومات المدونة في الملف صحيحة؟.. ليست تدري ، ليست تدري .. وعزمت على الذهاب إلى دار شفيق ، ستذهب بنفسها إلى تلك الدار وتجتمع بشفيق وتطلعه على كل شيء ..

وما أن انتهى دوام العمل في الشركة حتى كانت سلمى تستقل سيارة تاكسي وتتمتم في أذن السائق : إلى شارع عبدالوهاب الانكليزي .. وطارت السيارة بها إلى شارع عبد الوهاب الانكليزي .. وهناك في ذاك الشارع الفسيح البعيد ترجلت سلمى الترك من السيارة ، وراحت تسأل عن بناية نجيب سليم أين هي ؟ من يعرف أين تقع بناية نجيب سليم ؟ وأرشدوها إلى تلك البناية الشاهقة .

وارتاحت سلمى وهي تدخل إلى تلك البناية الفخمة ! يبدو أن شفيقاً ميسور الحال ، عالي المقام . . لو لم يكن غنياً لما استطاع الإقامة في دار من دور تلك البناية الشاهقة الفخمة الحديثة البناء ..

واستقبلها حارس البناية بالترحيب . . وسألها قبل أن تسأله : ماذا تأمرين يا آنستي ؟

وهمست : أين هي دار السيد شفيق وهبي ؟ ..

ولمعت في عيني الحارس الشاب نظرة هزء وطفت على شفتيه ابتسامة صفراء. وتمتم : شفيق كان يقيم في غرفة صغيرة على السطح ، على سطح هذه البناية . . إلا أنه ترك غرفته منذ شهر ..

ووجمت سلمى .. وشعرت بالوهن والعياء . وهمست : إلى أين ؟ إلى أين ذهب ؟ أين يقيم الآن ؟ وقلب الحارس شفتيه وهز كتفيه. وتمتم : لست أدري ..

قال الحارس هاتين الكلمتين وانصرف عنهـا إلى عمله . . ولاحظت سلمى أن الحارس تخلى عن نظرة الاحترام التي رمقها بها عندما دخلت إلى البناية .. لقد تخلى الحـــارس عن تلك الابتسامة بعد أن سألته عن شفيق . . هل ثمة نساء غيرهـــا يسألن عن شفيق ؟ ليست تدري ..

وخرجت سلمى الترك من بناية سليم تجر رجليهـــا جراً والألم يعصف بها والأحزان تغمر روحها والدموع تترقرق في عينيها .. وبدت الدنيا سوداء في عينيها ، وسارت ، سارت إلى محطة القطار الكهربائي لتستقل القطار وتعود إلى دارهـا على حسرة وشجن وعذاب .. ودخلت إلى غرفتها لترتمي على سريرها وتفرغ كل ما في عينيها من دموع ..

وأقبلت أمها تدعوها إلى تناول الطعام؟ إلا أن سلمى أبت أن تذوق طعاماً.. أتخسر شفيقاً ثم تتناول الطعام ؟ لا..لا.. هي ستنقطع عن تناول الطعام . . ستضرب عن تناول الطعام حتى يعود إليها شفيق..

وجاءت أختها نجلاء تسألها : ما بك يا سلمى ؟ مـا بك يا أختي ؟

وهمست سلمى : لا شيء يا حبيبتي نجلاء . . العمل الشاق في الشركة أتعبني .. أريد أن أرتاح ، أريد أن أرتاح ..

وخرجت الأم والأخت من الغرفة تاركتين سلمى وحدها في الغرفة لترتاح .. ولم تستطع سلمى أن ترتاح ، لم تستطع أن

تعرف إلى الراحة سبيلا.. وجلست في سريرها تبكي وتفكر: ماذا عليها أن تفعل ؟ أين ستبحث عن شفيق ؟ أين ستلقاه ؟ كيف ستستعيده ؟ ليست تدري ..

...

تحوّل الألم والحزن والأسى في قلب سلمى الترك إلى ذعر.. وقد اكتشفت أنها حامل .. حامل ؟ هي حامل ..هل يمكن هذا ؟ واشتد الذعر بها .. ووقفت على قلق ووجوم لا تعلم ماذا عليها أن تفعل .. ماذا ستفعل سلمى لاتقاء الفضيحة ؟ هل تتخلص من الجنين المختلج في أحشائها؟ ولكن كيف ستتخلص منه ؟ كيف ؟ ليست تدري كيف.. هل تهرب من هذه البلاد وتنأى إلى بلاد بعيدة لا يعرفها فيها أحد ؟ ولكن إلى أين ستهرب ؟ ليت عمها عبدالله ما زال على قيد الحياة في المهجر القاصي البعيد ، إذن لهربت وسافرت إليه . . ماذا ستفعل سلمى وليس لها أحد تلجأ إليه وتستعين به على درء الفضيحة واتقاء مصائب الدهر وكوارثه ..

سامح الله شفيقاً .. لقد ألقى بها في النار يتفرج عليها غير عابىء بها.. وغرقت سلمى في آهاتها ولوعاتها ودموعها.. واشتدت الدنيا اسوداداً في عينيها. وكادت تضيع عن حقيقتها. كادت تفقد عقلها ، المصاب الأليم النازل بها تنوء تحته الجبال الرواسي .. وكان كل يوم يمر بها يزيدها تعاسة وبؤساً وعسفاً وشقاء .. وبانت الحياة تافهة في عينيها . أي قيمة لحياة تعيش

فيها الذئاب فساداً وتفتك بالنعاج؟ أين هو الموت لا يثب إليها وينقلها من هذه الحياة الفانية،الملأى بالعذاب والآلام والدموع، إلى تلك الحياة الخالدة ، حياة الراحة والسعادة والهناء؟وتمنت سلمى الترك أن تموت ، ليتها تموت وتخلص من هـذا العذاب الأليم .. تموت ؟ أجل ، لماذا لا تموت ؟ وماذا تنتظر بعد غير الموت ؟ الموت وحده يريحها من عذابها وينقذها من الفضيحة التي تنتظرها ، الموت وحده يغسل عارها ، فلتسعَ إلى الموت ما دام الموت لا يسعى إليها ..

وعادت إلى التفكير بشفيق وهي تفكر بالموت : سامحه الله ، سامحه الله ، لقد قضى عليها القضاء المـبرم ، قضى على شرفها وعلى مستقبلها وعلى سمعتها ، وهو سيقضي على شبابهـا العاطر الريان .. ليتها استمعت إلى نصائح مدير الشركة،ليتها آمنت بكلامه يوم نصحها بالابتعاد عن شفيق.. ولكن، ولكن من كان يصدق أن شفيقاً ، الذي بدا لها بثوب الحمل،هو ذئب مفترس ؟ صدق من قال : « إن عين الحب عمياء ! ».. كانت عينها عمياء فلم ترَ حقيقة شفيق وهبي ، ولا هي شاهـــدت مساوئه وآثامه وشروره ..

لقد ألقى بها شفيق في **طريق الدموع** .. هـــذا الطريق الأسود المخيف الرهيب الذي وصل بها ، إلى هـــذه الوهدة العميقة الغور .. فلتسر في **طريق الدموع** . . حتى النهاية ، حتى القبر ..

وعادت سلمى إلى التفكير بالموت ، فلتسرع في اجتياز الطريق قبل فوات الأوان ، قبل أن تدهمها الفضيحة وتصبح عاجزة عن اتقائها .. وتجسمت فكرة الموت في رأسها ، يجب أن تموت ، يجب أن تموت . . لقد حكمت سلمى على نفسها بالموت ..

ولكن كيف ستموت؟ بالسم؟ لا . . السم يحمل إليها الموت إلا أنه يحمل مع الموت العذاب.. وقد لا ينجع السم في القضاء عليها . بماذا ستموت إذن ؟ بالرصاص ؟ لا ، لا ، من أين لها المسدس كي تطلق منه الرصاص على نفسها ، بماذا إذن ؟

وانغمست سلمى في التفكير الشاسع البعيد العميق . . كيف ستموت ؟ كيف ؟ .

ولمع في رأسها خاطر سريع بعيد ، أتسأل كيف ستموت وهناك محلة الروشة ؟ وهناك صخرة الانتحار الجاثمة في قلب البحر ، على أنفة وروعة رهيبة وشموخ . . الصخرة تلك هي صخرة العشاق . هي صخرة المعذبين على هذه الأرض ، هناك عند أقدامها صعدت مئات الأرواح إلى خالقها . . ما للعشاق المعذبين ، إلا تلك الصخرة يلقون بأنفسهم عندها ويخلصون بين أحضان أمواجها من الحياة المرة المذاق . .

واطمأنت سلمى الترك ، وقد وصلت بتفكيرها عند هذا الحد ، وعزمت على الانتحار .. عزمت أن تلقي بنفسها من فوق صخور الروشة وتصل إلى البحر جثة هامدة لا حراك بها

ولا روح و.. تتخلص من الحياة ومن الفضيحة دفعة واحدة..

وفي صباح يوم هادىء صافٍ جميل من أيام الربيع الأخضر الريان ، أبكرت سلمى في النهوض من النوم . . وجلست في غرفتها تخط كلمات قليلة :

« والدتي الحبيبة ! اختي نجلاء ! اودعكما والألم يحز في قلبي، أنا راحلة عن هذه الحياة غير آسفة لفراقها . . سامحاني على ما ما سأحمله لكما من حزن بسبب انتحاري . . أذكراني وترحما عليّ وأسلما يا أعز الناس إلى قلبي ..»

وطوت الرسالة ووضعتها على الوسادة ، وارتدت ثيابها ووثبت إلى أمها تقبلها قبلات حارة يغمرها الشوق والحنين ، وانتقلت إلى أختها نجلاء تضمها إلى صدرها بقوة وتنهال عليها بالقبل .. ثم خرجت من الدار والدموع تترقرق في عينيها الحلوتين ، وخيل للأم والأخت أن سلمى شاخصة كعادتها إلى عملها ، إلا أن سلمى لم تشخص إلى شارع اللنبي ، لم تشخص الى الشركة،بل هي استقلت سيارة الى محلة الروشة.. وهناك، هناك عند صخرة الانتحار ، أمام ذلك المطعم الذي كانت تجلس فيه مع شفيق ، مع حبيبها وعشيقها ، ترجلت سلمى من السيارة ونقدت السائق أجرته ، ووقفت ترمق ذلك المطعم بنظرة ألم وحسرة وحنين .. وشاهدت بعين الخيال نفسها تجلس قرب شفيق، في ذلك المطعم، وهما يتحدثان ويتسامران ويتناجيان ويرمقان الأمواج بنظرات السعادة والهناء ، وقالت في سرها ، وقد استفاقت من الحلم الوارف الظلال : هل كنت

أفكر يوماً بأنني سألفظ أنفاسي فوق هذه الصخور؟ هل كنت أحلم بأن تحتضن هذه الأمواج جثتي الباردة المشوهـــة ؟ يا لسخرية القدر ، ويا لهزء الأيام بأحلام الإنسان وبأمانيه ..

وسارت ، سارت بخطوات ثابتة نحو البحر، ووقفت فوق صخرة ناتئة عالية سوداء .. ونظرت إلى الأفق البعيـد ، ثم حوّلت نظرها إلى الأمواج المتكسرة فوق الصخور، وهمست في سرها : يا رب ! . إرحمني يا رب.وأغفر لي خطاياي . . ودون تردد ، ألقت سلمى الترك ، بنفسها بين أحضان الأمواج الساجية الهادئة الزرقاء ..

٩ فوق الصخور

– فتاة غرقى ! .. أسرعوا .. أسرعوا . . أسرعوا لإنقاذها . أسرعوا . .

وكان الداعي لإنقاذ الفتاة أحد خدم تلك المقاهي والمطاعم والملاهي، المنتشرة في محلة الروشة على وفرة وأناقة واعتداد..

وهب الكثيرون من الخدم ، ومن رواد الملاهي ، ومن سائقي السيارات لتلبية الدعوة . وهرعوا إلى البحر ليشاهدوا الفتاة الحسناء كدمية بين أيدي الأمواج الساجية الزرقاء . .

وتعالت الهمسات والقلق يطل من العيون : مسكينة.. هي في مطلع الشباب .. لماذا انتحرت ؟ لماذا ألقت بنفسها في البحر ؟ .. إنها يائسة بائسة . قست عليها الحياة . . يا ضياع صباها...

وأسرع البعض إلى الإتصال برجال الاسعاف ، في حين انصرف البعض الآخر إلى الاتصال برجال الإطفاء . وأسرع

البعض إلى الإتصال برجال الشرطة . . وقبل أن يصل رجال الاسعاف وقبل أن يقبل رجال الإطفاء. وقبل أن يطل رجال الشرطة ، كان أحد سائقي السيارات ، وهو سبّاح مـاهر ، يثب إلى البحر ، ويندفع وراء الفتاة بسرعة وقوة وعزم . . وبدأ الصراع العنيف بين الأمواج والسائق السبّاح .

الأمواج تحاول الإستئثار بالفتاة،والسباح يحاول إنقاذها.. ويندفع السائق السباح نحو الفتاة بقوة وسرعة . ويكاد يقترب منها ، وإذ بالأمواج تتقاذفها وتبعدها عنه ..

ويـعــود إلى المـحــاولــة مجــدّداً . . وتــعــود الأمــواج إلى المناورة ، تقرّب بالفتاة منه حيناً ، ثم تعود بهـا الى الابتعاد عنه أحياناً ...

وطال الصراع بين الشاب والأمواج . . . وكادت الأمواج تتغلب على السبّاح ، إلا أن السباح استطاع بعد جهد وعناء ، أن يصل الى الفتاة فيمسك بشعرها ويجذبها إليه ، ثم يطوق خصرها بيمناه وينصرف الى التجذيف باليسرى ، ويعود بهـا الى الشاطىء بعياء وجهد وعناء ..

وكان رجال الإطفاء ورجال الإسعاف ورجال الشرطة قد وصلوا .. فوثبوا الى مساعدة الشاب على إنقـــاذ الفتاة ... واستطاعوا إنقاذ الغادة الحسناء من براثن الأمواج . . وتسلمها رجال الاسعاف ، فأجروا لها الإسعافات السريعة ، ثم حملوها بسيارتهم البيضاء الى مستشفى«أوتيل ديو» وهي فاقدةالرشد.

وانصرف أطباء المستشفى الى معالجـة الفتاة ، ولاح لهم الموت يرفرف بأجنحته السوداء فوق سريرها فعمـــدوا الى مضاعفة الجهود ... وطالت محـــاولة الإنقاذ ، وكاد الموت يتغلب على الأطباء وينتزع الفتاة الجميلة من بين أيـــدي أطباء المستشفى ، إلا أن الأطباء استطاعوا أن يدفعوا الموت عنهـا بعد عناء طويل ومعالجة سريعة شديدة ..

وارتاح الأطباء وقـــد أنقذوا الفتاة من الموت . . ونقلت الحسناء الى غرفة بيضاء من غرف المستشفى وهي غـارقة في إغماء شديد ..

وجاء رجال الشرطة يحققون .. وسألوا من هي الفتاة ؟. ولم يلقوا جواباً على سؤالهم ، ولم يجدوا من يقول لهم من هي الفتاة .. وكان عليهم أن ينتظروا إفاقتها.. وانتظروا ساعتين متواصلتين .. وبعد ساعتين فتحت الفتاة الحسناء عينيهـــا وقالت : أين أنا ؟ . واذا بشرطي ينتصب أمــامها هامساً : الحمد لله على السلامة...وأعـادت السؤال : أين أنا ؟ .. وإذا بالممرضة تطلّ عليها ، وتقترب من السرير والابتسامة تشع على شفتيها . وهمست الممرضة : الحمد لله على السلامة يا أختي .

وأدركت سلمى أين هي وهي تشاهد الممرضة في ثوبهـــا الناصع البياض .. هي في المستشفى !.. ولكن كيف وصلت الى المستشفى؟..ولماذا تقيم في المستشفى ؟ أتكون مريضة ؟.. وراحت تتذكر .. فتذكرت أمها.. وأختها نجلاء.. والعمل

في الشركة .. و.. وشفيق..

وفجأة وثبت الذكريات الى رأسها على سرعـــة واندفاع فتذكرت كل شيء .. تذكرت اليأس والألم والعذاب..والبحر والأمواج والانتحار .. وأدركت أنها لم تمت . . أدركت أن الموت ، هرب منها.. ورفعت يديها الى وجهها تخفي بهما ذلك الوجه الأصفر النحيل.وأخــذت تجهش بالبكاء . وأمسكت المرضة بيدها توآسيها وتخفف عنها وقد أدركت أن ثمة كارثة رهيبة حلت بتلك الحسناء .. وهمست المرضةفي أذن سلمى : خففي عنك يا أختي .. مصائب الأقدار كثيرة . ليس لنا أن نيأس كلما دهمتنا مصيبة أو كلما نزل بنا مكروه . علينـا أن نجابه الأقدار بشجاعة وجرأة وصبر . . علينا أن نتكل على الله يا أختي ، والله لا يخيب آمال المتكلين عليه ..

ومضت سلمى التركة في سكب الدموع الغزيرة ... وإذا بالشرطي يتقدم منها متمتماً: هل أستطيع أن أقف من حضرة السيدة على سبب انتحارها ؟ولم تجب سلمى بحرف . . وأعـاد الشرطي على سلمى السؤال وقد جلس على مقعد خشبي قرب سريرها : لماذا ألقيت بنفسك في البحر يا سيدتي ؟

ولم تجب سلمى . .

ورأى الشرطي أن يستعين بالمرضة على انتزاع الكلام من فم الحسناء . ونظر الى المرضة نظرة فهمت معناها، فتقدمت من سلمى هــامسة : يجب أن تجيبي على أسئلة الشرطي يا

أختي . فهو يؤدي واجبه ، وهو لن يتزحزح من هنا قبل أن يقوم بهذا الواجب .. وهمست سلمى : يئست من الحياة فطلبت الموت إلا أن الموت هرب مني .. حتى الموت لا يريدني ..

وتمتم الشرطي : اسمك؟. وأجابت : سلمى الترك. عمرك؟ قالت وهي تمسح دموعها : ٢٤ سنة . قال : أين تقيمين؟ - في محلة المزرعة - من يقيم معك في الدار ؟ - أمي وأختي - وما هو اسم أمك واسم أختك ؟ قالت : أمي اسمها نجيبة الترك وأختي اسمها نجلاء - قال : ووالدك ؟ .

قالت : والدي توفي منذ سنين قليلة - ماذا تعملين ؟ . موظفة في شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية . قال : لماذا حاولت الإنتحار ؟ وتمتمت: قلت لك يئست من الحياة. قال: هل هناك من أساء اليك ؟ قالت : لا ... هل تدعين على أحد ؟ — لا .. قال : أين هو زوجك ؟ قالت : ليس لي زوج . قال: هل تتعهدين بألاَّ تحاولي الانتحار مرة ثانية ؟ . قالت وقد تبرمت بأسئلته : أجل أتعهد ...

وقدم لها الشرطي المحضر طالباً إليها توقيعه وتمتمت سلمى قبل أن توقع على التقرير : أرجوك يا سيدي أن يظل هذا التقرير سرياً . أنت تعلم أي فضيحة تلحق بي إذا نشرت الصحف خبر محاولتي الانتحار . وابتسم الشرطي وهمس : اطمئني يا ابنتي ، هذا التقرير سيظل سرياً . مهمتنا تنحصر في

المحافظة على سمعة بنات الأسر ، ولن يطلع أحـد على مضمون هذا التقرير . الا أننا سنتصل الآن فوراً بالسيدة والدتك ونطلعها على الأمر .

وبر الشرطي بوعده ... فحرص على سر ما جاء في محضر التحقيق ، وأطلع نجيبة الترك على قصة محاولة الانتحار ...

وهرولت أم سلمى ، وابنتها نجلاء الى المستشفى والذعر يستبد بهما ..

واقتحمت نجيبة الترك المستشفى وهي تولول: إبنتي إبنتي.. أين هي سلمى ؟ .. واعترضت الممرضات سبيلها بقولهن: ماذا تريدين ؟ . من هي إبنتك ؟ وتمتمت أم نجيبة الترك والدموع الغزيرة تتدحرج من عينيها : إبنتي سلمى . . سلمى الترك ... أين هي ؟ وأمسكت إحدى الممرضات بيدها لتقول : إطمئني يا سيدتي .. إبنتك بألف خير .. إنها هناك . هناك في تلك الغرفة . تعالي معي .. وقادتها إلى حيث تحل سلمى . . وكان الطبيب في الغرفة ، كان النطاسي يفحص سلمى ليتأكد من سلامتها .. ووثبت نجيبة الترك إلى إبنتها ترتمي عليها وتهمس بألم وأسى ودموع : سلمى!. سلمى!. يا روح أمك يا سلمى.. يا حبيبتي .. ماذا جرى لك ؟ لماذا حاولت الإنتحار ؟ . وتقدمت نجلاء من أختها تضمها إلى صدرها . . وغرقت الأم والإبنتان في دموعها ..

والتفتت نجيبة الترك إلى الطبيب تقول له وهـــي تمسح دموعها : أرجوك أيها الطبيب أن تعلن لي الحقيقة . . الحقيقة الناصعة البياض . أتكون سلمى في خطر ؟ .. وتمتم الطبيب: لا .. إطمئني يا سيدتي . إبنتك بألف خير..لقد استطعنا أن ننقذ حياتها إلا أننا لم نستطع أن ننقذ الجنـــين المختلج في أحشائها . لقد أجهضت إبنتك يا سيدتي .

ووجمت نجيبة الترك .. وسمرت عيناها في عيني الطبيب وكأنها لا تصدق ما تسمع . ماذا يقول هذا الطبيب ؟ . هل

جن ؟ . سلمى أجهضت ؟ هل كانت ابنتها حاملاً ؟. لا. لا. مستحيل : مستحيل .. واقـتربت نجيبة من النطاسي تمسك بيده وتتمتم بخوف وذعر ووجوم : ماذا تقول يا سيـــدي الطبيب ؟. ماذا تقول ؟. إبنتي حـامل ؟. سلمى أجهضت ؟

وربت الطبيب على كتفها وهمس : حاولنا جاهدين إنقاذ الجنين فأخفقنا ، وانصرفنا أخيراً إلى انقاذ حياة الأم بعد أن تأكدنا من عجزنا عن إنقاذ حياة الولد . الحمد لله على سلامتهـا يا سيدتي .

وشعرت نجيبة الترك بالوهن .. شعرت بالعياء . . شعرت بقدميها ترتجفان ، وبقلبها يسرع النبضات .. وكادت تهوي إلى الأرض ، فيما الطبيب يخرج من الغرفة . . وأسندت كتفها إلى الحائط .. وألقت بجسدها الواهي المرتجف على المقعد الخشبي وهمست : ليتها ماتت .. وأسرعت إبنتها نجـلاء الترك إليها مولولة: ماما !.. ماما..ما بك يا ماما ؟. ما بك يا حبيبتي؟. وحاولت نجيبة الترك أن تجيب ؟. حاولت أن تتلفظ بكلمة. إلا أنها عجزت. لم يسعفها لسانها على النطق بحرف..وحاولت أن ترفع يدها لتمسك بيد إبنتها ، إلا أن اليد لم ترتفع ..

وأدركت نجيبة أنها أصيبت بالشلل فأغمضت عينيها وبدأت الدموع تنهمر من العينين المغمضتين .. وذعرت نجلاء.وأخذت تولول: ماما.. ماما .. ماما .. إلينا بطبيب .. أين الطبيب؟ أين الطبيب ؟

وذعرت سلمى ايضا وهي تسمع اختها تنادي الطبيب.. وحاولت الوثوب من السرير لمساعدة امها ، الا انها عجزت عن النهوض ..

وهرولت الممرضات وهن يسمعن صوت نجلاء ... وحاولن اسعاف الأم البائسة فعجزن ، وأسرعت احداهن تدعو الطبيب الى مساعدة الأم المشلولة الحزين .. واقبل النطاسي ينقل نجيبة الترك الى غرفة المعالجة ..

وهناك في الغرفة الصغيرة انصرف الطبيب الى معالجة والدة سلمى ، واستطاع ان ينقذ حياتها ، الا أنه لم يستطع ان يدفع عنها الشلل . لقد شلت يد نجيبة اليمنى ، كذلك رجلها، ولسانها.. فأصبحت عاجزة عن التلفظ بالكلمات، لقد اصبحت تلوك الألفاظ لوكا ، أصبحت نجيبة نصف بكماء .. لقد جنى شفيق وهبي على الأم وعلى الابنة معا. قضى على مستقبل الابنة وقضى على صحة الأم وعلى عافيتها ..

١٠ عودة الذئب

أقامت سلمى الترك على ألم وشجن وأسى ودموع • أمها مشغولة ، وهي ، وقد حاولت االانتحار ، لم تعد تجرؤ على الذهاب الى الشركة • فهي تخشى أن يكون أمرها قد فضح، والأسرة الصغيرة بحاجة إلى المال، والمال غير موفورٍ لديها..

وضاقت الدنيا في عيني سلمى •• فأقامت في الدار لا تبرحها ولا تخرج منها • أقامت في دارها تبكي بدموع غزيرة حمراء وهي تفكر بذلك الحبيب الغادر ، بشفيق وهبي الذي غدر بها ونشق شذاها ، وألقى بها في الوحول زهرة ذابلة لا عطر فيها ولا شذا •

أين هو شفيق ؟ ماذا حلَّ به ؟ لماذا تخلى عنها ؟ لماذا هرب منها كما يهرب اللصوص الأنذال ، وما هو باللص ، ولا هو بالنذل •• وضاقت الدنيا في عينيها ، ماذا عليها أن تفعل ؟ هل تعود الى عملها في الشركة ؟ هل تبحث عن عمل

في شركة غير تلك الشركة ؟ ليست تدري.. ليست تدري.

وفيما سلمى منصرفة الى التفكير بقلق وألم وعذاب قدم اليها أحد موظفي شركة الاستيراد والتصدير.. ووثبت سلمى ترحب به ؟ أهلا بفؤاد .. أهـلا وسهلا بالزميل العزيز .. تفضل ، تفضل بالدخول ..

وتفضل الموظف فؤاد بالدخول .. ودعته سلمى الى غرفة الاستقبال .. وجلس ، وجلست قربة هامسة : كيف حال المدير ؟ وكيف حال الزملاء يا فؤاد ؟

قال فؤاد : كلهم بخير ، انهم قلقون عليك يا سلمى . لماذا انقطعت عن عملك في الشركة ؟. لقـد اوفدني المدير اليك لأطمئن على صحتك . اتكونين بخير ؟.

قالت سلمى : لقد اصبت بوعكة صحية ، وما كدت اشفى من الوعكة ، ما كدت أنهض من السرير حتى فوجئت بمرض امي .. لقد اصيبت بالشلل فرأيتنـي مضطرة الى ملازمتها ..

وامتدت يد الموظف فؤاد الى جيبه ليخرجها قابضة على مبلغ من المال ، على خمس ورقات ، كل ورقة من فئة المئة ليرة لبنانية ، ودفع بالورقات الخمس الـى سلمى متمتما : خذي يا سلمى هذا المبلغ أرسله لك المدير وقد قال لـي : « خذ خمسمئة ليرة لبنانية واذهب الـى دار سلمى وسل عنها ، قد تكون الفتاة مريضة او في ضيـق ، ان تغيبها عن العمل يشير الى حلول مصاب بها » ..

ودهشت سلمى ، يا لنبل المدير ويا لكرم خلقه لقد أرسل الله لها هذا المبلغ وهي في أشد الحاجة اليه .. وتناولت سلمى المئات الخمس من يد فؤاد.وقالت : شكرا لك وللمدير يا فؤاد . الحقيقة هي انني واقعة في ضيق . أمي مشلولة ، وأنا منهوكة القوى ، والنفقات كثيرة كما تعلم .

قال فؤاد : متى ستعودين الى العمل يا سلمى ؟.

قالت : في أواخر هذا الأسبوع يا فؤاد سأكون في عملي ان شاء الله ..

وهمَّ الموظف فؤاد بالعودة أدراجه ، الا أن سلمى وثبت اليه تقول : لا .. لن تذهب قبل ان تتناول القهوة . مهلا يا اخي . مهلا سأهيىء القهوة بيدي ..

واسرعت الى تهيئة القهوة .. وعادت بعد قليل حاملة فنجاني قهوة ، فقدمت فنجانا لزميلها ، وتناولت هي فنجانا وجلست قربه ترشف قهوتها وتتحدث اليه .. وعندما انتهيا من تناول القهوة وقف فؤاد مودعا .. وصافحته هامسة : ارجو أن تبلّغ شكري وسلامي الى المدير . في أواخر هذا الأسبوع اكون في الشركة يا فؤاد .

وكانت سلمى في عملها في شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية ، في أواخر الاسبوع كما وعدت.. واطمأنت سلمى كل الاطمئنان وقد اتضح لها ان امرها لم يفضح ، وان خبر محاولتها الانتحار لم يذع .. وانصرفت الى العمل بهمة

ونشاط ، الا انهـا لـم تستطع ان تنسى شفيقا .. كانت ذكرى الحبيب الخائن الغـادر تعذبهـا وتقض مضجعها وتنغص عليها حياتها ، وحاولت ان تنسى ، حاولت ان تنسى شفيقا وان تنسى اساءته اليها ، الا انهـا لـم تستطع ان تنسى ، لم تستطع ان تنتزع ذكراه من فؤادها ، لم تستطع ان تنسى تلك الليلة الممطرة العاصفة الحالكة السواد التي قضتها مع شفيق في دار الست عفيفة في طريق صيدا ..

ومضت سلمى الترك في ذكرياتها المؤلمـة الرهيبـة ، وكلما خلت بنفسها ، وكلما دخلت الـى غرفتهـا عصفت برأسها الذكريات الدامية السوداء ، فانطرحت على سريرها لتبكي حظها التعس ، وشبابها الضائع وحبها الصريع ... بعد أن فقدت أعز ما تملك الفتاة ...

ومضت الأيام ، وسلمى ماضية مـع الايام في عذابهـا وبؤسها والمها وشوقها وحنينهـا ودموعها .. مضت أشهر ثلاثة ،وسلمى تتعذب وتعمل بجد وتعب لتنفق على معالجة امها وعلى اعالة شقيقتها نجلاء ..

ومضت الاشهر الثلاثة وسلمى تفكر بالحبيب الممعن في النوى والبعاد .. وكادت تيأس مـن استعادة شفيق ، كادت تقطع الأمل من عودته اليها ..

وذات يوم من ايا م الربيع العاطـر الشذا ، الفوّاح الاريج ، فيما سلمى تعود من عملها في الشركة الى دارها ، فيما تقف عند محطة القطار الكهربائـي ، بانتظار وصول

القطار لتستقله في عودتها الى الدار ، انتصب شفيق أمامها والبسمة تطفو على شفتيه •• وهمس شفيق : سلمى !••

«وجمت سلمى وهي تفاجـأ بوقوف شفيق قربها •• وأخذت ترتجف كأنها ورقة في مهب الريح •• واحتارت في أمرهـا ••

المفاجأة حيرتها وأوقعتها في مأزق حرج •• ماذا عليها ان تفعل الآن ؟•• هل تحييه ؟•• هل تكلمه ؟ هل ؟ تعاتبه هل تمضي في صمتها ؟ هل تهرب منه ؟ هل تبتعد عنه ؟•• ليست تدري •• ليست تدري ••

واستأنف شفيق الاقتراب منها هامساً «كم أنا في اشتياق إليك يا سلمى . . .».

«ولم تجب سلمى •• لم تستطع ان تجيب • بـل هـي رمقته بنظرة قصيرة لا معنى لها ولا لون ••

واستأنف شفيق الكلام ليقول: هل أنت عاتبة عليّ يا حبيبتي؟ . .

«أغمضت سلمى عينيها •• وبـدأت الدموع تتأهب للانهمار من العينين النجلاوين ••

وتجرأ شفيق فأمسك بيدها الباردة المرتجفة وهمس : حقك عليّ يا سلمى •• كان علـي أن أودعـك قبـل أن اسافر !•

«وتحول الغضب في قلب سلمى الترك الـى دهشة •• شفيق كان مسافرا ؟ لم يكن في لبنان ؟•• لقد ظلمته اذن••

وتابع شفيق وهبي كلامه قائلا : لقد سافرت الى اوروبا فجأة .. وعدت أمس واتصلت بك اليوم . تعالي .. تعالي يا حبيبتي نجلس في ركـن هادىء آمين . تعالي .. تعالي معي يا سلمى .. تعالي يا حبيبتي ..

ودون ان تجيب سلمى بحرف سارت قربه .. مـن محطة القطار الكهربائي الى محطة باب ادريس .. وهناك في الشارع الفسيح الأرجاء ، في مربع « سميراميس » جلس شفيق، وجلست قربه سلمى عند طاولة صغيرة انيقة صفراء.

جلسا يتناولان المرطبات ويدخنان .. وراح شفيـق يتحدث الى سلمى بلطف وحنان وشوق وقال : أنت تعلمين يا سلمى انني ماض في تأثيث شركة للاستيراد والتصدير ، ومعي شركاء .. منهم بريطانيون ، ومنهم اميركيون ومنهم فرنسيون ومنهم كويتيون ، ومنهـم لبنانيـون ، شركتي ستكون شركة واسعة كبيرة متينة الاركان .. وقد تلقيت برقية من شركائي في الولايات المتحـدة الاميركية يطلبون الي فيها السفر اليهم للاتفاق على نظام الشركة وقوانينها .. وصلت البرقية فجأة وكان علي أن اسرع في السفر ..

وسافرت ، سافرت فورا دون ان اعلم احدا بسفري. حتى حبيبتي سلمى لم اطلعها على الامر .. لقد خيل الي ان سفري لن يطول الى ابعد من اسبوع ، فاذا بـه يطول الى زهاء اربعة اشهر ، قضيتها في العمـل الشاق المضنـي الطويل ، قضيت زهاء اربعة اشهر في الولايات المتحدة وأنا

افكر بك يا حبيبتي واتمنى لو انك برفقتي .. وما ان عدت حتى اسرعت الى الاتصال بك واطفاء نار شوقي اليك ..

قال شفيق وهبي هذا واخرج من جيبه سوارا اصفر اللون قدمه لسلمى هامسا : هــذه هديتي اليك .. لقــد انتقيت لك هذا السوار من اسواق الصاغة في نيويورك . هو ليس بالسوار الثمين ولكنه سيظل ذكرى مــن حبيبك شفيق ، في يدك ..

وترددت سلمى في قبول الهدية ، في قبول ـ السوار المزيف ـ الا ان شفيقا أرغمها على قبول الهدية ، ورصع معصمها بذلك السوار ... وامسك شفيق بيدها هامسا : يا حياتي ..

وانهمرت الدموع غزيرة من عيني سلمى ..

لماذا ؟.. هي نفسها لم تكن تعلم لماذا تبكي ..

وراح شفيق يوآسيها ساكبا في اذنيها كلمــات الحب والشوق والهوى والحنين .. وتمتم : سلمى يا حياة شفيق لماذا تبكين ؟ قولي لي يا سلمى . هل نــزل بــك مكروه يا حبيبتي ؟.. هل حلّت بك مصيبة ما ؟.. مــا بك ؟.. ماذا اصابك يا حبيبتي قولي لي يا سلمى .. ما بك ؟.

واستطاعت سلمى ان تكفكف دموعها بعد جهد كبير وان تتمتم : شفيق .. ابتعد عني .. فليسر كل منا في طريقه يا شفيق .. طريقك هو غير طريقي .. دعني وشأني .. أنا لست لك ولا انت لي ..

وتظاهر شفيق بالحزن وبالقلق وبالغضب.وهمس : ماذا تقولين يا سلمى ؟•• هل هناك من غزا قلبك الطاهر النبيل في غياب شفيق ؟••

ومسحت سلمى دموعها وهمست : لا•• لا يا شفيق•• لقد اقسمت بيني وبين نفسي على أن ابتعد عن الحب والهوى والغرام ، بعد الذي حصل •

وأمسك شفيق بيدها الباردة الصفراء : وتمتم : ماذا حصل ؟•• ماذا حصل يا سلمى •• قولي لي ماذا حصل يا حبيبتي ؟

وروت له سلمى الترك ما حصل •• روت له قصتها ، مأساتها ، مصيبتها ، اخبرته كل شيء •• روت له كيف حملت منه سفاحا ، فأكفهر وجهه وتجهم •• ثم روت له كيف حاولت الانتحار •• وكيف اجهضت ••

ولمعت الفرحة في عينيه لدى سماعه خبر الاجهاض ••

ثم روت له كيف انقذوها من الموت•• وكيف اصيبت أمها بالشلل بعد أن اطلعت على جريمتها ••

وبكى شفيق •• لقد بكى التمساح أو هو، بالاحرى، تباكى •• وأمسك بيدها يشدها بشوق ويهمس في اذنها : اطمئني يا سلمى ، اطمئني يا حبيبتي • أنا هنا قربك لأدفع عنك عاديات الزمن ، ولأكفر عن جريمتي النكراء • نحن سنتزوج قريبا يا سلمى •• أسابيع قليلة وتبزغ شركتي الكبرى الى الميدان التجاري ، وتنتقلين من حياة البؤس

والعذاب والشقاء ، الى حياة الهناء والسعادة والاطمئنان ..
ابتسمي .. ابتسمي يا حبيبتي . أريـد أن أرى ابتسامتك الحلوة المنورة البيضاء . ابتسمي يا سلمى .. ابتسمي ..

وشدت أصابعه اصابعها .. وبادلت اصابعها اصابعه الشد .. وطفت علـى شفتيها الحمراوين النديتين ابتسامة زاهية هانئة سمحاء ..

١١ مكر... واحتيال...

شفيق وسلمى على عاطفة عاتية عاصفة هوجاء.. والحب يندلع في القلبين على لهب ونـار وسعير ، وسلمى الترك ، وقد استعادت حبيب القلب والـروح ، اطمأنـت بعض الاطمئنان ، وخيل اليها أن الأيام العابسة بدأت تبتسم لها، وان الجو المكفهر بالغمام الدكناء بدأ يصفو ويزدهي ..

وتعددت اجتماعات الحبيبين المتيمين ، كل يـوم توافي سلمى حبيبها شفيقا ، بعد أن ينتهي دوام العمل في الشركة، الى مطعم أو الـى مقهـى ، أو الـى مربع او الى متنزه ، يجلسان على هنـأة وارتيـاح واطمئنـان ، يتسامران ، ويتسايران ويتحدثان ، ويرسمان معـا خطوط المستقبل الزاهر الزاهي الجميل ..

واقامت سلمى تنتظر بفارغ صبـر برّ شفيق بوعده ، أقامت تنتظر ان تبدأ شركة شفيق عملها ، وأن يبادر شفيق الى الزواج منها ، الا ان انتظارها طـال دون أن تصل الى

الأمل الباسم المنشود •• فلا شركة شفيق الغراء بزغت الى عالم الوجود ، ولا الحبيب شفيق بادر الى طلب يدها ••

وبدأ الاطمئنان يتحول في قلب سلمى الى قلق وحيرة واضطراب •• وانصرفت سلمى الى التفكير باحثة عن حل للخروج من هذه المعضلة ، الا انها لـم تهتدِ الى الحـل المرتجى ••

واشتد بها القلق ، وعزمت على ان تضع حدا لعلاقتها المجهولة المصير مع شفيق ••

يجب ان تكون حازمة فتثب الـى شفيق قائلة لـه : شـفـيـق.. هـذه الحـال لا تـرضـيـني، يجب أن نـتزوج، او أن نفترق ، ليس هناك سبيل ثالث يـا حبيبي • هناك سبيلان ، الفراق الأبدي ، أو اللقاء الأبدي وعلينا أن نختار احد هذين الطريقين ••

بهذه الكلمات ستخاطب سلمى حبيبها شفيق ، وعلى شفيق أن يختار : اما ان يختار الـزواج فتصبح السعادة التامة بين يديها، وإمّا أن يختار الفراق، ويلقي بها في وهاد التعاسة والبؤس والشقاء..

ووطدت سلمى العزم على التحدث في أمر الزواج مـع شفيق •• واقامت ترقب موعد اللقاء بفارغ صبر ••

وأطل اليوم التالي وأطل معه الموعد المنشود •• وما ان انتهت سلمى من عملها في الشركة حتـى استقلت سيارة تاكسي الى محلة الروشة ••

•وهناك في تلك المحلة ، في ذلك المطعم المشرف على الأمواج الساجية الزرقاء •• كان موعدها مع شفيق •• وكان الحبيب بالانتظار ، كعادته •

كان جالسا في زاوية المطعم يحدق بالبحر ، وبأمواجه الساجية ، وقد ألقى بلفافة فاخرة بين شفتيه ، وراح يفكر••

واقتربت سلمى منه والابتسامة تشع على شفتيها ، والحزم والعزم يرسخان في صدرها ، هي ستخاطب شفيقا بكل جرأة وصراحة وحزم ••

•ولم ينتبه شفيق اليها الا وقد وصلت الى قربه •• وهمست ، وقد اصبحت على مقربة منه : « بونجور » شفيق ••

واستفاق شفيق وهبي من تفكيره ، أو بالأحرى تظاهر بالافاقة •• والتفت اليها والابتسامة الواهية الصفراء ترتسم على شفتيه ، ووقف يصافحها بحرارة وشوق وهمس : أهلا بحبيبتي سلمى •• اهلا بنور عيني ، بحياتي •• أهلا •• أهلا •• اجلسي يا حبيبتي اجلسي هنا •• هنا قربي ••

•وجلست سلمى ، هناك •• هناك قربه ••

•وصمت شفيق •• وراح ينظر اليها بعينين تائهتين حائرتين •••

وبدأت سلمى تستعد لبدء الحديث مع شفيق • بدأت تتأهب لتنفيذ الخطة المرسومة • بدأت تهم بأن تقول له : «ماذا سنفعل يا شفيق ؟• متى سيتم زفافنا ؟• هذه الحال لم

تعد تطاق . اما ان تتزوج الآن فورا يا حبيبي ، واما ان تفترق الآن ، فورا».. وتأهبت سلمى للحديث ، الا أنها وجمت وهي تشاهد الدموع ترقرق في عيني شفيق ..

شفيق يبكي ؟... ما به ؟.. ان الحزن العميق يرسم خطوطه الشاحبة الواهية السوداء علىجبينه .. وهمست: شفيق !.. ما بك يا حبيبي ؟.. ما بك يا شفيق ؟..

واتسعت الابتسامة الصفراء علـى شفتـي شفيق .. وهمس من خلال دموعه المترقرقة بين أجفانه : لا شيء يا حبيبتي ..

وامسكت سلمى بيده الباردة لتقول : ولكنني أرى الدموع في عينيك ، وألمس الحزن العميق في نبرات صوتك الحنون ، وأشاهد الأسى والشجن والحيرة تطل من وجهك. ما بك يا شفيق ؟.. ما بك يا حبيبي ؟.

وشدت يد شفيق يد حبيبته سلمى.وتمتم بخبث ومكر ودهاء ، وبدموع مزيفة كاذبة : الحقيقة يا سلمى هي انني اعيش في عذاب مؤلم رهيب مخيف ، عذاب دونه عذاب الجحيم.. منذ يومين وحبيبك شفيق يبكي ويذرف الدموع الغزيرة .. منذ يومين لم أذق طعم النوم .. أنا شقي ، أنا تعس ، أنا حزين يا سلمى يا حبيبتي ..

وهالها كلامه .. فوجمت ، واشتد بها الوجوم وهي تشاهد شفيقا يتناول منديله من جيبه ويمسح به دموعه .. ونظرت اليه نظرة ملؤها الحب والشوق والحنين.وهمست :

لماذا تحزن وتشقى وتبكي يــا حبيبي ؟ مــاذا حــل بك يا شفيق ؟٠٠ ماذا دهاك ؟٠

وصمت شفيق ٠٠ هو لم ينبس بحرف ٠٠ لم يهمس بكلمة ٠٠

وعادت سلمى الى الكلام وهي تمسك بيــده لتقول : ألست حبيبتك المخلصة الوفية يا شفيق ؟ فكيف تخفي عن حبيبتك أسرارك وهمومك ؟ قل لي يا حبيبي مــا بك ؟ قل لي كل شيء ٠٠ كلّ شيء ولا تخفِ عني شيئا ٠٠

فعاد شفيق الى مسح دموعه ٠٠ ورفع نظره الى سلمى ليقول : هناك مصيبه حلت بي يا سلمى ، أو بالأحرى هناك كارثة حلت بنا نحن الاثنين ٠

تذعرت سلمى ٠٠ ماذا يقول شفيق ؟٠٠ هناك كارثــة حلت بهما ؟ بها وبه ؟ ما هي هذه الكارثة ؟٠٠ونسيت سلمى الخطة التي رسمتها ٠٠٠ نسيت كــل مــا تريد ان تقول لشفيق ٠٠٠ لم يعد يهمها شيء ، لــم تعــد تفكر بشيء ٠ . . . لا شيء إلاّ الكـارثة التي أشـار إليهـا شفيق ليشغـل بـالها، ويثير كل اهتمامهــا ٠٠ وتمتمت سلمــى بوجــل وقلــق واضطراب : ما هي هذه الكارثة ؟٠٠ ما هي يا حبيبي ؟٠٠

وقبل أن يجيب شفيق ، كان الخادم قــد أقبل ينحني امامها متمتما : أمر ؟٠٠

والتفت شفيق الى سلمى يقولْ : ماذا تأكلين ؟٠

قالت سلمى : كما تريد ٠٠

والتفت شفيق الى الخادم قائلا: سمك وحمص وكبه.
وذهب الخادم.وعادت سلمى الى الكلام لتقول : لقد اقلقت خاطري يا شفيق وأثرت هواجسي • قل لي يا حبيبي • ما هي هذه الكارثة التي حلت بنا ؟••

ونفث شفيق دخان اللفافة في الفضاء وانغمس في صمت بارد موحش كئيب •• وعاد الخادم بعد قليل حاملا لهما الطعام ، فجلسا يتناولان الطعام دون شهية . .

وعادت سلمى الى محاولة انتزاع ذلك السر من صدر شفيق ، الا أن شفيقا راح يحاول التملص من الافضاء بذلك السر •• كان يوهمها بأنه متألم شديد الألم ، ثم يعود ليبعث الأمل في قلبها محاولا ايهامها بأنه سيعمد الى تجنب حلول تلك الكارثة ••

كان الخبيث يتلاعب بها وبعواطفها كما يتلاعب الهر بالفأر •• وانتهيا من تناول الطعام •• وجلسا يدخنان ••

وألحت سلمى في ضرورة معرفة ذلك السر الذي يعذب شفيقا : فقالت : أريد أن أعلم ما هو هذا السر ؟ أريد أن أعلم ما هي تلك الكارثة التي حلت ، او ستحل بنا •

قال شفيق والأسى يطل من انفاسه مع الكلمات : سلمى ! لقد أقضت هذه الكارثة مضجعي ، وحرمتني لذة النوم وعذبتني • لماذا تريدين ان تحمل لك تلك الكارثة ما حملت الي ؟ لماذا تريدين ان تتعذبي كما تعذبت ، وان تبكي كما بكيت ، وان تتألمي كما تألمت ؟ دعيني أتعذب

وحدي • دعيني أتألـم وحدي ، دعينـي أبكـي وحدي يا حبيبتي •

وعادت سلمى تمسك بيده علـى شوق وهوى وحب وهيام،وهمست : ان الهواجس التي اثرتها في قلبي ستعذبني اكثر مما يعذبني وقوفي على هذا السر يـا حبيبي ، وقـد قيل : « ان انتظار وقـوع الكارثة ، هـو أروع وأشـد وأقوى من الكارثة نفسها » •

أرجوك يا شفيق ، أرجوك يا حبيبي أن تطلعني على هذا السر الذي يعذبك ويثير الهموم في قلبك والدموع في عينيك •• فأنا حبيبتك اليوم ، وزوجتك غـدا • عليَّ أن احمل ما تحمل من هم وشجن •• عليَّ أن أفرح لفرحك ، وان احزن لحزنك يا حبيبي •• قل لي يا شفيق ، مـا هو هذا السر الذي يعذبك ، ما هي تلك الكارثة التـي ستحل بنـا ؟••

وأبى شفيق ان ينزل عند طلب سلمى ، أبى ان يجيبها على سؤالها ، فراح ينفث دخان اللفافة في الفضاء ، ويحدق بأمواج البحر المتدافعة نحو الشاطىء الساجي الفسيح ••

وهمست سلمى برجاء والحاح : أرجوك يـا شفيق ، أرجوك والحَّ في الرجاء ان تطلعني علـى كـل شيء وان تخبرني كل شيء ، وأن تبوح لي بكل شيء •

تظاهر شفيق وهبي بالتأثـر العميق وسلمى تستحلفه بحبها وبحياتها ، والتفت اليها ليقول : لمـاذا تصرين علـى

معرفة هذا السر يا حبيبتي ؟ لماذا تستحلفينني بحياتك ، وحياتك عندي أغلى من نور عيني ؟•

قالت : اذا كنت تحبني فعلا أطلعني على هذا السر يا شفيق •

فأمسك شفيق بيدها يشدها هامسا : لم أعد استطيع أن امضي في عنادي بعد أن اصررت واقسمت وحلفت ورجوت يا حبيبتي ، لقد غلبتني يا سلمى ، لقد غلبت على أمري •

قالت ، وقد اطمأنت الى مقدرتها على اقناع الحبيب : هات اخبرني كل شيء •• ما هو هذا السر الذي يعذبك ويحرمك لذة الحياة ؟

قال وهو يشد يدها : لقد حكم القدر علينا بالفراق يا حبيبتي •

فذعرت سلمى !!• ماذا يقول شفيق ؟ ينذرها بالفراق؟ وهل تقوى على الفراق بعد ان تدلهت بحبه وانغمست في هواه ؟ لا ، لا مستحيل •• مستحيل •• هي لا تقوى على الفراق • لا تستطيع أن تبتعد عنه ، فالموت أهون لديها من الابتعاد عن شفيق ••• وتمتمت بتساؤل ملحاح : لماذا ؟ لماذا يا شفيق ؟

قال : اسمعي يا سلمى •• ما دمت تصرين على معرفة كل شيء ، ما دمت قد استحلفتني بحبنا المقدس ، وبحياتك الغالية ، فلم يعد لي ان امضي في اخفاء السر عنك ، لم أعد

استطيع أن احجب عنك الحقيقة المؤلمة الرهيبة . سأخبرك كل شيء ، سأطلعك على كل شيء ..

أجل يا سلمى ، أجل يا حبيبتي ، لقد أصدر القدر الغاشم علينا حكمه القاسي الرهيب .. نحن سنفترق يا حبيبتي .. سأبتعد عنك والألم يعصر روحي ويذيب فؤادي ويكوي مهجتي ..

فاشتد الذعر بسلمى وشفيق يؤكد لها نبأ الفراق . وشعرت بقلبها يكاد يثب من صدرها ، وأحست بالوهن والعياء . وصمتت ..

فتابع شفيق كلامه ليقول : أنا سأكون صريحا معك يا حبيبتي الى أبعد حدود الصراحة ، سأخبرك كل شيء ، كل شيء .. قبل أن أتعرف اليك يا حبيبتي كنت عازما على الزواج من احدى نسيباتي ، وهي فتاة واسعة الثراء. بائنتها تزيد على مئة الف ليرة لبنانية وأمي كانت ولا تزال تلح علي بضرورة الزواج من نسيبتي ، الا انني رفضت الزواج من النسيبة الغنية بعد أن تعرفت اليك وتدلهت بحبك ، فقلامة من ظفرك تساوي عند شفيق ثروات العالم بأسرها ، يا له من حبيب مخلص وفي ..

وتابع شفيق كلامه قائلا : وبدأت كما تعلمين بتأسيس الشركة ، واتفقت مع خمسة من كبار الأثرياء . نحن الآن خمسة شركاء ، على كل شريك أن يدفع مئة ألف ليرة لبنانية ، أي أن رأسمال الشركة خمسمئة ألف ليرة ، نصف

مليون ليرة .. لقد نفذ شركائي التعهد ، دفع كل منهم كل ما عليه. أما أنا فلم ادفع الا خمسين ألف ليرة فقط. وعلي أن ادفع خمسين ألفا خلال شهر ، شهر واحد فقط . اذا لم اسدد ما عليّ للشركة، فالشراكة ستفسخ وأخسر مستقبلي. عليّ أن اتدبر الأمر خلال شهر ، عليّ أن اجد خمسين ألف ليرة من الآن حتى ثلاثين يوما . من أين سأجمع هذا المبلغ الكبير ؟ كيف سأحصل عليه ؟ لست أدري ..

وأخيرا .. أخيرا فكرت بنسيبتي ، فكرت بالمئة ألف ليرة التي تملكها النسيبة والتي تستطيع أن تحل معضلتي وتنقذ موقفي ، وتصون سمعتي أمام شركائي .. واحترت في أمري ، وما زلت حائرا حتى الآن .. أنا لا أعلم ماذا عليّ أن افعل يا حبيبتي ، ويلي قلبي ، وقلبي يميل اليك ولا يريد أن يبتعد عنك ، وويلي مستقبلي وسمعتي وكرامتي ...

واشتد الذعر والوجوم بسلمى .. ويلها ، ماذا يقول شفيق ؟ أيفكر بالابتعاد عنها ؟.. أيريد الزواج من نسيبته، وهي، ماذا سيحل بها اذا هجرها شفيق وتزوج من تلك الغنية ؟

وساد الصمت برهة بينهما .. وراح شفيق وهبي يدخن وينظر الى أمواج البحر الرجراجة المندفعة حينا الى الشاطىء، والمتراجعة أحيانا الى الوراء على ذل وتواضع وانكسار ، وهو يرمق سلمى من حين الى آخر بنظرات خبث ومكر

ودهاء .. وعصفت الآلام النفسية والهموم والأحزان في قلب سلمى ، وترقرقت الدموع في عينيها وأخذت ترتجف كأنها ورقة في مهب الرياح العاصفة العاتية الهوجاء ...

واستأنف شفيق الكلام بعد صمت قصير ليقول: ما هو رأيك يا سلمى ؟.. أرشديني الى الطريق الذي يتحتم عليّ السير فيه ، قولي لي يا سلمى ماذا عليّ ان افعل يا حبيبتي، لا أريد أن أبتعد عنك ، وانت مني المهجة والقلب والروح، ولا أريد أن تشوه سمعتي وأن تنهش الألسنة السامة كرامتي وشرفي.. ما العمل؟ ما العمل؟ ما العمل ياحبيبتي؟.

فمسحت سلمى دموعها وتمتمت بذل وانكسار: لست أدري يا شفيق . لست أدري ؟.

قال والخبث يصبغ كلماته : أتشيرين عليّ بالزواج من نسيبتي ؟.

قالت : أتهون لديك حبيبتك سلمى يا شفيق ؟.

قال وهو يتظاهر بالألم والأسى : لا .. لا يا حبيبتي، سلمى لا تهون لدي ، انني لأفضل الموت على الابتعاد عن سلمى ، ولكن ماذا علي أن افعل كي انقذ نفسي من هذه الورطة التي ألقيت بنفسي فيها ؟.

قالت : ألا تستطيع أن تصارح شركاءك بالحقيقة؟ لماذا التضليل والتمويه يا شفيق ؟ لماذا توهم شركاءك بأنك قادر على مجاراتهم في البذل والاسراف ما دمت لست قادرا على ذلك ؟ رأيي أن تصارحهم بالحقيقة وأن تطلب اليهم ان

يتريثوا في الأمر ريثما تدبر لهم المبلغ المطلوب •

قال : لا •• لا •• لا ، انني أفضل الموت على ذلك•• أنا صاحب فكرة انشاء الشركة الكبيرة ، وأنا واضع أسسها، وأنا الذي أقنعت شركائي الأثرياء بالمساهمة فيها•• اقدم على كل هذا ، ثم أتراجع ؟ لا •• لا يا سلمى • هذا لن يكون ، هذا ما لا أقدم عليه ، يجب أن نجد حلا للمعضلة غير هذا الحل ، ساعديني يا حبيبتي ، ساعديني يا سلمى على ايجاد حل يصون كرامتي ويحفظ لي سمعتي وينقذ قلبي من العذاب المؤلم الرهيب الذي ينتظره •

قالت سلمى : أتريد مني التضحية يا شفيق ؟ أتريد أن أبتعد من طريقك وأن أقول لك: «فليوفقك الله» ثم أدير ظهري وأسير في سبيلي؟ .

قل لي يا شفيق ؟ قل لي •• اذا أردت التضحية مني فأنا مستعدة للتضحية •• أنا على استعداد لأن اتوارى عنك •• وليبارك لك الله بنسيبتك وبأموالها ••

قالت سلمى هذا وأجهشت بالبكاء •••

فأمسك شفيق وهبي بيدها وقد بدا عليه الألم المزيف وهمس : لا يا سلمى •• لا يا حبيبتي ، أنا لا أريدك أن تضحي بقلبك من أجلي •• شفيق وهبي ليس بالشاب الذي بني سعادته على أنقاض تعاسة الآخرين •

لا •• لا أريدك أن تبتعدي عني ، ففي ابتعادك الألم لقلبي ، والأحزان لروحي •• ثم ، ثم هل يخيل اليك أنني

أستطيع أن أحيا بعيدا عنك ؟ لا •• وألف لا •• المـوت أهون لدي من الابتعاد عنك يا سلمى •

قالت سلمى وهي تجفف دموعها بمنديلها الأبيض •• عليك اذن ان تكون الأسبق الى التضحية يا شفيق ، عليك أن تضحي : اما بسمعتك واما بحبيبتك ، ليس ثمـة سبيل آخر أمامك •

قال : لا أستطيع •• لا أستطيع يا سلمى ••• أنا لا أستطيع أن أضحي بحبيبتي ، وهي عندي في مقـام الروح والحياة ، ولا أستطيع أن أضحي بسمعتي وهي عزيزة علي •• أنا لا أقوى على التضحية ، لا أقـوى •• ساعديني ، أنقذيني ، أرشديني الى طريق النجاة ، شرط أن يكـون ذلك الطريق بعيدا كل البعد عن التضحية •

قالت سلمى وقد بدأت تستعيد روعها : آه يا شفيق لو كنت أملك مال الدنيا لأضعه كله بين يديك يا حبيبي ••

فاقترب شفيق منها هامسا في أذنها : سلمى !•• أنت لا تملكين مال الدنيا ، ولكنك تملكين مبلغا محترما تستطيعين بواسطته أن تحلي معضلة شفيـق ، وأن تنقذيـه وتنقذي سعادتنا •

فوجمت سلمى ، وهمست: أنا ؟ أنا أملك مبلغا محترما يا شفيق ؟ أنت تعلم أنني فتاة فقيرة وأنني أعمل الليـل والنهار لأوفر الدواء لأمي والخبز لاختي ••

فعاد شفيق يمسك بيدها علـى خبث ومكـر ودهاء

ليقول : اسمعي يا سلمى •• أنت أمينـة صندوق شركـة الاستيراد والتصدير اللبنانية ، وفي صندوق الشركة مئات الألوف ••

فوجمت سلمى.وتمتمت بذعر وخوف واضطراب: وهل يخيل اليك أن تلك الأموال هي ملكي الخاص ؟•• أتصرف بها كما أريد ، وأنفقها كما أشتهي واروم ؟••

وشعّت على شفتي شفيق ابتسامة اطمئنان وارتيـاح وتمتم : لم تفهميني ، ولم تدركي قصدي •• اسمعي مـا اقول لك باهتمام •• أنا بحاجة ليس الى مئة ألف ، ولا الى خمسين ألف •• ثلاثون ألف ليرة لبنانية تكفيني الآن •• اذا استطعت أن أحصل الآن على ثلاثين ألف ليرة ، اضمن بها سمعتي وكرامتي وأصون شرفي أمـام شركائي لمـدة اسبوع واحد فقطظ اكون قد تمكنت من السيطرة علـى الشركة السيطرة التامة •• أريدك يـا سلمـى أن تمديني بثلاثين ألفا لمدة اسبوع، وبعد اسبوع أعيد لك المبلغ كاملا•

فاشتد الذعر والوجوم بسلمى،اوتمتمت : أتريدني أن أختلس أموال الشركة يـا شفيق ؟ أتريدني أن أكون لصة مجرمة يا حبيبي ؟ لا •• لا •• هذا ما لست أقدم عليه •

قال : أنت حتى الآن لم تفهمي قصدي ، أنا لا أريدك لصة ، لا أريدك مجرمة ، لا، لا يا سلمى ، ما هذا قصدت• أنا لن أستولى على المبلغ واطير به •• أتعلمين ماذا أفعل ؟ سأدفع بالمبلغ الـى صندوق الشركة وأقـول لشركائي :

« خذوا .. هذه ثلاثين ألف ليرة أضيفها الى الخمسين ألفا، الى المبلغ الذي ساهمت بـه منـذ شهور .. أصبح المبلغ الذي ساهمت به ثمانين ألف ليرة ، بقـي للشركة بذمتـي عشرون ألفا .. سأسدد المبلغ بعد أيام قليلة ، واذا لـم أستطع تسديده فسيحسم من أرباحي الخاصة » أقول لهم هذا .. واودع المبلغ في الصندوق .. وبعد اسبوع أعود فأسحب المبلغ من الصندوق وأعيده اليك ، وبذلك أنقـذ سمعتي وأنقذ قلبي وقلبك من الألم والشجن والعذاب ..

ودون تردد قالت سلمى : لا ..

وعاد شفيق الى محاولة الاقناع ليقول : سلمى ، أنا أعي وأفقه ما أقـول ، تستطيعين أن تستولي ليس علـى ثلاثين ألفا ، بل على مئة ألف دون أن يعلم بأمرك أحد .. أنا أعلم أن في صندوق الشركة أكثر مـن مئتي ألف ليرة ، وليس ثمة مراقبة ولا تفتيش .. للمدير ثقة عمياء بك .. تستولين على ثلاثين ألف ليرة وتدفعين بهـا اليّ ، وبعـد اسبوع أعيدها اليك ، فتعيدينها الى صندوق الشركة . ولا من علم ولا من دري بالأمر ..

وهمست سلمى : لا يا شفيق ، لا يا حبيبي ، أنا لن أمد يدي الى أموال الشركة ، لن أستولي على مال هو ليس لي ، لن أكون مجرمة ، لن أكون لصة يا شفيق .

قال : قلت لك ، وأعيد القول : أنا لا أريدك لصة ولا مجرمة ، لا أريدك أن تستولي على المال وتهربي بـه كما

يهرب اللصوص المجرمون الأنذال •• كل ما أريده منكهو أن تستديني من صندوق الشركة مبلغ ثلاثين ألف ليرة لمدة اسبوع ، وبذلك تنقذين قلبينا من الكارثة الرهيبة المحدقة بهما ••

وأصرت سلمى على موقفها النبيل الشريف لا تخرج ولا تحيد عنه وتمتمت : لا •• لا •• لا هذا مـا لست أقوى عليه يا شفيق ، ماذا ستكون حالي اذا علـم المدير بالأمر ، ماذا ستكون هـذه الحـال اذا اكتشف مفتش الشركة أن هناك اختلاسا تبلغ قيمته ثلاثين ألف ليرة ؟•

قال وكيف سيقف المدير على الأمر ؟ ومن أين لمفتش الشركة أن يعلم أن هنـاك ثلاثين ألف لـيرة خرجت مـن الصندوق ؟•• قلت لك وأعيد القول يا سلمى، بعد اسبوع

واحد فقط أعيد المال اليك وتعيدينه أنت الى صندوق الشركة .

قالت : لا .. لن أقدم على هذه الجريمة يا شفيق .

قال : وأين هي الجريمة يا حبيبتي ؟ ليس ثمة أي جريمة ، ولا أية مسؤولية .

قالت : أنا مسؤولة عن كل ليرة تدخل الى صندوق الشركة يا شفيق ، وعليّ ان اتحمل المسؤولية ، وأن أكون أهلا للثقة المطلقة التي اولاني اياها المدير ، لن أسرق اموال الشركة ، لن أمد يدي الى تلك الاموال .. لا.. لا .. لا.

تتظاهر شفيق بالحزن العميق وقال : اذن لقد قضي على قلبينا بالهلاك .. لقد حكم على حبنا بالصرع يا سلمى، رحم الله هوانا ، رحم الله حبنا ، لقد كان عمره قصيرا كعمر الورود والزهور والرياحين .. أذكريني يا حبيبتي .. أذكريني يا سلمى وثقي أن شفيقا سيذكرك حتى الرمق الأخير ..

ودمعت عينا شفيق.وخيل لسلمى أن الدموع ستنهمر من عينيه على وجنتيه.وهمست : شفيق .. لا تعذب قلبي بدموعك لا تبك يا حبيبي . لعل الله يشفق علينا وينقذنا من هذه الورطة ، ان الله لا يتخلى عن خائفيه ..

لقد صدقت سلمى « ان الله عز وجلّ لا يتخلى عن «خائفيه» ولكنه يتخلى عن المجرمين الكافرين بنعمه وخيراته وعطاياه.

وشفيق لم يكن بين الناس من المعتصمين بالخير الناظرين الى الله تعالى بعين الخوف والمحبة والرجاء •• لقد كان شفيق مجرما ، لصا ، شريرا ، كان يسير بقيادة الشيطان في طريق الدموع •• وهو يعمل جاهدا على الانتقال بسلمى الترك من صفوف الأبرار الصالحين ، الى صفوف الأشرار أبناء الظلام ، والسير بها في ذلك الطريق الموحش المظلم الرهيب •••

وتمتم شفيق وهو يمسح دموعه المزيفة الكاذبة : سلمى !•• أرجو أن تحفظي لي في قلبك الطاهر الشريف النبيل العاطفة الصادقة والحب العميق ، أنا سأتزوج من نسيبتي • سأتزوج منها زواجا تجاريا ، سأرغم على الزواج منها بجسدي ، بجسدي فقط ، أما قلبي فهو سيظل لك أنت ، وروحي ستظل ترف حولك وتناجيك وتحن اليك••

وأثارت كلماته الدامية المؤلمة الدموع في عينيها فبكت••

وراح شفيق يواسيها محاولا بكل مكر وخبث ودهاء ، أن يخفف من آلمها•• وأمسك بيدها الباردة المرتجفة يشدها هامسا في أذنها : لا تسترسلي في سكب الدموع يا حبيبتي ، لا تبكي يا سلمى ، صوني دموعك يا حبيبتي ، هذه الدموع الغالية يجب أن تصان ، لا تجرحي قلبي وتدميه بدموعك يا سلمى ••

ولم تستطع سلمى أن تصون دموعها ، لم تستطع أن

تحبس دمعها ، بل هي استرسلت في البكاء ، وفي الأشجان والأسى والحنين •••

وتمتم شفيق : يجب أن نفتـــرق الآن •• وداعـــا يا سلمى •• وداعا يا حبيبتي ••

قالت سلمى من خلال دموعها : وداعا يا شفيق ••

ووقف شفيق ليقول : تعالي لأوصلك في سيارتي الى داركم •

قالت : لا •• دعني أعود الى الدار وحدي يا شفيق•

قال : لا •• بل دعيني أنت أرافقك يا حبيبتي ، هذه هي المرة الأخيرة التي سترافقين بها شفيقا ، تعالي •• تعالي يا حبيبتي ، تعالي ••

وأمسك بيدها وسار بها الى سيارته الصغيرة العجوز •• وجلس الى مقود السيارة وجلست سلمى قربه ، وسارت بهما السيارة تتهادى في سيرها بتعب وعناء الى محلة المزرعة•

وهناك أمام دار سلمـــى أوقف شفيـــق السيارة •• وترجلت منها سلمى هامسة : وداعا يـــا شفيق •• وداعـــا يا حبيبي •

وهمس شفيق وهو يمسح دموعـــه المزيفـــة : وداعا يا سلمى ••

وأسرعت سلمى بالدخول الى الدار والدموع في عينيها والألم في قلبها والأسى يغمر روحها الطاهرة الحنون •

١٢ قلب على نار

سلمى الترك لا تستقر على حال •• الكارثة النازلة بها هدّت قواها وأدمت فؤادها وبسطت علـى روحها الهائمة وشاحا من الظلام الدامس المدلهم •• وبـدت الدنيا لعيني سلمى ظلاما في ظلام ••

ضاقت الحياة على رحبها بهـا •• وبكت •• بكت بدموع قانية الاحمرار ، وتألمت وتعذبت وشقت•• وحاولت أن تبعد طيف شفيق عن وسادتها فلم تستطع ، حاولت أن تنسى ذلك الحبيب الممعن في النوى والبعاد ، فلم تستطع ، حاولت أن تنساه فلم تستطع •• وبدأت الغيرة العمياء تمعن في تعذيبها ••

شفيق سيتزوج من نسيبته !! سيكون لفتاة غيرها ، سيصبح شفيق محرما عليها •• ماذا ستفعل ، وقـد تزوج شفيق من نسيبته الغنية الواسعة الثراء ؟ هـل تعود الـى محلة الروشة ، وتعود الى الوقوف مـرة ثانية فوق تلـك الصخور الناتئة العالية السوداء ، وتلقي بنفسها بين أحضان

الأمواج ، وتجرب حظها المرة الثانية مـع الموت ؟ لا • لا موتها لن يحل المعضلة ، لن يبعد موتها شفيقا عـن نسيبته الثرية ؟

ماذا عليها أن تفعل اذن ؟•• هـل تمضي في عذابهـا وآلامها وشجونها وفي سكب الدموع ؟ ولكنها لا تقـوى على ذلك ••• ماذا ستفعل اذن ؟•

عليها أن تبعد شفيقا عن نسيبته ، عليها أن تحول دون زواج شفيق من تلك الفتاة الغنيـة •• كيف ؟ ليس أمامها سوى تنفيذ الخطة التـي رسمها شفيـق •• تتناول مـن صندوق الشركة مبلغ ثلاثين ألف لـيرة تضعها في محفظتها وتطير بها الـى شفيق •• وينتهي كـل شيء •• و •• وتتخلص من دموعها ومن آلامها وتستعيد شفيقا ••

ولكن كيف تمد يدها الى مال ليس مالهـا ؟ أتكون لصة ؟••

لا •• الموت أهون لديها من السير في طريق اللصوصية والاجرام •• فليتزوج شفيق من نسيبته وليبارك الله تعالى لها به ، ولتعش هي شريفة مصانة الكرامة ، نظيفة الكف ، ناصعة الجبين ••

ستتعذب •• وستشقى ، وستبكي ؛ لا بأس كل ذلك يهون لديها عند تشويه سمعتها ، وتمريغ اسمها بالوحول•• ولكن هي تستطيع أن تنقذ قلبها وتنقذ شفيقا دون أن تصاب سمعتها بأذى ، ودون أن تشوه كرامتها بخدش •••

تستطيع أن تستولي على المبلغ المطلوب مدة أسبوع ثم تعيده الى صندوق الشركة دون أن يعلم أحد بالأمر •• ان مفتش الشركة لا يقوم بالتفتيش الا مـرة كل شهر ، وربما انقضى شهـــران دون أن يقـــوم المفتش بدورتـــه التفتيشية •• والمفتش قام بواجبه وأجـرى كشفا علـى الصندوق منذ أيام قليلة ، وهو لـن يعود الـى التفتيش والتدقيق الا بعد أسابيع طويلة ••

الأمر سهل مستطاع ، فلماذا لا تقدم على انقاذ قلبها وقلب شفيق ؟•• هي تتعذب وشفيق أيضا يتعذب •• مـن المؤكد أن شفيقا لم يذق طعم النوم ولا لذة الحياة •• ألم تشاهده كيف بكي وهو يودعها ذلك الوداع الرهيب الموجع الأليم ؟ عليها أن تكون جريئة وأن تدفع الألم عنها وعـن شفيق ••

لا بأس ، هي ستقدم على هذه التضحية التافهة •• ستستولي على ثلاثين ألف ليرة لمـــدة اسبوع ، وتنجو ، وينجو معها شفيق من النار المحرقة التـي تكوي قلبيهمـا وتحرق مهجتيهما ••

ولكن •• وتعود كلمة «ولكن» الى التمايل في رأسها على وهن وقلق واضطراب وعياء •• ولكن اذا ــ لا سمح الله ـ فضح أمرها. . ماذا سيحل بها؟ وما يكون موقفها؟ وماذا سيكون مصيرها؟.

لا •• لا وألف لا •• لا كان شفيق ، ولا كان قلبها ،

ولتصن كرامتها وليظل شرفها بعيدا عن الوحول •• هي لن تقدم على السرقة •• لن تعمد الى الاختلاس ، لـن تكون لصة مجرمة شريرة ••

واقضى اسبوع وسلمى تعيش في جحيم من العذاب• في نار محرقة مـن الغيرة والألـم والهواجس والعذاب ... تتقاذفها الرياح العاتية الهوجاء من كل حدب وصوب، وتعصف بها الهواجس والأوهام ، وتتجاذبها أطياف الخير وأشباح الشر ••

هي حائرة واجمة ، قلقة مضطربة ، دامعة العين كسيرة القلب ، واجفة الفؤاد ••

وخرجت من دار الشركة ، وقد انتهى دوام العمل، بعد اسبوع، وسارت باتئاد خطى الى محطة القطار الكهربائي•• واذا بها تلتقي بشفيق ••

لم يشاهدها شفيق •• كان مقبلا نحوها وهو تائـه النظرات دامع العين . . لقد استطاع الخبيث أن يوهمها أنه لم يشاهدها • استطاع أن يخدعها وأن يحملها على الاعتقاد أن لقاءها به كان صدفة ، كان عفوا ، وهـو في الحقيقة ، كان يرقب خروجها من الشركة منذ أمد بعيد ••

واقتربت منه وهي مضطربة واهية الأعصاب ، واقترب هو منها مطرق الرأس ، يجر رجليه جرا وكأنه لا يقوى على المسير •• ووصل الى قربهـا وشاهدها ، فوقف ينظر اليها ويرتجف •• وهمس : سلمى ••

وخرجت الكلمة من بين شفتيه كأنة الجريح ..

وهمست سلمى : شفيق !..

ووقف شفيق قربها يقول بانكسار وتواضع وخشوع كيف حالك يا سلمى ؟ كيف صحتك يا حبيبتي ؟ هل أنت بخير ..؟

وتمتمت «كيف حالك يـــا شفيق . كيف صحتك ؟ كيف .. كيف» . وتلعثمت سلمى .. وغالبها دمعها ..

وهمس شفيق : أتسألينني كيف حالي يا سلمى، وأنت أدرى الكل بحالي ، حالي ؟ حال بؤس وعذاب ، ألم ودمع وشقاء .. منذ اسبوع وأنا أتعذب ، منذ اسبوع وأنا لـم أذق الطعام ، منذ اسبوع وأنا لم يغمض لي جفن .

آه يا سلمى كم يتعذب ، وكـم يشقى ، وكـم يتألم حبيبك شفيق... وتناول منديله يمسح به دمعة مزيفة عالقة بين أجفانه ..

قالت سلمى وهي تمسح دموعها : هـل تزوجت من نسيبتك يا شفيق ؟.

قال : لا .. لا يا سلمى ، أنـا لـم أتزوج بعد من نسيبتي ، ولكنني طلبت يدها رسميـا ، وحددنا موعـد العرس .. العرس سيتم بعد اسبوعين .. اسبوعان ويصبح شفيق غريبا عن حبيبته سلمى ..

وتمتمت سلمى الترك بألم عميق موجع دام : فليوفقك الله يا شفيق .

وهمس : سلمى !.. هل أستطيع أن أجلس قربك نصف ساعة ؟.. نصف ساعة فقط أتودع بها منك .

قالت : كما تريد يا شفيق .

قال : تعالي معي ، الى مربع طانيوس ، الى محلة باب ادريس . خطوات قليلة ونصل الى مربع طانيوس . تعالي .. تعالي ..

وسار.وسارت بالقرب منه وهي تفكر بشجن ومرارة وعذاب .. ووصلا إلى باب ادريس ودخلا الى مربع طانيوس وجلسا عند طاولة صغيرة ، وتقدم الخادم منهما سائلا : ماذا تأمران ؟

قال شفيق : قهوة ..

وبعد قليل جاءهما الخادم بالقهوة ، فراحا يرشفانها ويدخنان بصمت كئيب حزين .. والتفت شفيق الى سلمى بعد صمت قصير ليقول : أرأيت كيف تعصف الأقدار بأماني البشر ، وكيف تذري أحلامهم وأمانيهم العذاب ؟ من كان يفكر بأننا سنفترق عن بعضنا يا سلمى ؟.. كنا نرسم أحلام المستقبل ونشيّد القصور الشاهقة العالية في الهواء ، واذا بتلك القصور تنهار فجأة ، واذا بأحلامنا وأمانينا وآمالنا رماد يذري في الفضاء ...

وهمست سلمى والدموع تترقرق في عينيها : هذه هي مشيئة الله يا شفيق ، فلنحترم مشيئته تعالى .

قال : لا .. لا يا سلمى ، هذه ليست مشيئة الله، الله

لا يريد لنا الفراق ، لا يريد لقلبينا العـذاب ، ولا لعينينا الدموع .. انها مشيئتنا نحن . نحن أردنا الفراق ، فكان لنا ما أردنا .

فوجمت سلمى وتمتمت : ماذا تقول يا شفيق ، أنكون نحن أردنا الفراق ؟ أنكـون نحـن قـد اخترنا العـذاب والأشجان والآلام والدموع ؟

فنفث شفيق دخان اللفافة في الفضاء وهمس : أجل.. أجل يا سلمى . نحن نستطيع أن ننقذ قلبينا ونصون حبنا ونحبس دموعنا .

قالت بلهفة والحاح : كيف ؟ وكيف نستطيع ذلـك ياشفيق...قال : لقد رسمت لـــك خطة ، الا أنك رفضت تنفيذها .

فأدركت ما يرمي اليه.وتمتمت .. أنت تعلم يا شفيق أنني عاجزة عن تنفيذ تلك الخطة .

قال : لا .. أنا أعلم أنك قادرة على تنفيذها ، فالأمر سهل لا يحتاج الى جهد وعناء . ما عليك الا أن تأخذي ثلاثين ألف ليرة من صندوق الشركة غدا .. وبعد اسبوع يكون المبلغ قد أعيد الى الصندوق ، وبذلك تنقذين قلبينا من العذاب وعيوننا من الدموع .

وصمتت سلمى .. وراحت تدخن وتفكر ، شفيق على حق ، هي تستطيع أن تنقذ القلبين ، قلبهـا وقلب شفيق ، ولكن عليها أن تغامر لأنقاذهما . عليها أن تستولي علـى

ثلاثين ألف ليرة من صندوق الشركة، وأن تتحمل المسؤولية، وأن تجازف بسمعتها وبكرامتها وبشرفها •• قد تنجح المغامرة •• وقد لا تنجح ••

هل تقدم على هذه المغامرة ؟•• ليست تدري ، ليست تدري ••

وألقى شفيق نظرة سريعة على الساعة المشدودة الى معصمه والتفت الى سلمى ليقول •• الساعة بدأت تميل الى الثالثة ، وأنا على موعد مع خطيبتي •• أنا مضطر للانفصال عنك الآن ، وسأعمل جاهدا لموافاتك غدا في مثل هذه الساعة هنا يا سلمى •

فأدمعت عينا سلمى وشفيق يعلن لها أنه على موعد مع خطيبته ، وشعرت بالغيرة القانية الاحمرار تعصف بقلبها وبروحها • فهمست : شفيق !•• أرى أن نضع حدا لعلاقتنا الآن •• أنت خطبت نسيبتك وستتزوج منها بعد اسبوعين، ولا يجوز أن تخونها وأن تجتمع بفتاة غيرها على انفراد ••

قال : أمامنا اسبوعان يا حبيبتي ، أرجو أن أراك كل يوم خلال هذين الاسبوعين • أريد أن أتودع منك • أريد أن أشبع من النظر الى عينيك الحلوتين ، لا تحرميني من هذه الأمنية الغالية يا حبيبتي •

وصمتت سلمى ••

ومد شفيق يده اليها يصافحها.وهمس : الى اللقاء يا حبيبتى غدا ، هنا • في تمام الساعة الثانية ••

وصافحته.وتمتمت : الى اللقاء يا شفيق ..

وخرج شفيق.. ومسحت سلمى دموعها وسارت عائدة الى منزلها وهي واهية القوى ، واجفة القلب ، دامعة العين، وعصفت بهـا الهواجس والأفكـار السوداء ... ودهمتها الحيرة الممضة المقلقة .. ماذا عليها ان تفعل ؟ هل تتخلى عن حبيبها شفيق ، وتعيش حياتهـا كلهـا في الألم والدموع والعذاب ؟.. هل تنفذ الخطة التي رسمها شفيق، فتستولي على ثلاثين ألف ليرة مـن صندوق الشركـة ، وتسلمها لشفيق ، فيتخلى عن خطيبته ويتزوج منها وتضمن لقلبها السعادة ، ولروحها الهنـاء والاطمئنان ؟.. ليست تدري .. ليست تدري ... وقضت سلمى طيلة ذلك الليل في تفكير ممض رهيب. ولم تستطع أن تذوق طعم الرقاد.. لم تستطع أن تنام ، ولا أن تهدأ ، ولا أن ترتاح ..

وبزغ الصباح وسلمى جالسة في سريرها تدخن وتفكر.. ونهضت من السرير تغسل وجهها وترتدي ثيابهـا وهي لا تنفك تفكر بألم وعذاب.. وجاءتها أختها نجلاء بالقهوة، فجلست ترشفها وتدخن وتفكر ..

وانتهت من تناول القهوة ، ودخلت الـى غرفة والدتها لتلقي عليها تحية الصباح .. ووجمت وهي تشاهد أمها في حال تعب وعناء .. كانت الحمى تنهش جسدها المشلول ، والعرق يتصبب مـن جبينها ، وهـي تلهث لهاثا متواصلا

شديدا ... واقتربت سلمى من أمها تمسك بيدها هامسة :
ماما .. ماما .. ما بك يا ماما ؟...

فنظرت نجيبة الترك نظرة حيرة الى ابنتها وهمست بجهد وتعب وعناء : سلمى .. أمك انتهت .. انتبهي الى .. الى نفسك و.. الى أختك يا حبيبتي.. والدك يدعوني اليه.. لقد حانت ساعة الرحيل .. سلمى .. سلمى .. أين نجلاء .. أين أختك يا سلمى ؟..

ونادت سلمى أختها اليها.. وجلست الابنتان على سرير الوالدة المحتضرة تبكيان.. وأشتد الوهن والعناء بالأم.. فهرولت سلمى مسرعة لاستدعاء الطبيب، وظلت نجلاء قرب أمها.. واذا بالأم تغمض عينيها وتتراخى يدها الصحيحة.. وخيل لنجلاء أن أمها نائمة ، فاطمأنت بعض الاطمئنان ، الحمد لله لقد ارتاحت أمها قليلا .. ومرت دقائق قليلة ونجلاء جالسة قرب سرير أمها ، والأم مغمضة العينين .. وأقبلت سلمى يرافقها الطبيب .. وتقدم الطبيب من نجيبة .. ثم التفت الى ابنتيها هامسا : رحمها الله ..

وصرخت نجلاء بذعر : ماتت ؟..

وألقت سلمى بنفسها على صدر أمها وأجهشت بالبكاء.

لقد ماتت نجيبة الترك ، ماتت مكسورة الخاطر ، مهيضة الجناح ، دامعة العين .. وأصبحت ابنتاها وحيدتين في هذه الحياة . لا أب ، ولا أم ، ولا أخ ، ولا نسيب ، ولا قريب .. وشعرت سلمى بالوحدة الصماء وقد رحلت أمها

عن هذه الفانية .. وتألمت وقد خيل اليها أنهـا هي السبب في موت أمها .. وبكت تلك الأم بدموع قانية الاحمرار..

وضمت سلمى شقيقتها نجلاء الـى صدرها ، وقد توارت الأم عن الدار الى الأبـد ، وراحت الاختان تبكيان وهما متعانقتان ، تحاول كل منهما تعزية أختها وتعجز عن التعزية.

وانقطعت سلمى عن العمل ثلاثـة أيام .. وجاء مدير الشركة نفسه اليها يقـدم لهـا التعازي الحـارة ويقول : سلمى .. ثقي يا ابنتي انـي سأكون لـك بمثابة الوالد الحنون ، لا تحزني لموت أمك ، كلنـا راحلون عـن هذه الفانية يا ابنتي ..

وجاء موظفو الشركة يقدمون لها التعازي ويغمرونها بالعطف والمحبة والحنان .. وفي اليوم الرابع عادت سلمى الى عملها في الشركة ..

وعادت الى التفكير بشفيق .. ماذا فعل شفيق خلال هذه الأيام القليلة التي انقطعت بها عن لقائه ؟..

هل كان يحضر كل يوم الى مربع طانيوس ؟..

هل هو ما زال يفكر بها ؟...

هل بدأ بحب خطيبته ؟.. وهي ، ماذا عليها أن تفعل.

هل توافيه اليوم الى مربع طانيوس ؟..

هل تنقطع عن التفكير به ؟ وتتركه لخطيبته الواسعة الثراء ؟..

ولم تستطع سلمى أن تصل الـى حل لمعضلتها .. لم

تستطع أن تتخذ قرارا حازما صريحا•• وانتهى موعد العمل وخرجت من الشركة وهي لا تعلم الى أين تسير ؟••

هل تشخص الى مربع طانيوس لعلها تحظى بلقاء شفيق ، أم تراها تعود الى الدار حيث تقيم نجلاء على انتظارها ؟••

وسارت خطوات قليلة •• واذا بشفيق يطل عليها •• واضطربت •• وارتجفت •• وخفق قلبها لمرآه ••

واقترب شفيق منها هامسا : لماذا لم توافني الى مربع طانيوس ؟

وهمست : لم أستطع موافاتك يا شفيق •

قال : ولماذا ترتدين الثياب القاتمة السواد يا حبيبتي؟•

قالت : لقد ماتت أمي يا شفيق ••

وتظاهر شفيق وهبي بالالم والأسف والأسى. وهمس : فليعوضنا الله بسلامتك يا حبيبتي •• مسكينة •• رحمها الله••• وأمسك شفيق بيدها هامسا : تعالي•• تعالي نجلس هناك في مربع طانيوس •• تعالي يا حبيبتي •• تعالي •

وقادها الى هناك •• الى مربع طانيوس •• وجلسا يرشفان القهوة ويدخنان ويتحدثان •• وعاد شفيق الى تحريض حبيبته سلمى على سرقة المال من صندوق الشركة•• وعادت الفتاة البائسة الى التردد والتفكير •• وافترقا على أمل اللقاء في اليوم التالي •• وعادت سلمى الى دارها وفي رأسها يدور ألف فكر ، وفكر وألف هاجس وهاجس ، وانغمست في قلقها وحيرتها وترددها وتفكيرها واضطرابها••

١٣ في طريق الضلال . . .

سلمى الترك جالسة على المقعد الوثير وأمامها الصندوق الحديدي المليء بالأوراق النقدية وبالحوالات في شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية ..

وانصرفت سلمى الى عملها تعد المال ، وتراجع الحسابات ، وتستلم الأوراق النقدية من الزبائن ، وتسلم أصحاب الحوالات أموالهم ...

وراحت سلمى تفكر وهي منصرفة الى عملها ، فجنح بها تفكيرها الى حبيبها شفيق وهبي ..

أين هو شفيق الآن ؟. أيكون جالسا قرب خطيبته يسايرها ويسامرها ويتودد اليها ؟.. أتراه يفكر بها الآن كما تفكر هي به ؟. أما زال شفيق يحبها ، أم تراه نسي حبها لينغمس في هوى خطيبته الغنية الحسناء ؟.

ليست تدري .. ليست تدري .. ومضت سلمى في تفكيرها ... واستعادت في مخليتها كلام شفيق بالأمس..

ماذا قال شفيق ؟

قال لها وهما يجلسان في مربع طانيوس يرشفان القهوة ويدخنان : « .. نحن نستطيع أن ننقـذ قلبينا ، ونصون حبنا ، ونحبس دموعنا ... لقد رسمت لك خطة الآن أنك رفضت تنفيذها .. الأمر سهل لا يحتاج الى جهد وعناء . ما عليك الآن أن تستولي على ثلاثين ألف ليرة من صندوق الشركة غدا .. وبعـد أسبوع يكون المبلغ قـد عاد الى الصندوق ، وبذلك تنقذين قلبينا من العذاب وعيوننا من الدموع » ...

هذا ما قاله شفيق .. وهو على حق .. ثلاثون ألف ليرة فقط تنقذ حبهما وتصون قلبيهما ويبقى لها شفيق ...

ألا تشتري حبها وسعادتها بمبلغ ثلاثين ألف ليرة ؟.

ولكن .. ولكن هي لا تملـك الآلاف الثلاثين ، لا تملك ثلاثة آلاف .. لا تكاد تملك ثلاثين لـيرة .. فكيف تمد شفيقا بالآلاف الثلاثين ؟..

ومضت سلمى في تفكيرهـا ؟.. ان شفيقـا رسم لها الخطة المضمونة النجاح . قال : « تستولين على ثلاثين ألف ليرة من صندوق الشركة ، وتنتهي بها معضلتي ، ثم أعيدها اليك بعد أسبوع ، فتعيدينها الى صندوق الشركة ، ولا من رأى ولا من سمع ، ولا من شاهد » ..

الخطة موفقة .. ما لها الآن ان تمد يدها الى الأموال المكدسة أمامها الآن في الصندوق ، وتستولي على الآلاف الثلاثين وتخفيها في حقيبتها وتطير بهـا الى شفيق ، و ..

وبعد أسبوع يعيد شفيق المال اليها ، فتعيده الى صندوق الشركة .

ولكن .. ولكن استيلاءها علـى مال الشركة يعتبر سرقة ..

أتسرق ؟ أتصبح لصة ؟.

لا ، لا ، لا ، هي لن تقدم على هذه الجريمة النكراء. لن تمدّ يدها الى صندوق الشركة ، لـن تصبح لصة ، لن تكون مجرمة .

ولكن ، ولكن هي لـن تسرق أمـوال الشركة .. الآلاف الثلاثون ستستدينها، ثم تعيدها بعد أسبوع إلى الصندوق ، فأين هي الجريمة ؟.

ولكن .. ولكن ثمة مسؤولية كبيرة ، ومغامرة خطرة في استدانة الآلاف الثلاثين ، فلماذا تحمل هذه المسؤولية؟. ولماذا تقدم على هذه المغامرة ؟.

لا . لا . ما لها ولهذه الخطوة الخطرة تخطوها وفيها الكبوة والزلة والمخاطرة .

وانغمست سلمى في تفكيرها المؤلم الموجع الثخين اذا لم تستدن المال مـن صندوق الشركة ، فهي ستخسر شفيقا .. سيكون حبيبها شفيق مضطرا الـى الزواج من نسيبته الغنية ، للخروج من المأزق الحرج ..

يتزوج ؟. شفيق يتزوج من فتاة غيرها ؟.. ويقبّلها؟.

ويضمّها الى صدره ؟•• ويغدق عليها العاطفة والحب والحنين ؟••

لا •• لا •• الموت ، ولا احتمال نار الغيرة اللاسعة الحمراء ، عليها أن تنقذ قلبها من النار ، وتصون عينيها من الدموع •

يجب أن تحتفظ بحبيب القلب والروح، شفيق لها هي، وليس لفتاة غيرها أن تفكر بشفيق•• ولكن كيف ستحتفظ بشفيق ؟• كيف ؟• الأمر سهل بسيط ••

الأموال مكدّسة في الصندوق أمامها •• في صندوق الشركة الآن زهاء مئة ألف ليرة لبنانية ، ما عليها الا أن تمدّ يدها الى الصندوق وتتناول منه ثلاثين ألف ليرة وتنتهي المعضلة ••

وضمت سلمى الترك راحتيها الى بعض •• وأسندت ذقنها الى يديها المتشابكتين وأخذت تحدق بالأوراق النقدية المنثورة أمامها على الطاولة ، وبالحوالات وبالمال وبالدراهم المكدّسة في الصندوق بعينين تائهتين قلقتين جاحظتين ••

ماذا عليها أن تفعل الآن ؟•

هل تمد يدها الى مال الشركة ؟•

هل تنقذ شفيقا ، وفي انقاذه انقاذ قلبها وحبها وسعادتها ؟•

هل تحبس يدها عن الاختلاس ، وتصون كرامتها واسمها وشرفها ؟•

هل تبتعد عن شفيق الى الأبد ؟.

هل تضحي بقلبها على حساب سمعتها ؟.

هل ؟ هل ؟ هل ؟... ودارت في رأسها عشرات الأسئلة دون أن تستطيع الاجابة على سؤال واحد منها .. وكادت تضيع بين هواجسها وأفكارها وأسئلتها ..

وطال تفكير سلمى الترك .. وحان موعد الانصراف من العمل ، وبدأت الساعة تميل الى الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم . وبدأ العمال يستعدون للانصراف.. ومضت سلمى في وجومها وتفكيرها وقلقها واضطرابها .. وبدأ الموظفون يخرجون من الشركة ..

خرج الجميع ، وسلمى لا تزال في جلستها الحائرة القلقة المضطربة الهوجاء ... وتلفتت حولها فلم تجد أحدا من الموظفين .. ما هناك سوى الحاجب ينصرف الى ايصاد النوافذ والأبواب ..

واذا بيدها تمتد الى الصندوق الحديدي وتتناول منه الاوراق النقدية .. خمسة آلاف ، ثم خمسة آلاف .. ثم خمسة آلاف .. ثم .. وتناولت ست رزمات ، كل رزمة تحتوي على خمسة آلاف ليرة .. وألقت بالرزمات الست في محفظتها وأوصدت الصندوق الحديدي ، ونهضت لتسير بكل هدوء واتزان ، وخرجت من الشركة الى الشارع العام ..

وسارت ، سارت وهي تحمل محفظتها الملأى بالأوراق النقدية الى محلة باب ادريس .. واتجهت ، الى مربع طانيوس ..

وكان شفيق في انتظارها ، كان كعادته جالسا عند مائدة صغيرة يدخن ويفكر •• واقتربت منه•• وشاهدها تقترب، فابتسم لها ••

وتقدمت منه تصافحه والابتسامة تشع على شفتيها •• ودعاها للجلوس بقوله : أهــلا سلمى •• أهلا •• تفضلي أجلسي هنا • هنا قربي ••

وتفضلت سلمى بالجلوس هنــاك •• هناك قربــه •• وقالت بعد جلوسها : كيف الحال يا شفيق ؟•• قال : وكيف تريدين أن تكون الحال ؟ هل رأيت أسوأ من حالي حالا يا سلمى •• التي أحبها بعيدة عنــي ، والتي لا أحبها قريبة مني •• هل تصدقين يا سلمى أنني بت أتمنى الموت ؟ هل تصدقين أن الحياة باتت قاتمــة السواد في عيني ؟•• أي قيمة للحياة اذا كان الانسان يعيشهــا في البؤس والعذاب والدموع ؟•

لقد استطاع شفيق أن يثير فيها العاطفة ، وأن ينتزع من عينيها الدموع ، مسكين شفيق ، كم يشقى وكم يتألم في حبها ؟...

وردّت سلمى : شفيــق ! أتحبنــي ؟ أتحب سلمــى يا شفيق ؟•

فأمسك بيدهــا هامسا : هــل تشكين بحــب شفيق يا حبيبتي ؟ ألا تؤمنين بصدقي وباخلاصي وبوفائي ؟•

قالت ، وقد تركت يدها في يده : لا يا شفيق •• لا

يا حبيبي ، أنا لـم آكن يومـا لأشك بحبـك وبعاطفتك وبصدقك، ولذلك فأنا قد اتخذت قراري النهائي اليوم.. فلمعت الفرحة في عيني شفيق وقال : مـا هـو هذا القرار الذي اتخذتِه يا سلمى ؟ قالت اطمئن يـا شفيق نحن لن نفترق ، سنعيش العمر ، طيلة العمر معا يا حبيبي ..

قال بقلق وحسرة وألم : كيف تريدين أن نعيش العمر معا ، والأزمة الخانقة تحيط بـي؟.

فاتسعت الابتسامة على شفتيها النديتين.وقالت : دواء أزمتك عندي في هذه المحفظة .

قال بفرح : وماذا في هذه المحفظة يا سلمى ..

ففتحت سلمى محفظتها .. وبكل رصانة وهدوء بدأت تتناول منها الألوف الثلاثين وتلقي بها بين يدي شفيق ..

وعقد الفرح لسان شفيق وهبـي .. خطته المرسومة لاقت النجاح الكبير ، لقد استطاع الخبيث أن يصل الـى الهدف المنشود ! أثار غيرة سلمى ، فدفعتها غيرتها الى تلبية طلبه .. وتظاهر شفيق بالأسف والأسى والشجن .. وأبى أن يمدّ يده الاثيمة الى الاوراق النقدية المتناثرة أمامه .. وهمس : سلمى ! ماذا فعلت يا حبيبتي ؟؟

قالت : لقد نزلت عند طلبك يـا شفيق .. استوليت على ثلاثين ألف ليرة مـن صنـدوق الشركـة لأبعدك عن خطيبتك .. خذ يا شفيق ، خـذ يـا حبيبي . خذ هذه الألوف فهي تساعدك علـى حـل معضلتك والظهور أمام

شركائك بالمظهر اللائق الـــذي يحفظ كرامتــك •• وبعد أسبوع ستعيد هذا المبلغ لـــي ، وأعيده أنـــا الى صندوق الشركة •

ورقص قلب شفيق طربـــا ، الا أنـــه مضى في اظهار الأسف والشجون.فقال : انـــي لأخشى أن يكتشف أمرك يا حبيبتي ، أخشى أن يقف المدير علـــى السر ، ويعلم أن يدك امتدت الى صندوق الشركة و ••

فقطعت عليه الكلام: لا تخف يا حبيبي، إن المفتش العام لا يجري تفتيشه على الصندوق الا مرة كل شهر كما تعلم•• ولم يمض على التفتيش الذي أجراه هذا الشهر ، سوى أيام قليلة ، هو لن يعود الى التفتيش خلال أسبوع ، ومن الآن حتى نهاية الأسبوع يكون المبلغ قد عاد الى الصندوق •• أليس كذلك يا حبيبي ؟••

نفث شفيق دخان اللفافة المحتضرة في الفضاء وقال : أرى ألا تقدمي على هذه المغامرة يا حبيبتي•• أنا سأتزوج من نسيبتي الغنية ، وأتناول منها المال ، وأعفيك مـــن هذه المغامرة الخطرة •

قلقت سلمى وجزعت وهـــي تسمع كـــلام شفيق •• وتمتمت بوجوم : أتحبها يا شفيق؟ أتصر على الزواج منها ؟•

وأمسك شفيق يد سلمى يشدها بشوق مزيف، وحنين كاذب ليقول : لا يا سلمى •• لا يا حبيبتي وحياتك، وحياة عينيك الحلوتين ، وحياة حبنـــا الطاهر المقدس الشريف أنا

لا أحبها ، الا أنني أربأ بنفسي أن أدفع بك الى هذه المغامرة يا حبيبتي . أنت لست مجبرة على حمل هـذا العبء .. لست مضطرة الى القيام بهذه التضحية يا سلمى ..

قال هذا وأغرورقت عينـاه بالدموع ، لقد استطاع الخبيث أن يتظاهر بالبكاء ..

وشدت يدها يده برفـق وحنان ، وتمتمت : أتعدّني غريبة عنك يا حبيبي ؟ ألست حبيبتـك المخلصـة الوفية يا شفيق ؟.. خذ يا حبيبي .. خـذ هـذه الألوف ، انها ثلاثون ألفا ، استعن بهـا على حـل معضلتك ، وأفسخ خطوبتك .

وصمت شفيق وراح يدخن ويفكر ..

وعادت سلمى الى الالحاح ، وكلما زادت في الحاحها، ازداد شفيق ترددا ودلالا .. وأخيرا تنازل الحبيب المدلل ، ومدّ يده الى الرزمات الست ليخفيها في جيوبه .. في هذا الجيب رزمة ، وفي تلك رزمة .. وأخفـى الرزم الست .. ثلاثون ألف ليرة دخلت جيوبه العامرة .

الحمد لله .. ثم الحمد لله .. لقد نال ما تمنى .. شفيق وهبي أصبح غنيا ، غنيا هكذا دفعة واحدة دون أن يسافر الى المهجر القاصي البعيد ، ودون أن يعمل ، ودون أن يتعب ، ودون أن يجهد النفس وينهك الجسد ..

وساد الصمت برهة بين الحبيبين المتيمين .. كان كل منهما يدخن ويفكر ..

وأخيرا التفتت سلمى الى شفيق لتقول بعد صمت قصير : على ماذا عولت يا شفيق ؟

ومسح شفيق دمعة مزيفة كانت عالقة بين جفنيه وقال : وماذا تريدينني أن أفعل يا سلمى •• لقد بات جميلك في عنقي الى الأبد ••

قالت : ومتى ستفسخ خطوبتك ؟•

قال : وهل يحتاج هذا الأمر الى سؤال ، أنا فسخت خطوبتي الآن ، منذ هذه اللحظة •• سأبلغ نسيبتي خبر فسخ الخطوبة بعد ساعة •• بعد ساعة واحدة • سأشخص من هنا توا اليها وأقول لها : « أنت حرة أيتها النسيبة العزيزة ، انني أهبك كل ما قدمت لك من هدايا ثمينة ••»

أقول لها هذا وأدير ظهري وأسير في سبيلي •

فارتاحت سلمى كل الارتياح وهي تسمع كلام شفيق فقالت : يا حياة سلمى يا شفيق •

وتابع شفيق كلامه ليقول : أنت خطيبتي يا سلمى ، شفيق لن يكون له خطيبة غير سلمى ، أنت خطيبتي اليوم، وزوجتي غدا ، وحبيبتي طيلة العمر •

وأدمعت عينا سلمى •• وترقرقت دموع الفرح في عينيها فقالت : أرجو يا شفيق أن تسرع في حل أزمتك كي نستطيع الاسراع في الزواج •

قال وهو يشدّ يدها : هذه هي أمنيتي يا حبيبتي ، أمنيتي هي أن أسرع بالزواج منك ، انني أنتظر ذلك اليوم

الرائع الفاتن البهيج ، يـوم زفافنا بفارغ صبر •• اطمئني لن يمر شهر • شهر واحد الا ويكون كل شيء قد انتهى ، وتكونين قد أصبحت زوجة شفيق وهبي •

نفثت سلمى دخان اللفافة في الفضاء وتمتمت : لا يـا شفيق ، لا يا حبيبي ، لكن موعد زفافنا بعد ثلاثة أشهر ، لا بعد شهر واحد •• أنـا مـا زلت أرفل بالثياب السوداء حزنا على والدتي الراحلة ، مـاذا سيقول الناس عني وهم يرونني أرفل بثياب العرس البيضاء بعد مضي شهر واحد من وفاة أمي ••

يا لها من فتاة بائسة سليمـة القلب •• لقد صدّقت كلام شفيق ، لقد آمنت بما يقول •• لقـد خيّل اليها أن شفيقا صادق ، وأنه سيعمد الى الزواج منها بعد شهر ••

والتفت شفيق اليها ليقول : كما تريدين ، أنا لن أخالف لك أمرا يا حبيبتي ، سأكون طوع يديك ، لك أن تأمري ، وعلي أن أطيع •

تأكبرت فيه ذلـك الانقياد الأعمـى ، وآمنت بحبه وبوفائه وباخلاصه ، مسكين شفيق •• هو يحبها حبا هائلا عاصفا شديدا •• لن يخالف لها أمرا •• لها أن تأمر وعليه أن يطيع •••

هل هناك حبيب في العالم مثل حبيبها شفيق ؟••

واستـأنف شـفيـق الكـلام بـعـد صمـت قصـيـر لـيقـول : سيكون عرسنا مفخرة الأعراس وزينتهـا وأروعها وأبهاها

يا حبيبتي ، وستعيشين في قصر زوجك عيشا هادئا سعيدا ، غدا ، عندما يستتب أمر شركتي ، سنسافر معا الى العواصم الأوروبية .. سأطوف بك أنحاء العالم، سنكون بين الأزواج السعداء في المقدمة يا روح شفيق .

وفرش لهــا المستقبل بالزهور والورود والرياحين ، فأغمضت عينيها لتشاهد ذلــك المستقبل الذي يتحدث عنه شفيق ، واحة خضراء رائعة السنا ، وارفة الظلال ، مخضلة الأحلام ..

١٤ تبخرت الأحلام

قضت سلمى أسبوعا كاملا في حلم رائع فاتن جميل.. كانت تجتمع كل يوم بحبيبها شفيق ، وشفيق ـ حرسه الله ـ كان يعللها بالزواج القريب ، ويحدثها عن ذلك المستقبل الزاهر الزاهي المضيء ..

وانقضى الأسبوع ، وبانقضائه انقضت أحلام سلمى لتحل محلها الهواجس والهموم .. فقد وثب شفيق بعد أسبوع ليقول لها : سلمى ! لقد وعدتك بأن أعيد اليك الألوف الثلاثين لتعيد بها إلى صندوق الشركة ، إلا أنني مضطر لإخلاف وعدي ، لن أستطيع أن أعيد إليك المال قبل أسبوع آخر . في آخر هذا الأسبوع سيكون المبلغ بين يديك .

قالت سلمى بقلق وحيرة واضطراب : شفيق ! أنت تعلم يا حبيبي عظم المسؤولية التي ألقيت بها على عاتقي ، لقد بت أخشى أن يمر المفتش بالصندوق ويجري كشفا على

الحسابات وعلى المال ويفضح أمري ، أتعلم يا حبيبي ماذا سيكون مصيري اذا فضح أمري ؟..

ثمأمسك شفيق بيدها ليقول : اطمئني يـا حبيبتي .. اطمئني يا سلمى . في نهايـة الأسبوع سيكون المبلغ بين يديك يا حبيبتي .

وصمتت سلمى علـى مضض .. وأمسك شفيق يدها ليقول : اطمئني ، شفيق لــن يتخلى عنك يا حبيبتي .. اطمئني .. اطمئني .

ولم تستطع سلمى أن تطمئن .. وكيف تطمئن سلمى والفضيحة تتأهب للانقضاض عليها ..

وراح شفيق يعمل جاهدا علـى اشاعة الاطمئنان في قلبها ..

وأمسك بيدهـا يشدها قائـلا : تعالـي ، تعالـي يا حبيبتي ، تعالي معي ..

قالت : الى أين يا شفيق ؟.

قال : سنقوم برحلة في سيارتي .. بنزهة .. أتذهبين معي الى صيدا ؟ الى ذلك الفندق الصغير حيث قضينا تلك الليلة الممطرة العاصفة الحمراء ؟.

وظهر الرعب جليا في قلب سلمى وقالت : لا .. لا يـا شفيق .. دعني من هـذه الرحلة .. كلمـا تذكرت ذلك الفندق ، عادت الذكريات المؤلمـة الداميـة تعصف بقلبي وتدمي فؤادي وتؤلم روحي .

قال : أين تريدين أن نذهب اذن ؟.

قالت : فلنظل هنا .. هنــا نستطيع أن تتحدث وأن نتسامر ونتساير ونتكلم بكل ما نريد.. قال: هكذا تريدين أن نظل ؟ هنا ؟ لا قبلة ، ولا ضمة ، ولا عناق ؟ هنا حيث العيون النهمة تلاحقنا والهمسات تتصاعــد حولنا ؟ هنا ؟ هنا ؟ في هذا المربع ؟.

لا يا سلمى لا يا حبيبتي .. أنــا أحبك ، وأشتاقك وأريد أن أخلو بك .

فابتسمت سلمى وهمست : أتريد أن تخلو بي ؟.

قــال : هذا ما أريد .

قالت : تعال معي الى دارنا .

قــال : أتكونين وحدك في الدار ؟

قالت : ليس هناك سوى أختي نجلاء .

وصمت شفيق برهة ليقول : كما تريدين يا حبيبتي .

ونهضت سلمى قائلة : تعال ، تعال يا حبيبي .

فنهض شفيق لينقد الخادم ثمــن القهوة ويسير برفقة حبيبته الى سيارته ... وسارت سيارته العجوز لاهثة الى محلة المزرعة ..

وهناك ، أمام دار سلمى أوقف شفيق السيارة المتعبة، وترجلت سلمى من السيارة هامسة : تعال معي ..

قال بخجل مزيف وحياء كاذب : لا يــا سلمى ، لا ،

انني خجول يا حبيبتي ، ماذا ستقول عني أختك نجلاء وهي تراني أدخل معك الى داركما •

قالت : تعال سأعرفك الـى نجلاء ، وسترحّب بك ، سأدعي بأنك جئت لتقدم لها فروض التعزية بوفاة والدتنا•• تعال ، تعال يا حبيبي •

فترجل شفيق من السيارة وسار قربها ، ودخلت به الى الدار ونادت اليها أختها : نجـلاء ! تعالي يا نجلاء ، تعالي يا حبيبتي لأعرفك بالصديق العزيز شفيق وهبي •

وأقبلت نجلاء •• وسمرت عينا شفيق بها ، يا لها من فتاة رائعة الجمال ، هي في زهاء العشرين من العمر ، هيفاء القامة ، نجلاء العينين ، بيضاء البشرة ، سوداء الشعر •

كل ما فيها رائـع فاتن جـذاب ، هي تفوق شقيقتها سلمى فتنة وحسنا وجمالا •

وتقدمت نجلاء مـن شفيق وابتسامـة البراءة والطهر تغمر شفتيها النديتين ، وهمست بصوت حنون عذب شجي: أهلا وسهلا •

قالت سلمى : السيد شفيق زميل سابق كان موظفا في الشركة التي أعمل فيها يا أختي ، وقد التقيت به في الطريق فأبدى رغبة في زيارتنا ليقدم لنا فروض التعازي •

وهمس شفيق بأسف مزيف : لكِ تعازيَّ الحارة أيتها الآنسة نجلاء •

وهمست نجلاء : شكرا أيها السيد شفيق •••

والتفتت سلمى الـــى شقيقتها لتقول : الينا بالقهوة يا نجلاء •

ودخلت نجلاء الـــى المطبخ لتهيىء القهوة ، وجلست سلمى قرب شفيق ، والتصقت به والقت برأسها الى صدره ••• وضمها اليه ، وغرقــا معــا في يم مـــن الضم والقبل والعناق ••

وتعددت زيارات شفيق الـــى دار سلمى ونجلاء ، ولم يعد شفيق يتظاهر بالخجل كلما دخل الـــى تلك الدار ، بل هو أصبح يدخل الى تلك الدار في الليل مثله في النهار •• وكثيرا ما يتناول الطعام مع الشقيقتين الجميلتين •• وكثيرا ما يقضي سهرته مع سلمى حتى مطلع الفجر البعيد ، في حين تغط نجلاء في نومها •• وينعم شفيق بهوى الفتاة البائسة وبقبلاتها وبعناقها وبجسدها الغض النضير ، الا أن نجلاء لم تكن لترتاح الى صديق شقيقتها •

لم تكن نجلاء لتطمئن الى تلك العلاقة العميقة القائمة بين أختها سلمى وبين ذلك الشاب النحيل ، القصير القامة ، الثقيل الظل •

وكانت نجلاء تحـــذر أختها ! وتسدي اليها النصح ، وترجوها الابتعاد عن شفيق ، كانت نجلاء تطلق على شفيق اسم « الثعلب » كانت تقول لأختها : ان مرأى هذا الوجه، وجه شفيق وهبي ، يذكرني بوجه « الثعلب الخبيث » •

ما لك وله يا أختي ابتعدي عنه يا سلمى •• انني لأرى المكر والخبث والدهاء تطل من وجهه ••

وتضحك سلمى وتقول : انك على خطأ يا نجلاء •• شفيق شاب مهذب رصين ، دمث الأخلاق ، طيب القلب ••

كانت نجلاء تنظر الى شفيق بعين العقل ، فتشاهده على حقيقته •• أما سلمى فكانت تنظر اليه بعين الحب ، وعين الحب عمياء ••

وعاد القلق يستبد بسلمى وقد أشرف الشهر على الانصرام، وشفيق لم يعد إليها الألوف الثلاثين.. ووثبت اليه ذات يوم ، وقد اشتد بها القلق لتقول : شفيق ان المفتش العام سيجري تفتيشا دقيقا على الصندوق في الشركة خلال هذا الأسبوع ، اذا لم يقم المفتش بدورته التفتيشية غدا فهو سيقوم بهذه الدورة بعد غد ، واذا لم يقم بها بعد غد ، فهو سيقوم بها في اليوم الذي يليه •

من المؤكد أن المفتش العام سيجري التفتيش خلال هذا الأسبوع ، وماذا ستكون حالي ؟ ماذا سيحل بي اذا اكتشف المفتش ما أقدمت عليه ؟

صدقني يا شفيق أنني أشخص الى الشركة والهلع يعصف بي •• كلما شاهدت المفتش أرتجف هلعا لمشاهدته، وكلما رأيت المدير أرتعش خوفا لمرآه ••

لقد وعدتني بأن تعيد المال اليّ بعد أسبوع •• وها قد انقضت أسابيع أربعة والمال لم يعد ••

أرجوك يا شفيق ، أرجوك وألح في الرجاء يا حبيبي أن تنقذني من هذا المأزق الحرج انني لأستحلفك بحبنا ، بنور عينيك أن تسرع في اعادة المال التي لأعيده الى صندوق الشركة ، وأتقي الفضيحة وأنجو من السجن يا حبيبي

وكانت سلمى جالسة قرب شفيق على المقعد الرجراج الوثير في دارها وهي تتحدث الى شفيق •• ولم تكن نجلاء في الدار •

كانا وحدهما •• وطوق شفيق حبيبته بذراعيه ، وشدها الى صدره ، ونظر الى عينيها النجلاوين الحالمتين وهمس : اتحبينني يا سلمى ؟ •

وتراخت يدا سلمى وهي بين ذراعي شفيق •• وألقت برأسها الواهي على صدره.وهمست : تسألني اذا كنت أحبك ؟ لا تسلني يا شفيق ، بل سل قلبك •• سل هذا القلب الهائم الولوع ، ينبئك الخبر اليقين •

لو لم أكن أحبك ، لو لم أكن أهيم بك ، لما أقدمت على المجازفة بسمعتي وبكرامتي وبشرفي •

أنت الدنيا بأسرها عند سلمى يا شفيق •

قال : لم أكن يوما لأشك بصدق حبك يا حبيبتي •• ان قلبي دليلي •• انا اعرف انك تحبينني كما احبك ، وانك تتفانين في حبي ، كما اتفانى في حبك •• وعلى المحبين أن يسلكوا طريق الصراحة يا سلمى •

قالت : لذلك فأنا قد صارحتك بكل شيء يا حبيبي ، وأوضحت لك مخاوفي وأطلعتك على هواجسي وأفكاري القاتمة السوداء •

قال : لذلك فأنا أيضا سأصارحك بكل شيء يا حبيبتي •

قالت : هات •• صارحني بكل شيء •• لا أريدك ان تخفي عني سرا يا شفيق •

قال وهو لا ينفك يشدها الى صدره : اسمعي يا سلمى •• أنا لن استطيع أن أعيد لك الآلاف الثلاثين قبل شهر ••

فأجفلت سلمى ، وذعرت ، وأفلتت من بين ذراعيه وهمست برعب وخوف ووجوم : ماذا تقول يا شفيق ؟ ماذا تقول ؟ لن تعيد الي المبلغ الذي اختلسته من الصندوق قبل شهر ؟•

قال وهو يتظاهر بالأسف الشديد : هذه هي الحقيقة يا سلمى •• المبلغ غير متوفر لديّ الآن •

قالت والقلق يعصف بها والخوف يذيب فؤادها والحزن العميق يدمي فؤادها : لا يا شفيق ، لا ، يجب أن يكون المبلغ كاملا في صندوق الشركة غدا ، غدا وليس بعد غد ، هل تفهم ؟ هل تعي ؟ هل تفقه معنى ما أقول ؟•

قال وهو يمسك بيدها الباردة المرتجفة الصفراء : لا

أستطيع أن أستعيد المبلغ من صندوق شركتي قبل شهر يا حبيبتي •• ان شركائي قد عقدوا صفقات كبرى بأموال الشركة الآن ••

لن أستطيع أن أوقع الحوالات قبل شهر •• الحوالة الاولى التي سأوقعها ستكون باسمك يا سلمى وبقيمة ثلاثين ألف ليرة •

فازدادت سلمى رعبا وخوفا واضطرابا ، ووهنت قواها واخذت ترتجف كأنها ورقة في مهب الرياح العاصفة العاتية الهوجاء •• وانفجرت بالبكاء • وأخذت تردد : يا ويلي يا ويلي • السجن ينتظرني ، الفضيحة ستحيط بي من كل جانب •• الموت أفضل لديّ من الدخول الى السجن بتهمة الاختلاس •

لقد قضي عليّ •• لقد قضي علي •

وراح شفيق يكفكف دموعها •• وهمس وهو يمسح اللآلي المتدحرجة من عينيها على وجنتيها النديتين : سلمى ! لا تبك يا حبيبتي ، لا تذرفي هذه الدموع الثمينة الغالية ، اطمئني ، لكل داء دواء يا سلمى ، ولكل أزمة حل ، ولكل معضلة علاج •

قالت : ما هو الحل لهذه المعضلة يا شفيق ؟ ما هو الدواء ؟ ما هو العلاج ؟ ليس أمامي سوى الموت •• الموت وحده ينقذني من الفضيحة ومن العار ومن السجن •

فعاد شفيق الى ضمها والى تقبيلها ليقول : لا تعودي الى الشركة ••

وجحظت عيناها ، واشتد الرعب بهـا •• ماذا يقول شفيق ؟ أتهرب ؟ وفي الهرب اثبات الجريمة ؟•

وعاد شفيق الى الكلام ليقول : تعالي نسافر معا الى خارج لبنان يا سلمى •• السفر ينقذك مـن هـذا المأزق الحرج •

قالت : ولكن الهرب يثبت جريستي يا شفيق •• الى أين سنهرب ؟•

أنهرب من وجه العدالة؟ أنهرب من ضميرنا؟ من الله؟•

قال : لا •• أنا لا أطلب منك أن تهربي من ضميرك ، ولا من الله يا حبيبتي •• كل ما أطلب منك هو أن تهربي من الشركة ، أطلب منك أن تهربي من الفضيحة ، من العار ، من السجن •

قالت : لا •• لا•• أنا لن أهرب •• لن أسلك الطريق الذي يسلكه اللصوص المجرمون •• أتعلـم ماذا سأفعل يا شفيق ؟•

قال وهو يشعل لفافة جديدة : ماذا ستفعلين ؟•

قالت : أنا سأشخص غدا الى المدير وأطلعه على كل شيء • سأقول له : لقد اختلست مبلغ ثلاثين ألف ليرة من

صندوق الشركة يا سيدي ، ادع رجال الشرطـة ليكبلوني بالحديد ويزجوني في غياهب السجون ..

ذعر شفيق .. ماذا تقول هـــذه المجنونة ؟ أتفضح نفسها ، وفي فضيحتها فضيحته هـو ؟ وفي وصولها الـى السجن ، وصوله هو أيضا .

هو لم يطلب اليها أن تهرب معـه الا ليبعدها عـن الوصول الى القضاء .. كان باستطاعته أن يتخلى عنها وأن يهرب وحده الى خارج لبنان ، ولكنه يعلم ماذا سيحصل اذا هرب وحده وترك سلمى في بيروت ..

وماذا سيحصل ؟ ستكتشف جريمتها .. وتعتقل .. ويبدأ رجال التحري التحقيق معها .. وتعترف لهم بكـل شيء .. وتبوح باسمه .. وتقول : « اختلست المال مـن صندوق الشركة ودفعت به الى شفيق وهبي » .

وماذا سيكون ؟.

سينطلق رجال التحري في اثره الـى أقاصي الارض ويعتقلونه ويزجونه مع سلمى في غياهب السجون .

اذن يجب أن يهرب بسلمى ، عليه أن يعتقلها قبل أن يعتقلها رجال الامن ، عليه أن ينجو بها مـن السجن ، وفي نجاتها ، نجاته هو ، وفي سلامتها سلامته .

والتفت شفيق الى سلمى ليقول : يا مجنونة يا سلمى

•• أتسعين أنت الى الفضيحة قبل أن تسعى الفضيحة اليك •• أتلقين بنفسك في السجن ؟• هل هناك فتاة عاقلة تقدم على هذا العمل ؟•

لا •• لا يا سلمى ، ما هذا هو الطريق الذي يجب عليك السير فيه ، يجب أن تسافري معي •• سنسافر الى دمشق فنقيم فيها مدة من الزمن ، ثم ننتقل الى بغداد ، ثم الى الرياض ، ثم الى الكويت •• ونطوف جميع العواصم والمدن العربية •• ثم نعود الى لبنان بعد أن تخمد النار ، وتهمد الضجة ، وينسى أصحاب الشركة كل ما بدا منك •

قالت وهي تجفف دموعها بمنديلها الأبيض : ولكن أمري سيكشف يا شفيق ، وستثبت جريمتي بعد أن يتضح هربي •• وسينطلق رجال الأمن في اثري ، ويعتقلونني وأصل الى السجن •

الهرب يا شفيق لا ينقذني من السجن ولا يصون سمعتي ولا يحفظ لي ذرة صغيرة من الكرامة والشرف والنبل •

فقهقه شفيق.وقال : اسمعي يا سلمى •• لا تنظري الى المستقبل البعيد بعين الخشية والخوف والقلق •• بل انظري دائما الى حاضرك ، الى يومك •• عليك أن تحلي معضلة اليوم قبل أن تفكري بحل معضلة الغد • معضلتنا اليوم هي ايجاد ثلاثين الف ليرة لاعادتها الى صندوق

الشركة ، وما دمنا لسنا قادرين علـى ايجاد المال فما علينا الا الهرب ..

ماذا سيكون في الغد ، بعد هربنا ؟ فهذا ليس مـن شأننا .. دعي الأيام تدبر أمـور المستقبل .. اذا أقـام أصحاب الشركة الدعوى عليك فهم لن يستطيعوا الوصول اليك .. واذا لا سمح الله ـ استطاع رجال الأمن اعتقالك ستدعين بأنك كنت على خلاف مـع تلك الشركة ، وكنت تريدين أن تستقيلي من عملك لتتزوجي من شفيق وهبي ، وتدعين بأنك طلبت أن يصرف لـك تعويضك ، فـرفضت الشركة صرف التعويض والتقيـد بالقوانين اللبنانيـة ، فاستوليت على ما لك بذمة الشركة من المال .. وأتقـدم أنا وأشهد لمصلحتك وأقـول : « نعم .. كنت أريـد أن أتزوج من سلمى ، وكانت سلمـى تسوّفني ريثما تتقاضى تعويضها من الشركة .. وبذلك تنقذين سمعتك وتصونين كرامتك وتنجين من السجن » .

وراقها رأيه .. يا له من شاب نابه ذكي .. قد ينقذها رأي شفيق من الفضيحة والعار ولكن . ولكـن هربهـا سينقض ادعاءها .. ما دامت قد استولت على حقها مـن الشركة فلماذا هربت ؟.

قالت سلمى : لا .. لا يا شفيق .. أنـا لن أهرب ، لن أثبت جريمتي بهربي

فأمسك يدها ليقول بكل مكر وخبث ودهاء : يا مجنونة !. أين هي الجريمة ؟ انت لم ترتكبي جريمة ، أنت لم تسرقي المال من صندوق الشركة ، بل استدنته .. وعندما يتيسر المبلغ لنا سنعيده الى صندوق الشركة ، يجب ان نسافر غدا .. غدا وليس بعد غد .

قالت : وماذا سيقول مدير الشركة عني عندما يعلم انني هربت ؟

قال : ليقل ما يطيب له .

فأصرت : لا ، لن أهرب .. لن أهرب .. لن أهرب.

وأمسك يدها ليقول : اسمعي يا سلمى .. أنت لن تهربي ، ستشخصين معي الآن الى الطبيب وتطلبين اليه ان يعطيك تقريرا طبيا يثبت فيه انك بحاجة الى الراحة .. ثم نعود الى هنا فترسلي التقرير مع نجلاء الى مدير الشركة.. ولتقل له نجلاء : « ان شقيقتي سلمى مريضة وهي لن تستطيع مواصلة العمل قبل أسبوعين » والمدير سيؤمن بكلام نجلاء وبتقرير الطبيب .. ونسافر معا ثم نعود بعد أسبوعين أو بعد ثلاثة أسابيع ونكون قد تدبرنا الأمر وحصلنا على المال من صندوق الشركة التي أملكها ، فتعيدينه الى صندوق الشركة فور عودتك .. هذا هو الحل الوحيد للمعضلة يا حبيبتي .

وصمتت سلمى ، شفيق على حق . ليس لها الا أن

تنقطع عن الذهاب الى عملها ريثما تتدبر مع شفيق الأمر •
أجل •• شفيق على حق ، وشفيق لم يكن عند سلمى يوما الا صاحب حق في كل ما يدعي ويقول ••

واستأنف شفيق الكلام بعد صمت قصير ليقول: تعالي • تعالي معي الى الطبيب يا حبيبتي تعالي •• علينا أن نسرع في تنفيذ الخطة قبل فوات الأوان • اسرعي •• اسرعي •

قالت : ولكنني سليمة الصحة يا شفيق ليس بي أي داء •• هل يرضى الطبيب أن ينفحني بتقرير يثبت مرضي؟•

قال : هل هناك انسان في العالم سليم الصحة ، كامل العافية ؟•• ألا يؤلمك ضرسك ؟•• ألا تصابين بسوء هضم ؟•• ألا يدهمك الصداع من حين الى آخر ؟•

قالت : هذا يحصل لكل انسان •

قال : ستدعين أمام الطبيب بأنك مصابة بالصداع •• وهذا يكفي لاقناع النطاسي بتسطير التقرير المطلوب •

فعادت سلمى الى الصمت تنغمس فيه ، وعاد شفيق الى الالحاح بضرورة الاسراع •• ورأت أخيرا أن تنزل عند طلبه ، فأسرعت الى غرفتها ترتدى ثيابها وتخرج مع شفيق الى عيادة أحد الاطباء ••

وهناك في العيادة ادعت سلمى أمام الطبيب بأنها مصابة بألم شديد في ظهرها ، وبصداع في رأسها وبتعب

ووهن وعناء •• وأجـــرى الطبيب فحصا دقيقا لهـا ••
والتفت اليها ليقول : أنت في عافيـــة يحسدك عليها جميع
الناس يا ابنتي •

وتدخل شفيق ليقول : أرجوك يا سيدي الطبيب أن
تمنحها تقريرا يثبت أنها بحاجة الى الراحة •• الآنسة سلمى
خطيبتي ، وأنا حريص كل الحرص علـى راحتها •• هـي
تعمل باجهاد ، انها تعمل زهـاء عشرين ساعـة في اليوم •
والشركة التي تعمل فيهـا لا ترحمها ولا تشفـق عليها ••
تقرير منك ينقذها من العمل لمدة اسبوعين ويريح جسدها
الواهي وأعصابها المنهوكة القوى •

وتمتم النطاسي : الحقيقة يا سيدي هي ان خطيبتك
متعبة •• ولكنها ليست مريضة •• على كل أنا لا أستطيع
أن أمنحها تقريرا وأطلب فيه اراحتها مدة اسبوعين • ثلاثة
أيام تكفي لاستعادة نشاطها •

قال شفيق : أرجوك يا دكتور أن تشفق عليها•• انني
أخاطبك باسم الضمير باسم الانسانية •• لقد مضت علـى
خطيبتي ثلاث سنوات دون أن تستريح يوما واحدا •

قال الطبيب، وقد أثار شفيق عاطفته وشفقته ورحمته:
لا بأس سأمنحها تقريرا يثبت حاجتها الـى الراحة لمـدة
اسبوع ••

قال شفيق : لا •• اسبوع واحد لا يكفي•• ارحمها

يا دكتور ، اشفق عليها •• ليكن التقرير لمدة اسبوعين •

الا أن الطبيب أبى أن ينزل عنـــد طلبه وقال : لا يا سيدي •• أنا مسؤول تجاه القانون ، وتجاه ضميري •• اسبوع واحد يكفي خطيبتك لاستعادة نشاطها ••• وسطر الطبيب التقرير • واعلن فيـه أن الآنسة سلمى الترك متعبة •• وأنها بحاجة الى راحة لمدة اسبوع •

وحاول شفيق أن يقنع الطبيب بأن يذكر في تقريره ان سلمى مريضة وأن حالتها تدعو الى القلق ، الا أن الطبيب رفض طلبه وقال باصرار : لا •• خطيبتك ليست مريضة •• وأنا لا أستطيع أن أدعي مرضها •

وتناولت سلمى التقرير من يد الطبيب ، ونقده شفيق اجرته ، وخرجا معا من العيادة ليعودا معا الى دار سلمى ••

وهناك في الدار طوق شفيق وهبـي حبيبته سلمـى بذراعيه وهمس في اذنها : تعالي يا حبيبتي ، تعالي نسافر الآن الى دمشق ونبتعد عن الخطر المحدق بنا •

تمتمت سلمى وهي تطوق شفيقا بذراعيها بعد ان غابا في قبلة طويلة : شفيق أنا لست مرتاحة الى هذه الخطة التي رسمتها •• يخيل الي انىا سائرون الى وهدة عميقة الغور •• بعيدة القرار •• فلنظل هنا يا شفيق •• ولنعد المال الى صندوق الشركة ، ولنرتح من عذاب الضمير ••

قال وهو يشدها الى صدره : لو كنا قادرين على اعادة

المال الى الشركة ، لما رسمنا هذه الخطة ، ولما سلكنا هذا السبيل يا حبيبتي •• نحن أمام أمرين الآن : اما أن تعودي الى عملك غدا ، وبعودتك خطـر داهم ومغامرة مجهولة النتائج ، واما أن نسافر ، وفي السفر نجـاة مضمونة ، وراحة واطمئنان •

وأخفت سلمى وجهها في صدر حبيبها وكأنها تريد أن تحتمي به من غدرات الزمن وظلم الأيام •

النعجة تريد أن تحتمي بالذئب •

الحمامة تريد أن تستنجد بالصياد ••

وراحت أصابع شفيق تداعب شعر سلمى الحريري ، وهمس : اطمئني يا حبيبتي ، اطمئني •• أنـا لـن أتخلى عنك •• سنظل معا •• هكذا معا طيلـة العمر •• وطـال عناقهما •

واخيرا رفع شفيق رأس سلمى بيده وهمس في اذنها: تعالي نسافر الآن •• الآن ، وليس غدا ، لماذا الانتظار الى الغد ونحن قادران على السفر الآن ؟•

قالت : لا يا شفيق ، لا •• أنـا لا أستطيع السفـر الآن •• سأظل الليلة هنا •• وغدا سأسلم شقيقتي نجـلاء التقرير الطبي ، وأطلب اليها أن تشخص الى الشركة وتدفع به الى المدير ، وتبلغه نبأ مرضي ثم تعود الي لأطمئن الى وصول التقرير للمدير •

غدا في الساعة العاشرة مـن الصباح سنغادر بيروت معا الى حيث تريد .. سأسلمك زمام أمـري .. لـك أن تقودني الى حيث تريد يا حبيبي . المهم لدي هو أن اظل قربك مدى العمر ..

فاطمأن شفيق كل الاطمئنان وسلمى تعلن لـه طاعتها العمياء .. ما دامت قد ألقت بـين يديـه بزمامها ، فهـو سيقودها كما يشاء والى حيث يشاء .. وطوقهـا بذراعه هامسا في أذنها : اطمئني .. اطمئني يا روح شفيق .

واطمأنت سلمـى .. الا أن الهواجس والظنـون والأفكار السوداء ظلت تتراقص في رأسها لترسم في ذلك الرأس أشباحا رهيبة مخيفة سوداء .

وأقبلت نجلاء بعد قليل ، فوثبت سلمى اليها لتقول : انني أشعر بتعب بسيط يا اختي .. شخصت الآن مع شفيق الى الطبيب فأشار عليّ بالاخلاد الـى الراحة التامة لمـدة أسبوع ، وسطر لي تقريرا يثبت فيه حاجتي الى الراحة .

وذعرت نجلاء .. اختها متعبة ؟ أتكـون مريضة .. وتمتمت نجلاء بخوف وهلع وقلق : ما بك يـا اختي ؟. ما بك يا حبيبتي ؟ روحي فداك يا سلمى .

فهمست سلمى : لا تقلقي يا حبيبتي ، الأمر لا يدعو الى القلق والخوف .. عياء بسيط سيزول بعد أن أرتاح أسبوعا ..

بعد أسبوع سأعود الى عملي •• أنا سأغادر بيروت لمدة أسبوع •• أريد أن أرتاح مـن العمل ومن الضجة ، ومن الضوضاء •

فهمست نجلاء : سأرافقك الى حيث تشخصين •• لن أتركك وحدك يا أختي •

فربتت سلمى على كتف أختها وتمتمت : لا •• لا يا حبيبتي أنا سأسافر وحـدي •• سأزور مصايف لبنـان وقراه •• أتنقل من قرية الى قربة ، ومن مدينة الى مدينة، أتنشق الهواء العليل ، وأشرب الماء السلسبيل ، وأرتاح من عناء العمل ، ثم أعود في نهاية الاسبوع اليك •

وتمتمت نجلاء : أأظل هنا وحدي بعيدة عنك لمـدة أسبوع ؟

قالت وهي تضمها الى صدرها : لا بأس يا أختي •• أسبوع واحد وأعود اليك •

قالت هذا ودفعت اليها بالتقرير الطبي لتقول : يجب أن تشخصي غدا الى الشركة التي أعمل فيها وتسلمي المدير هذا التقرير وتقولي له: « ان سلمى مريضة هي لن تستطيع العمل قبل نهاية الاسبوع » ••

وأقبل شفيق ليشترك في الحديث مـع الشقيقتين فيقول : لا تقولي للمدير يا نجلاء بأن شقيقتك ستغـادر بيروت ••

وتسلمت نجلاء التقرير الطبي والدمعة في عينيها •• سلمى متعبة ، أترى ينقلب التعب في جسدها الى داء ؟••

وعاد شفيق ليمسك بيد حبيبته سلمى ليهمس في أذنها : أنا ما زلت عند رأيي •• يجب أن نغادر لبنان الليلة •• الليلة يا سلمى •• لماذا الانتظار الى الغد ؟•• في الغد ستشخص نجلاء الى الشركة وتقوم بالمهمة خير قيام •• وضمها الى صدره بقوة وجنون هامسا : لماذا نضيع هذه الليلة ؟ نحن سنقضي الليلة معا يا حبيبتي ، نرشف من هوانا العاطر الندي ، ونتنعم بحبنا المتقد السعير •• تعالي •• تعالي ••

وأرغمها على النزول عند رأيه •• وأمسك بيدها •• بعد أن جمعت بعض الملابس التي تحتاجها في رحلتها هذه •• وسار بها الى سيارته العجوز ، وجلس الى مقود السيارة ، وجلست سلمى قربه ، وسارت السيارة بهما تتهادى على تيه ودلال وعناء في طريق دمشق •

وفي اليوم التالي ، قامت نجلاء بالمهمة الملقاة على عاتقها خير قيام ••• فشخصت الى شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية تطلب المثول في حضرة المدير •• ومثلت نجلاء أمام المدير ، وسلمته التقرير الطبي يدا بيد لتقول :

شقيقتي مريضة يا سيدي •• وهي لـن تستطيع استئناف عملها قبل أسبوع •

وأسف المدير لمرض سلمى •• وتمتم وهو يلقي بنظرة سريعة على التقرير الطبي : مسكينة •• شفاها الله ••

وهمت نجلاء بالعودة أدراجها الا أن المديـر التفت اليها ليقول : اسمعي يا ابنتي •• ان غياب شقيقتك عـن العمل سيترك فراغا كبيرا في الشركة •• نحـن مضطرون للاستعانة بفتاة أخرى للقيام بعملها •• ما رأيك لـو قمت انت بهذه المهمة يا ابنتي ؟•• أنـا لا أريد أن تقوم فتـاة غريبة بالعمل الدقيق الذي تقوم بـه سلمى •• أمـوال الشركة كلها في يد سلمى ، ولا أريد أن تسلّم هذه الاموال الى يد غريبة •• هل تستطيعين أن تقومي أنت بهذا العمل؟•

قالت نجلاء وقد فوجئت بطلب المديـر : ولكن لـم يسبق لي أن قمت بمثل هذا العمل يا سيدي •

قال : سيعاونك أحد الموظفين المخلصين يا ابنتي •

قالت : كما تريد يا سيدي •

قال : اذن تعالي غدا اليّ وتسلمي أمانة الصندوق ، ريثما تشفى شقيقتك • قولي لسلمى أن تنتبه الـى صحتها

وألا تحمل هما .. اذا كانت بحاجة الى المال ، فنحن على استعداد لمدها بكل ما تريد ...

وهمست نجلاء : شكرا يا سيدي المدير .. شكرا..

وعادت أدراجها .. وفي اليوم التالي عادت الى الشركة لتتسلم أمانة الصندوق وتشغل المنصب الذي كانت تشغله شقيقتها سلمى فتتسلم أمانة الصندوق وتشرف ، بمعاونة أحد الموظفين ، على جمع الأوراق النقدية ، وعدها، وايداعها في الصندوق الحديدي الكبير .

١٥ الضحية . . .

انصرفت نجلاء الى عملها في شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية بكل همة ونشاط ، وكانت نجلاء تقوم بالعمل الذي كانت تقوم به أختها سلمى بأمانة واخلاص ، وعاونها أحد موظفي الشركة الأمناء المخلصين ...

وانقضت أيام ثلاثة ونجلاء مرتاحة الى عملها في الشركة الكبيرة ، فالعمل يدفع عنها السأم والضجر ، ويجدد فيها العزم والنشاط .

غدا عندما تعود أختها الحبيبة سلمى ستطلب اليها أن تسمح لها بالعمل ، هي ستبحث عن أي عمل شريف فتقوم به وتساعد أختها على القيام بالعبء الثقيل الملقى على عاتقها .. ليس لسلمى أن تعمل وحدها ، في حين تقبع هي في الدار لتنصرف الى مطالعة القصص والروايات ، والى الراحة والاستجمام والنوم .

لا ، يجب أن تعين أختها وأن تساعدها وأن تساهم معها في النفقات •• وكانت نجلاء تحرص شديـد الحرص على التقيد بنظام العمل وبمواعيده •• فهـي تحضر الـى الشركة قبل جميع الموظفين ، وتنصرف منها بعدهم جميعا••

وفي اليوم الرابع ، فيما نجلاء منصرفة الـى عملها ، أقبل رجل في الخمسين من العمر ، يدل مظهره على الوقار والحزم والعزم •• ووقف الرجل أمام نجلاء فالتفتت اليـه تسأله : أمر ؟•

وبكل رصانة وهدوء قال الرجل : أنا المفتش •• هل تسمحين بأن أقوم بواجبي يا آنستي اللطيفة ؟•

وصبغ الخجل وجه نجلاء بلونه القاني الاحمرار •• لقد خجلت من نفسها ومن المفتش •• وهمست بارتبـاك : ارجو المعذرة يا سيدي •• فأنا لم أتشرف بعد بمعرفتكم ، انني هنا لأقوم مقام أختي في العمل ، أختي سلمى مريضة وقد عهد الي حضرة المدير القيام بوظيفتها ريثما تشفى •

قال المفتش : أعرف ذلك يا ابنتي ، لا سبيل للخجل ولا للاعتذار ••

قال المفتش هذا وراح يراجع سجل الحسابات علـى مهل •• وانتهى من مراجعة السجل لينصرف الى الاوراق النقدية والحوالات والسندات والقطـع الفضية والذهبية المكدسة في الصندوق الحديدي ليعدّها بكل حذر وانتباه•

وبدأ القلق والاضطراب والوجوم ، بـدأت هـذه العلامات تظهر على محيا المفتش الوقور •• وعـاد الـى الحسابات في السجل يراجعها مجدّداً، ثم عاد إلى الصندوق الحديدي ليعيدالعددوالإحصاء . .

ثم التفت الى نجلاء ليقول بصرامة وقسوة : اقفلـي الصدوق الحديدي وهاتي المفتاح •

ونفذت نجلاء أمر المفتش دون أي اعتراض •

واقفلت الصندوق وسلمته المفتاح •• وابتعـد المفتش عنها لينادي اليه الحاجب ويقول له : اذا حاولت هذه الفتاة الخروج من دار الشركة فعليك أن تحول دون خروجها •

فانحنى الحاجب أمام المفتش وهمس : أمرك مطـاع يا سيدي •

وهرول المفتش الى ديوان المدير والقلق يطـل مـن عينيه •• ودون أن يأمر له المدير بالجلوس ، جلس علـى المقعد الرجراج الوثير ليقول : هناك اختلاس في أمـوال الشركة تبلغ قيمته ثلاثين الف ليرة يا سيدي المدير •

فوجم المدير وهمس باستفهام ملحاح : ماذا تقـول ؟ اختلاس ؟• هناك اختلاس في شركتنا ؟•

قال المفتش : وقد استعاد هدوءه ورصانته : أجـل يا سيدي المدير ، أجل •• المبالـغ الموجودة في الصندوق تنقص مبلغ ثلاثين الف ليرة لبنانية ••

وتحول الوجوم في وجه المدير الى غضب شديد ، فوقف يقول : تعال معي •• تعال معي •

وسار المدير الى قاعة المحاسبة ، وسار وراءه المفتش •• ووصل المدير الى الصندوق ليقول : أين هو المفتاح ؟• افتحوا الصندوق •

فتقدم المفتش منه ليقول : المفتاح معي يا سيدي •• لقد أمرت باقفال الصندوق الحديدي بعد أن اتضحت لي الجريمة •

قال المفتش هذا ثم تقدم من الصندوق يفتحه •• وقال المدير للمفتش : عدّ المال •• أريد أن أتأكد بنفسي من صحة الخبر •

فانصرف المفتش الى احصاء المبالغ المكدسة في الصندوق الحديدي والى عدها ، في حين وقفت نجلاء الترك تنظر الى المدير والى المفتش بعينين تموج فيهما البراءة واللامبالاة •• لم تكن نجلاء تعلم شيئا ، لم تكن تعرف لماذا أقفل المفتش الصندوق الحديدي واحتفظ بمفتاحه ، ولا لماذا عاد مع المدير ليعد المال •

لم تفقه نجلاء شيئا مما يجري أمامها •• الا أن الموظفين أدركوا أن هناك أمرا مهما ، وهم يشاهدون المدير يخرج من مكتبه مع المفتش والغضب يهزه هزا •

وكان من عادته أن يدخل صباحاً إلى مكتبه، وينصرف إلى

العمل والى استقبال العملاء ، ولا يخرج من المكتب الا ليعود الى داره بعد انتهاء دوام العمل •• واذا قدر له أن يخرج من المكتب ، فهو يخرج واللفافة الفاخرة في فمه ليطوف بمكاتب الموظفين يراقب أعمالهم.، فالموظفون لم يشاهدوا مديرهم يوما في مثل تلك الحال •

وتعالى الهمس بين الموظفين : ماذا جرى ؟•• ماذا حصل ؟•• ما بال المدير يغضب ويثور ؟•

ولم يستطع أحد من الموظفين أن يجيب على سؤال واحد من تلك الأسئلة.

وانتهى المفتش من احصاء الأموال وعدها ، ثم عرض على المدير السجلات ، فتبين للمدير أن هناك نقصا في المال يبلغ ثلاثين الف ليرة •

اذن ما قاله المفتش صحيح ••

هناك اختلاس ، هناك سرقة ، هناك جريمة ••

وأمر المدير باقفال الصندوق الحديدي •• وبالمحافظه على السجلات ، ثم التفت الى نجلاء ليقول لها بغضب وبقساوة : تعالي معي •

وسار المدير الى مكتبه وسار وراءه المفتش العام ووراء المفتش سارت نجلاء •• ولاحقتهم عيون الموظفين والحجاب بنهم وجشع •

وعادت الاسئلة تتعالى ، والهمسات تتصاعد : مـــاذا جرى ؟•• يبدو أن الامر مهم •• أيكون هناك اختلاس ؟•• أتكون ثمة جريمة ؟ وقلبت الشفاه •• ليس هنـــاك مـــن يدري !!•

ودخل المدير الى مكتبه ، ودخل المفتش وراءه ، وفي أثرهما دخلت نجلاء •• وأوصد المفتش البـــاب ، وجلس المدير الى مكتبه ليشعل لفافـــة وهـــو مقطب الحاجبين ، مزموم الشفتين ، ووقفت نجلاء في حضرة المديـــر علـــى قلق ، وقد لاح لها أن هناك أمرا خطيرا ••

ونفث المدير دخان اللفافة في الفضاء.وتمتم بكل حزم وعزم ووقار : ماذا فعلت بالثلاثين ألف ليرة يا آنسة ؟••

ووجمت نجلاء الترك ، ماذا يقول سعادة المدير ؟•• ماذا يسألها ؟•• هي لم تفهم السؤال •• وصمتت ، وبـــدا الارتباك عليها ••

واستأنف المدير الكلام ليقول: أين هو المبلغ؟ أين أخفيته؟. .

واستطاعت نجلاء أن تتكلم بعد جهد وعناء لتقول : أي مبلغ يا سيدي ؟

فعاد المدير الى نفث دخان اللفافة في الفضاء ليقول : اسمعي يا ابنتي •• الثلاثون ألف ليرة التي أستوليت عليها يجب أن تعود الى الصندوق •• أعدي المال الى صندوق

الشركة اليوم ، وأنا أتعهد لك بأن أخنق الفضيحة ، واكبت الجريمة وأصون سمعتك ..

فأخذت نجلاء ترتجف من الخوف والفزع ، وقد بدأ السر ينجلي لها ..

المدير يتهمها بالاستيلاء على مبلغ ثلاثين ألف ليرة ، بالسرقة ، باللصوصية ، بالاختلاس .. يا ويلها ، يا ويلها..

وعاد المدير الى الكلام ليقول : قولي لي الآن أين أخفيت المبلغ ؟.. لمن اعطيته .. قولي الحقيقة والا ستضطرين الى الاعتراف بذلك لرجال التحري ، واذا وصل الامر الى رجال الامن فأنت ستصلين الى السجن ..

فاشتد الذعر بالفتاة ، والمدير يلوح لها بالسجن ، وحاولت تبرئة نفسها ، حاولت دفع التهمة الرهيبة عنها ، الا أنها لم تستطع النطق بحرف ..

وأخذت ترتجف كورقة في مهب العاصفة العاتية الهوجاء ...

وتدخل المفتش بينها وبين المدير ليقول : يا ابنتي كل انسان معرض للخطأ ، الا أن الانسان الصالح في الحياة ، هو ذاك الذي يستطيع أن يصلح خطأه .. اذا كان الشيطان قد غرّك وأغواك فمددت يدك الى أموال ليست لك ، فالمجال ما زال فسيحا أمامك للتكفير عن جريمتك ، والعودة عن طريق الظلام الى طريق النور .. قولي لنا الآن

أين أخفيت الثلاثين ألف ليرة ، وأنا أقسم لـك بأن الشركة ستتجاوز عن هفوتك هذه، وتخمد نار الفضيحة والعار قبل اندلاعها .

وجاهدت نجلاء النفس وأجهدتها محاولـة النطق .. وارتجفت شفتاها ، وترقرقت الدمـوع في مقلتيها وقالت : أنا ؟.. أنا أختلس المال من صندوق الشركة ؟.. أنا أمـد يدي الى مال ليس مالـي ؟.. أنـا أسرق ؟.. لا .. لا يا سيدي .. أنتم على خطأ ، أنا لم أسرق ، لـم أختلس ، لم أمد يدي الى مال الشركة .. أنا .. أنا .. أنا ..

وخانها الدمع فانهمر غزيرا على وجنتيها وهي تردد : « أنا .. أنا .. أنا . »

ووقف المدير ، واقترب منها والغضب يطل من عينيه وتمتم : اسمعي أيتها الفتاة .. ان دموعك هذه لـن تدفع عنك تهمة الاختلاس ، أنت هي المختلسة .. ليس ثمة من يمد يده الى الصندوق هنا سواك .. كل موظفي الشركة شرفاء ، أمناء ، لم يسبق أن فقدت ليرة واحدة من صندوق الشركة .. ان أختك سلمى تسلمت أمانة الصندوق منـذ أمد بعيد . فلم تمد يدها الى ليرة .. الى قرش ، وأنت لم يمض على استلامك أمانـــة الصندوق سوى أربعة أيـام تختلسين ثلاثين ألف ليرة .. ، لقد جنت الشركة أرباحـا طائلة من وراءك .. أليس كذلك يا آنسة ؟.. لا تحاولي

الآن أن تخدعينا •• اما أن تعيدي الآلاف الثلاثين الـــى الصندوق ، واما أن تذهبي الى السجن ••• واشتد الذعر بنجلاء ، وضمت راحتيها الى بعض ، واقتربت مـــن المدير لتهمس بتوسل ورجاء : رحماك يا سيدي ، رحماك •• لا تقس عليّ •• لا تظلمني ، لا تجن علـــى سمعتي ، وعلـــى كرامتي ، وعلى شرفي •• أليس لك أولادَ ؟•• أليس لـــك ابنة ؟•• انني أستحلفك بأولادك ، بابنتك أن تنصفني •• أنا بريئة يا سيدي • أنا بريئة • لـــم أسرق مال الشركة ، لم أختلس ، لم أمد يدي الـــى ليرة واحدة • أرجوك ، أرجوك ••

ووهنت نجلاء ، وشعرت بأن قدميها لا تقوَيان علـــى حملها فأخفت وجهها بيديها وأجهشت بالبكـــاء •• والتفت المدير الى المفتش العام ليقول على مسمع منها : يبدو أنها لن تعترف ، ولن ترشدنا الى المكان الذي أخفت فيه المال•• ليس لنا إلاّ أن نقيم الدعوى عليها.. رجال التحري سيعرفون كيف ينتزعون السر من فمها ••

وكاد يغمى على نجلاء وهـــي تسمع كلام المديـــر ، وعادت الى التوسل والرجاء والدموع تنهمر غزيرة علـــى وجنتيها النديتين ، الا أن المدير لـــم ينزل عنـــد توسلها ورجائها •

هناك ثلاثون ألف لـــيرة ضاعت مـــن الصندوق ••

ثلاثون ألف ليرة سرقت •• ويجب أن يعود المبلغ كاملا الى صندوق الشركة •• وألتفت المدير الى نجلاء ليقول : أنت ستصلين الى السجن ، حاولنا جاهدين ابعادك عن غياهب السجون فرفضت • الجريمة واضحة كوضوح النهار •• تسلمت أمانة الصندوق فأختفى المال •• من تراة السارق اذن ؟•• أنا ؟•• المفتش ؟•• أصحاب الشركة ؟•• على كل ، نحن سنرفع دعوانا على مجهول ، لن ندعي عليك أنت ، ولرجال التحري أن يكتشفوا السارق •• أنت ستظلين هنا ريثما يحضر رجال التحري ويبدأون التحقيق ، ولهم أن يخلوا سبيلك ، أو أن يزجوك في السجن ••

ووهنت قوى نجلاء ، ولم تعد تستطيع الوقوف ، فسقطت على المقعد القريب لتجهش بالبكاء •• وقرع المدير الجرس ، فأقبل الحاجب •• وقال المدير للحاجب : خذ حضرة الآنسة الى الغرفة الثانية ، وأقفل عليها الباب واحرسها •• اياك أن تسمح لها بالخروج •• اذا هربت فمصيرك سيكون السجن ••

فأدرك الحاجب أن الأمر مهم ، وأن الفتاة ارتكبت جريمة رهيبة ، وأن المدير يريد ان يسلمها لرجال الشرطة••

وأمسك الحاجب بيد نجلاء وسار بها الى الغرفة المجاورة لقاعة المدير ، وأوصد عليها الباب •• وألقت بجسدها الواهي المضطرب النحيل على الكرسي الموجودة

في تلك الغرفة، وأخذت تبكي بكاء مراً يفتت الأكباد . .

من أين نزلت بها هذه الكارثة ؟.. كيف حلت بها هذه المصيبة ؟.. كيف اختفى المبلغ الضخم من صندوق الشركة ؟.. ليست تدري ، ليست تدري ..

وفي الغرفة المجاورة لمكتب المدير ، راح مدير شركة الاستيراد والتصدير يذرع القاعة بخطواته المتئدة واللفافة الفاخرة بين شفتيه ، ووقف المفتش العام صامتا حائرا واجما ..

وساد الصمت أرجاء القاعة .. وتكلم المدير بعد صمت طويل ، قال مخاطبا المفتش العام : اختفاء المبلغ من الصندوق يثير دهشتي يا حضرة المفتش .. أنا غير مؤمن باتهام الفتاة .. يلوح لي أنها بريئة ..

قال المفتش : أنا مثلك يا سيدي ، أميل الى الاعتقاد ببراءتها .. ولكن من تراه يمد يده الى الصندوق ، والصندوق في عهدتها والمفتاح بيدها ؟..

قال المدير : أنا المذنب ، أنا المخطىء . لم يكن لي أن أعهد بهذه المهمة الى فتاة ساذجة مثلها ، لا نعرف عنها شيئا .. كان عليّ أن أتبصر في الامر ، وأن أكون أشد حرصا ، وأبعد حكمة .. ولكن .. ثقتي بأختها دفعتني الى الثقة بها ..

أختها سلمى فتاة شريفة ، أمينة ، مخلصة لعملها ، وفية

للتهمة الملقاة على عاتقها •• طيلة المدة التي تسلمت فيهـا أمانة الصندوق لم تفقد ليرة ، لم ينقص المال في الصندوق قرشا واحدا ، وهذا ما أهاب بـي الـى الايمان باخلاص أختها •• قلت في نفسي : من المؤكد أن هذه الفتاة تتحلى بالاخلاق الطيبة التي تتحلى بها أختها سلمـى •• وعهدت اليها بأمانة الصندوق ريثما تشفى أختها وتعود الى عملها ••

وتمتم المفتش بعد صمت قصير : لقد ومض خاطـر في رأسي يا سيدي المدير •

قال المدير : ما هذا الخاطر ؟

قال المفتش : هل كانت هذه الفتاة تقوم وحدها بمهام أمانة الصندوق ؟

قال المدير : الى ماذا ترمي في تفكيرك هذا ؟

قال المفتش : ألا يجوز أن يكـون المختلس الموظف الذي كان يعاون الفتاة في عملها ؟

قال المدير : يجوز •• كـل شيء يجوز •• ولكـن الذي كان يعاونها هو الموظف رفيق سلمان • وأنت تعرف رفيقا •• انه أب أسرة ، وهو رجل محترم رصين وقور • لقد مضى على عمل رفيق في الشركة زهاء عشر سنوات كان خلالها ذلك الموظف المخلص الوفي الأمين • أيمكن أن يقدم على جريمة الاختلاس ؟

قال المفتش : أنا لا أشك به يا سيدي •• ولكن يجب

أن نسأله •• علينا أن نحسب لكل شيء حسابه •• أنا لا أتهم رفيقا ، لا سيما والاضطراب كان يبدو على الفتاة عندما بدأت التفتيش •• على كل ليس ثمة غير اثنين : نجلاء ورفيق ، والمختلس هو أحدهما •

قال المدير : أدع رفيقا اليّ •

وخرج المفتش العام من مكتب المدير ليعود بعد قليل مع رفيق سلمان • ووقف رفيق أمام المدير بكل وقار ليقول : بماذا يأمر سيدي المدير ؟•

قال المدير : اسمع يا رفيق •• هناك ثلاثون ألف ليرة اختفت من صندوق الشركة •

وظهر الذعر في عيني رفيق •• وهمس باستفهام : ثلاثون ألف ليرة ؟•

قال المدير : أجل •• ثلاثون ألف ليرة أختلست من الصندوق •• نريد أن نعلم من هو المختلس •

فوجم رفيق ، وقلب شفتيه ، وهز رأسه وتمتم : لست أدري •• لست أدري من هو اللص المختلس يا سيدي •

قال المفتش متدخلا بين المدير والموظف : اسمع يا رفيق •• الشبهة تحوم حول اثنين من الموظفين •• الاثنان هما اللذان يتوليان أمانة الصندوق •

فذعر رفيق وهو يسمع كلام المفتش •• الشبهة تحوم اذن حوله •• ما هناك سواه وسوى نجلاء •• وتابع المفتش كلامه ليقول : أنت ونجلاء مسؤولان عن المبلغ الضائع يا رفيق •• ان نجلاء فتاة ساذجة ، تجهل أصول العمل ، انها تقوم مقام اختها في العمل •• أنت هو المسؤول عن ضياع المال •

واشتد الذعر بالموظف .. التهمة واضحة صريحة ، لقد كان يعاون نجلاء على العمل، كان يساعدها، إلا أن يده لم تمتد إلى الصندوق . .

والتفت رفيق الـى المدير والى المفتش ليقول مدافعا عن نفسه : صحيح أنني كنت أعاونها في العمل ، الا انني لم أكن أمد يدي الى الصندوق .. أنـا لـم أستلم ليرة واحدة ، ولا نقدت أحدا ليرة واحدة .. ثم ، ثم أن مفتاح الصندوق لم يكن معي .. ان مساعدتي للفتاة لـم تكن تتعدى حد ابداء النصح وايضاح ما يصعب على نجلاء حله أو فهمه ..

كانت شقيقة الآنسة سلمى تستشيرني في بعض الأمور الحسابية ، وكنت أقدم لها المشورة وأساعدها علـى حـل بعض المعضلات ..

وتبادل المدير والمفتش نظرة سريعة .. رفيـق علـى حق ، مفتاح الصندوق لم يكن في يده ، كان المفتاح في يد نجلاء .. ونجلاء هي المسؤولة عن كل ما في الصندوق من مال .. ليس هناك اذن الا نجلاء ..

والتفت المدير الى الموظف ليقول : عـد الـى عملك يا رفيق ..

وعاد رفيق الى عمله والهواجس تعصف به والأفكار السوداء تغمر قلبه وروحه .. وجلس المدير يتبادل الرأي مع المفتش : ما رأيك ؟ ماذا علينا أن نفعل الآن ؟..

قال المفتش : يجب أن نقيم الدعوى على مجهول ..
ليس لنا أن نتهم أحدا يا سيدي .. فليأخذ العدل مجراه ، وليكتشف رجال الأمن المجرم الذي اختلس الآلاف الثلاثين .

قال المفتش : رأيك هـو الصائب .. سأتصل الآن فورا بمحامي الشركة وأطلب اليه اقامة الدعوى ..

واتصل المدير بمحامي الشركة .. واطلعه علـى نبـأ السرقة الكبيرة ، وطلب اليـه اقامـة الدعوى .. وقـال المحامي : أنا سأقيم الدعوى الآن فورا .. وسأطلب الـى النيابة العامة اتخاذ التدابير السريعة والحؤول دون فـرار المجرمين ، أرجو من سيدي المدير ان يحتجز الآن الموظفين الذين تحوم الشبهة حولهم ريثما يصل رجال التحري .

وأجاب المدير المحامي الى طلبه .. فطلب الى رفيق أن يظل في الشركة .. ونجلاء لا تـزال في الغرفة المجاورة لمكتبه .

وبعد قليل وصل رجال التحري ليعتقلوا نجلاء ورفيقا ويبـدأوا التـحقيق معهـما .. وتبسط رجـال التحري في التحقيق معهما ، مع رفيق سلمان ومـع نجـلاء الترك .. وبدأت التهمة تبتعد عن رفيق لتقترب من نجلاء ..

كل ما هناك يشير الى أن نجلاء هي المختلسة.. مفتاح الصندوق كان بيدها ، وهي التـي كانت تستلم المال مـن عملاء الشركة ، وهي التـي كانت تحصي الأوراق النقدية وتخزنها في الصندوق .. وافادات الموظفين ، حتى افادات

الموظفين أدانت نجلاء ، فقد أفاد الموظفون ، أن نجلاء كانت تبدأ العمل قبل الدوام ، وكانت تخرج من الشركة بعد أن يخرج جميع الموظفين •• لماذا كانت نجلاء تحضر الى الشركة قبل حضور الموظفين لو لم تكن تضمر الشر ، وتريد القيام بعمل سري خفية عن زملائها الموظفين ؟» ،

وافادة المفتش العام أدانتها أيضا •• فقد أفاد المفتش أن نجلاء كانت مضطربة وجلة عندما بــدأ بالتفتيش •• وجوبهت نجلاء بتلك الافادات فلـم تستطـع نقضها •• واعترفت بأنها كانت فعلا تحضر الى الشركة قبل بدء الدوام، واعترفت بأنها لم تكن لتخرج مـن الشركة الا بعـد أن يخرج آخر موظف •• وسألها رجال التحري : لماذا ؟

وأجابت جوابا لا يمكــن أن يصدق ، قالت : كنت أحب العمل وأرتاح اليه ••

هل هناك موظفة تحب العمل وترتاح اليــه وتحضر الى عملها قبل بدء الدوام ؟ مستحيل ••

وتشدد رجال التحري في التحقيق معها•• ولم تستطع أن تدفع التهمة اللاصقة بها •• وبكت نجــلاء وطلبت من رجال التحري أن يستمعوا الى افادة شقيقتها سلمى ••

وسألوا نجلاء : أين هي سلمى ؟

قالت : أختي سلمى متعبة •• لقد ذهبت الى المصايف للاستجمام والراحة ••

قالوا : في أي مصيف حلت ؟

قالت : لست أدري •• وتهامسوا فيما بينهم : انهـا كاذبة ، هي لا تريد أن ترشدنا الى مقر أختها ••

وقسوا عليها ، فبكت •• وأجهشت في البكـاء •• وأعادوها الى الغرفة وانصرفوا الى مدير الشركة يستمعون الى افادته ••

روى المدير لرجال التحري كل ما لديه من معلومات ، قال : لقد جاءتني نجلاء منذ أيام قليلة حاملة لي تقريرا طبيا يثبت أن أختها سلمى ـ أمينـــة الصندوق ـ في شركتنا مريضة ، فأقترحت عليها أن تتسلم العمل خلال غياب أختها، فوافقت وتسلمت أمانـة الصندوق ، وكان يعاونها الموظف رفيق سلمان •• وعندما جاء المفتش العام بعد أيام قليلـة وقام بالتفتيش ، اتضح له أن هناك ثلاثين ألف ليرة ضائعة، وأستدعيت نجلاء الى مكتبي وحاولت استدراجها للاعتراف بجريمة الاختلاس الا انها لم تعترف •• ثم حققت بنفسي مع الموظف رفيق سلمان، الا انني لم أستطع أن انتزع كلمة منه تنير أمامنا السبيل •

قال رجال التحري : ألـــم تعدّوا المـال وتحسبوه وتحصوه قبل أن تستلم نجلاء أمانة الصندوق ؟•

اجاب المدير : لا •• انّ الفتاة التـي تسلمت أمانـة الصندوق بالوكالة هي شقيقة أمينة الصندوق ، ونحن لنا كل الثقة بأمينة صندوقنا الآنسة سلمى • ولم يخطر في بالنا أن الشقيقة تغدر بشقيقتها ، لذلك فنحن لم نسلك السبل

القانونية ، ولم نجر أي كشف على الاموال المكدسة في صندوقنا قبل أن نعهد بها الى شقيقة أمينة الصندوق ، لقد خيل الينا أن نجلاء وسلمى كشخص واحد ..

قال رجال التحري : ومن يستطيع أن يجزم أن الاختلاس قد وقع بعد أن تسلمت نجلاء أمانة الصندوق ؟ أليس من الجائز أن يكون الاختلاس قد وقع وتم قبل أن تتسلم هذه الفتاة العمل في الشركة ؟..

وصمت المدير برهة وانصرف الى التفكير .. رجال التحري على حق .. ولكن اذا كان الاختلاس قد تم قبل أن تتسلم نجلاء العمل ، فمن تراه يكون المختلس ؟ سلمى؟ مستحيل ، مستحيل .. ان سلمى لا تمد يدها الى مال الشركة ، فهي موظفة أمينة مخلصة وفية ..

والتفت مدير شركة الاستيراد والتصدير الى رجال التحري ليقول بعد صمت قصير : لا أيها السادة ، لا .. الاختلاس لم يقع الا بعد أن تسلمت نجلاء أمانة الصندوق، لأن شقيقتها سلمى لا تقدم على هذه الجريمة .. نحن نثق بسلمى ثقة عمياء .. فهي فتاة شريفة ، مخلصة لعملها ..

لقد مضت سنوات بعيدة على تسلمها العمل في الشركة دون أن نوجه اليها كلمة لوم ، وتسلمت امانة الصندوق طيلة سنوات فلم تنقص المبالغ الضخمة التي كانت باستلامها ليرة واحدة .. نحن لا نشك بسلمى ولا نستطيع أن نوجه اليها أي تهمة .. انني أجزم على أن

سلمى كانت مثال الموظفة المخلصة الأمينة العصماء .

قال أحد المفتشين الثلاثة المحققين : الشرير لا يظل طيلة أيام حياته شريرا يا سيدي ، ولا الصالح يبقى طيلة أيام حياته صالحا .. الانسان معرض في حياته لعوامل عديدة .. وطالما أنقلب الصالح الى شرير ، وأنقلب الشرير الى صالح . قد تكون سلمى ، الفتاة الصالحة المخلصة الطاهرة مرت بتجربة شديدة قاسية ، فكبت ، وسلكت طريق الضلال .

فأصر المدير على رأيه قال : لا ... مستحيل .. مستحيل .. سلمى لا تقدم على هذه الجريمة ، أنا أثق بها كل الثقة .

قال مفتش التحري : قد تكون على حق في تقديرك يا سيدي .. ولكن أين هي سلمى ؟ لقد بحثنا عنها فلم تقف لها على أثر ، ان اختفاءها يثير الريبة والشك حولها .

قال المدير : ان سلمى مريضة .. وقد قدمت لنا تقريرا يثبت أنها بحاجة الى الراحة لمدة أسبوع ، والأسبوع لم ينقض بعد ، أنا أؤكد لكم وأجزم بأن سلمى ستعود الى عملها مع انقضاء الأسبوع .

وانصرف رجال التحري من ديوان المدير .. وعادوا الى النيابة العامة يطلعونها على نتيجة تحقيقهم .. وأمرت النيابة العامة باحالة نجلاء الترك الى القضاء وبأخلاء سبيل رفيق سلمان ..

الأدلة كلها تدين نجلاء وتبرىء رفيقا •• وأحيلت نجلاء الى القضاء ، وأخلي سبيل رفيق ••

•أقامت نجلاء في سجنها البارد الموحش المظلم الكئيب تنتظر استئناف التحقيق معها على يد السلطة القضائية ، على يد المستنطق ، وراحت تبكي حظها التعس وحريتها الوارفة • وسعادتها الآفلة الخضراء •

•انصرفت الى الصلاة •• كانت تركع في سجنها المظلم المدلهم وترفع نظرها الى السماء هامسة : يا رب أنت وحدك تعلم أنني بريئة ، أنقذني يا رب ، وأفتح أمامي أبواب هذا السجن ، وأرشد العدالة الى المجرم اللص الذي اختلس المال من صندوق الشركة ، وألقِ به في غياهب السجون ••

وتنهض نجلاء •• تنهض لترتمي على الحضيض ، فتغمض عينيها وتناجي طيف أختها سلمى : سلمى ! أين أنت يا أختي ؟ أين أنت يا حبيبتي تشاهدين أختك نجلاء في عذابها ، وبؤسها وشقائها ودموعها ؟ أين أنت يا أختي؟ أين أنت يا سلمى ؟

وترتمي نجلاء على الارض لتبكي بدموع لاهبة قانية الاحمرار •

١٦ من وهدة إلى وهدة . . .

أقامت سلمى الترك قرب حبيبها شفيق وهبي في دمشق ، على قلق وحيرة واضطراب •• وكانت سلمى دائمة الحزن ، دائمة الأسى ، دائمة التفكير •• فهي لا تنفك تفكر بالجريمة المروعة التي ارتكبتها ••

ترى هل اكتشفت جريمتها ؟•• هل وقف المدير على تلك الجريمة وعلم أنها اختلست ثلاثين ألف ليرة من صندوق الشركة ؟ ليست تدري ، ليست تدري ••

ورأت سلمى أن تستطلع الخبر من الصحف اللبنانية فراحت تشتري الصحف، وتطالع كل ما في تلك الصحف من أنباء•• صباح كل يوم تخرج سلمى من الفندق الذي تقيم فيه مع شفيق في غرفة واحدة ، وتهرع الى باعة الصحف لتشتري جميع الصحف اللبنانية ، وتعود مسرعة الى الفندق ، وفي حين يكون شفيق لا يزال غارقا في نومه ، تجلس هي قرب السرير لتطالع أنباء لبنان ، وتبحث بين الأنباء عن خبر ••

عن خبر واحد ، ويدها على قلبها ، والقلــق في نظراتها ٠٠ ترى هل اكتشفت الجريمة ؟٠٠ هل وقفوا على سرها ؟٠٠

وذات صباح ، فيما سلمى التــرك تبحث كعادتها في الصحف ، وقع نظرها على عنــوان أرعبها :«اختلاس ثلاثين ألف ليرة من صندوق شركــة الاستيراد ٠٠ اعتقال شقيقة أمينة الصندوق ٠»

وذعرت سلمى الترك.. لقد اكتشفت الجريمة إذن.. ولكن من هي شقيقة أمينة الصندوق التي اعتقلت ؟٠ هي نفسها أمينة صندوق شركة الاستيراد ، وأختها نجــلاء ٠٠ ما هو ذنب نجلاء كي تعتقل ؟٠٠ وبعينين جاحظتين قــرأت سلمى الخبر :«مرضت أمينـــــة صندوق شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية ، فطلب مدير الشركة الـــى شقيقتها الآنسة نجلاء الترك القيام بمهام أختها في الشركة ٠٠ ويبدو أن نجلاء لم تكن في أمانة أختها وفي نبلها فامتدت يدها الى مال الشركة واختلست مبلغ ثلاثين ألف ليرة لبنانية ٠٠ وقد اعتقلت الفتاة المختلسة وبدأ التحقيق معها بتكتم شديد ٠»

واشتد الذعر بسلمى وقد وقفت على الحقيقة المرعبة ، ووثبت الى حبيبها شفيق الذي كان لا يزال يغط في نومه٠٠ وراحت تهز كتفيه مولولة : شفيق !٠٠ شفيق!٠٠ شفيق!٠٠ انهض يا حبيبي٠٠٠ وفتح شفيق عينيه ، وفركهما وقال : ما بك ؟٠٠ ماذا جرى ؟٠٠

ودفعت سلمى بالصحيفة الى شفيق وقالت : خذ ..
اقرأ .

وبيد واهية كسلى تناول شفيق الصحيفة مـن يـد سلمى ، وبدأ يقرأ ..

وخيل لسلمى أن شفيقا سيقلق وسيضطرب وقد اطلع على النبأ ،الا أنها دهشت وهـي تشاهده يقرأ ذلك النبـأ المخيف بارتياح تام .. وانتهى شفيق مـن تلاوة النبأ .. وطفت على شفتيه ابتسامة هادئة وهمس :«عال».. لقـد نجوت إذن من السجن يا حبيبتي، يبدو أن الله معنا فهو قد دبر الامر بحكمته .. أرسلك الى هنا ليبعدك عن الشبهة ، وأرسل أختك الى الشركة لتقوم بعملك وتحـل محلك في السجن .. انني أهنئك يا حبيبتي وأهنىء نفسي بالخروج من المأزق الحرج الذي ألقتنا فيه الاقدار .

وذعرت سلمى .. ماذا يقول شفيـق ؟ أيهنئها ويهنىء نفسه باكتشاف جريمتهما واعتقال نجلاء ؟.. واقتربت سلمى من شفيق بقلق وحيرة واضطراب : ماذا تقول يـا شفيق ؟ أتفرح لاكتشاف جريمتنا ولاعتقال أختي ؟..

قال : لا يا حبيبتي ليس من أجل هذا أفرح ، بل من أجل نجاتنا .. لقد نجونا من السجن .. لن يطالنا التحقيق، ولن يستطيع أحد أن يوجه الينا أي تهمة .

قالت وقد بدأ الخوف يتحول في قلبها الـــى غضب

شديد : يجب أن تتدبر الامر يا شفيق •• عليك أن تسلمني الثلاثين ألف ليرة الآن ، الآن فورا لأعود بها الى بيروت ، وأشخص الى الشركة وأعيد المبلغ الى الصندوق وأنقذ أختي ••

المجال ما زال فسيحا أمامنا للتكفير عن جريمتنا ولانقاذ أختي من السجن •• أرجوك يا شفيق ، أرجوك وألح في الرجاء أن تعيد لي المبلغ لأعيده الى الشركة •• أريد المال الآن •• الآن •• الان ••

ووثب شفيق من السرير ، ليجلس على المقعد المجاور ويشعل لفافة ويلتفت الى سلمى ليقول : يا حبيبتي يا سلمى لنكن واقعيين في الحياة ، المبلغ غير متوفر لدي الآن •• قلت لك وأعيد القول ، أنا لن أستطيع الحصول على المبلغ قبل شهر •• علينا أن تتدبر الامر بحكمة •• علينا أن ننظر الى الامور بعين العقل لا بعين العاطفة •

قالت سلمى : يجب أن نعود الى بيروت •• أختي في السجن •• يجب أن أنقذ أختي •• السجن لي أنا لا لأختي •• ما هو ذنب نجلاء ؟•• ما هي جريمتها ؟•• أأسرق المال أنا وتسجن نجلاء ؟••

لا ، لا هذا لن يكون •• لن يكون •• أنا سأعود الآن فورا الى بيروت ، وسأشخص الى مدير الشركة وأقول

له : أنا هي المختلسة : لا أختي .. نجلاء بريئة وأنا المجرمة ..

وبدت سلمى الترك ثائرة قلقة غضبى . بدت في حال مرعبة مخيفة ، كانت جاحظة العينين ، تائهة النظرات ، مرتعشة مرتجفة باكية ..

ووقف شفيق ، واقترب منها وأمسك بيدها محاولا تهدئتها ، الا أنها أفلتت من يده صارخة : عد بي الى بيروت، خذني الى أختي، دعني أكفّر وحدي عن جريمتي، اذا كنت غير قادر على الاشتراك معي في التكفير ، أنا لن أنغمس في الجريمة ، لن استغرق في الخطيئة ، لا ، لن تكون جريمتي مزدوجة ، لن أترك أختي تكفر عن جريمة لم ترتكبها .. أنا سأحل في السجن ، لن أظل حرة في حين تطبق أبواب السجون على نجلاء ..

وعاد شفيق الى الاقتراب منها ليقول : اسمعي يا سلمى اسمعي يا حبيبتي ما أقوله لك .. أنت تحبين أختك ، وتحبين شفيقا ، وتحبين نفسك ، ماذا سيحصل اذا خرجت أختك من السجن ودخلت أنت اليه ؟..

في هذه الحال ستكون فضيحتك وفضيحتي ونعجز عن انقاذ نفسينا .. أما اذا كنا ، أنت وأنا خارج السجن ، في تلك الحال ، نستطيع أن تتدبر الامر ، وأن ندبر المبلغ ، وأن ننقذ نجلاء وننقذ نفسينا . علينا أن نتريث الآن ريثما

نحصل على المبلغ ، علـــى الثلاثين ألف لـيرة ، وعندئذ تشخصين أنت الى مدير الشركة وتحملين له المبلغ وتقولين له : هذا هو المبلغ المختلس من صندوق شركتكم ، أرجو ان تسقطوا دعواكم عن أختي وتصونوا كرامتها•• والمدير، رجل طيب القلب ، كما تعرفين ، هو لـــن يتردد ، بعد أن يستعيد المال ، في اسقاط الدعوى عن نجلاء وينتهي كــل شيء ••

وصمتت سلمى •• قد يكون شفيق على حق ، وهل كان شفيق على غير حق يوما عند حبيبته سلمــى !•• لا ، شفيق لا يخطىء ، هو في نظر سلمى دائما علــى حــق •• وأيقن شفيق أنــه سائر بسلمى في طريــق الاقناع ، كما استطاع أن يقنعها بأنه شاب شهم نبيـــل شريف ، وكما استطاع أن يقنعها بأنــه خطب نسيبته ، وكما استطاع أن يقنعها باختلاس المال من الشركة ، وكما استطاع أن يقنعها بالهرب معه الــى دمشق •• كذلــك سيستطيع أن يقنعها بالتريث وبالتخلي عن أختها نجلاء لمدة شهر •• شهر واحد فقط •• والصبايا العاشقات يؤمن بكــل مــا يقول لهــن الأحباء •• عندما تحب الفتــاة يسدل الحب علــى عينيها غشاوة كثيفة ، ويحجب عنها نور الحقيقة وضياء الحــق ، ويخيل اليها أن حبيبها معصوم عن الغلط وأن كل ما يقول ذاك الحبيب حقيقة ناصعة البياض ••

ومضى شفيق في محاولة الاقناع •• وقدم لسلمى لفافة ، وأمسك بيدها ليقول : تعالي يا حبيبتي •• تعالي اجلسي هنا قربي •

وانقادت المسكينة اليه انقياد النعجة البريئة الى جزارها •• جلست هناك قربه •• وطوقها بذراعه وشدها الى صدره وهمس : سلمى !•• حبيبتي سلمى !•• لو تعرفين كم يتألم حبيبك شفيق لما نزل باختك التي هي عنده في مقام أخته • ولكن ما حيلتي والمبلغ غير متوفر لي الآن ؟•• ماذا سنفعل لانقاذ نفسينا ولانقاذ نجلاء ؟•• قولي لي أنت ماذا علينا أن نفعل • أندخل معا ، أنا وأنت ، الى السجن لتخرج نجلاء ؟•• واذا خرجت نجلاء من السجن ودخلنا اليه نحن ماذا سيكون ؟•• اسمعي يا حبيبتي ماذا سيكون •

أولا : سيقضي على سمعتك وعلى شرفك وعلى كرامتك •

ثانيا : سيتوصل التحقيق الى معرفة كل شيء ، ويعرف الجميع انك اختلست المبلغ من صندوق الشركة لتدفعي به الى حبيبك شفيق وهبي وبذلك يثلم شرفي ، وتكون فضيحتي ، وتنهار شركتي قبل أن تبصر النور ويكون القضاء التام على مستقبلي ••

ثالثا : تخرج نجلاء من السجن لتجد نفسها وحيدة في

هذه الحياة • لا أب ولا أم ولا أخت •• وماذا سيحل بفتاة جميلة مثل نجلاء وهي وحيدة في طريـق الحياة المظلمـة الوعرة المغمورة بالاشواك وبالصخور وبالوحـول و •• بالذئاب ؟•• سترى نجلاء نفسها في مفرق الطرق • وعليها أن تختار طريقا •• اما الموت جوعا •• واما العمل المضني الشاق في خدمة الناس •• وامـا السير في طريق الرذيلة والفسق والفجـور •• اذن فمـن مصلحتـي ومصلحتك ومصلحة نجلاء أيضا أن تظل الآن في السجن ، في مأمن من كل شر ، ونظل نحن خارج السجن نعمل جاهدين على اعادة المبلغ الى الشركة وعلى انقاذ نجلاء ••

تمردت سلمى :

ولكن حتما سيقول المدير : ان سلمى شريكة أختهـا نجلاء في الجريمة ؟ ولو لم تكن شريكتها لمـا ركنت الـى الفرار •

ووجم شفيق هذه المرة استطاعت سلمـى أن تقنعه ، هي على حق إذا لم تعد إلى عملها في الوقت المحدد فإن رجال التحري ، سيطاردونها ويقبضون عليها .

ومن يدري ماذا سيكون اذا قبض عليهـا ؟•• مـن المؤكد أن رجال التحـري سيرغمونها علـى الاعتراف ، وينتزعون منها كل ما في صدرها مـن أسرار •• وتكون

فضيحته هو، ويكبل بالحديد ويلقى به في غياهب السجون .. ما العمل اذن ؟.. يجب أن تعود سلمى الى عملها .

ولكن .. ولكن من يضمن له أن سلمى لا تقدم على افشاء السر أملا في انقاذ أختها ؟.. من يضمن له أن سلمى لا تشخص الى المدير وتقول له : أنا اختلست المبلغ ودفعت به الى شفيق وهبي ؟.. من يضمن له ذلك ؟.. ليس هناك من يستطيع أن يضمن له النجاة اذا أفلتت سلمى من يده ، سلمى يجب أن تظل قربه .. هذا اذا أراد النجاة من السجن .

وانغمس شفيق في تفكير بارد عميق ، عليه أن يجد مخرجا من هذا المأزق الحرج ، يجب أن يبتعد عن النار ، يجب أن ينقذ نفسه .. نفسه فقط ..

وطال تفكير شفيق ، وراح يدخن بنهم وسرعة وجشع .. والتفت الى سلمى بعد تفكير طويل ليقول : اسمعي يا سلمى : أنت لن تعودي الى عملك في الشركة .

فوجمت سلمى.وهمست : وماذا سأفعل اذن يا شفيق؟

قال : أنت سترسلين رسالة الى المدير تعلنين له فيها أنك تزوجت وأنك ستنقطعين عن العمل في شركة الاستيراد والتصدير .

فازدادت سلمى وجوما.وهمست : لكن رسالتي هذه

ستكون بمثابة الاستقالة ، أأقدم على الاستقالة من عملي ؟ وكيف أعيش وقد انقطع موردي يا شفيق ؟

ولمعت ابتسامة مكر وخبث على شفتي شفيق.وتمتم لن تكوني بحاجة الى العمل يا حبيبتي ، بعد أيام قليلة ستبدأ شركتي عملها وسنتزوج ونعيش معا عيش الأزواج السعداء .. خذي يا سلمى ، خذي يا حبيبتي هذا هو القلم وهذه هي الورقة .. أكتبي أكتبي .

وتناولت سلمى القلم والورقة وبدأ شفيق ينص لها الرسالة وبدأت هي تكتب :

«حضرة مدير شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية المحترم ..

بعد الاحترام أفيدكم بأنني مرغمة على الانقطاع عن العمل في شركتكم الموقرة لانني تزوجت من شاب نبيل.. وفيما أنا أقدم لكم شكري الجزيل على العطف الذي كنت أتمتع به في شركتكم الموقرة تفضلوا يا سيدي المدير بقبول فائق الاحترام .

سلمى الترك »

وتناول شفيق الرسالة من يد سلمى وأعاد تلاوتها ثم وضعها في المغلف وأسرع الى البريد يودعه الرسالة المنقذة ، والارتياح التام يغمر قلبه ويعصف في حناياه ..

١٧ فضيحة خلقية

اطمأن شفيق وقد سارت الرياح كما تشتهي سفينته.. الامور تسير من حسن الى أحسن ، والخطة التي رسمها تكللت بالنجاح الباهر ، والحمد لله .. فهو قد استطاع أن يقنع سلمى باختلاس المال من صندوق الشركة.. والآلاف، الثلاثون وصلت إلى يده بسلام وأمان، فأنفق منها بعض الالوف ، وسلمت الالوف الاخرى .. واستطاع أن يقنع سلمى بالهرب معه ..

هرب بها من بيروت الى دمشق ، وحل معها في فندق متواضع صغير ، وبذلك نجا من السجن ، ولو انه ظل في بيروت مع سلمى ، لدعيت سلمى الى التحقيق ، ولمثلت أمام المحقق ليستمع الى افادتها في جريمة اختلاس الثلاثين ألف ليرة لبنانية ، التي أتهمت بها أخنها ، والله وحده يعلم بماذا تدلي سلمى للمحقق من أسرار ..

من المؤكد أنه كان باستطاعة سلمى أن تصل وتوصله

معها الى غياهب السجون .. يكفي أن تقول للمحقق : ان شفيقا حرضني على الاختلاس ، فاختلست المال من صندوق الشركة ودفعت به اليه ..

هذه الافادة وحدها تكفي لوصوله الى السجن .. ولكن ذكاءه أنقذه .. فهو قد ابتعد بسلمى عن بيروت ، وفي ابتعادها سلامته وسلامتها ..

وكان أن اتهمت أختها نجلاء بالاختلاس .. ووصلت نجلاء الى السجن وظل هو ، وظلت سلمى أيضا في حرية وامان وسلام واطمئنان .

الا أن الاقدار التي تطوعت لخدمة شفيق مدة طويلة، تخلت عنه في أصعب الأوقات .. فقد قام رجال شرطة الاخلاق في الجمهورية السورية بحملات شديدة على الفسق والرذيلة والفجور ، والسلطات السورية الحازمة لم تكن يوما لتتهاون أو لتتقاعس في القيام بالواجب المقدس المفروض لحماية الاخلاق وصون الآداب والعفاف ..

وشنّ رجال مكافحة الفساد والرذيلة حملة شعواء على الاماكن والدور والفنادق المشبوهة ...ووصلوا في حملتهم الى ذلك الفندق الصغير الذي يحل فيه شفيق مع عشيقته سلمى... واطلعوا في سجل الفندق على اسم « شفيق وهبي وزوجته .. » وتوقف رجال الشرطة عند الاسمين « شفيق وهبي وزوجته . لبنانيان . ينزلان في

الغرفة رقم ٦ من الفندق « .. وكأن الله أراد أن يكتشف سر العاشقين ، فسأل رئيس الفرقة مدير الفندق : هل أنت متأكد من أن المرأة التي ترافق شفيق وهبي هي زوجته ؟..

وقلق مدير الفندق وهو يسمع السؤال .. فهو غير متأكد من أن تلك المرأة الحسناء ، هي زوجة ذلك الشاب النحيل القصير القامة .. ولم يكن ثمة بد من الجواب .. وأجاب قائلا : هو قال لي أن المرأة الجميلة زوجته .. وحلاً في غرفة واحدة من فندقي ، وهي غرفة ذات سرير واحد .

قال رئيس المفرزة : هل أبرز لك بطاقة هويته ؟.

قال : لا ...

وهل أبرزت المرأة لك بطاقة هويتها ؟

أجاب : لا ...

وتأكد لرئيس المفرزة أنه حيال جريمة خلقية ، فالتفت الى مدير الفندق ليقول : تعال معنا الى الغرفة رقم ٦ ..

وسار مدير الفندق امام رجال الشرطة ، الى تلك العرفة .. وكانت الساعة تشير الى منتصف الليل ، فوقف رئيس المفرزة أمام الباب يطرقه .. ولم يلق جوابا. وأعاد الطرق على الباب بقوة وشدة ... واذا بالباب يفتح ، ويطل منه شفيق ، وهو بثياب النوم .

وأطل شفيق، والغضب يطل من عينيه .. وهمس : لماذا

تقلقون النيام في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ..
ماذا تريدون ؟..

قال رئيس المفرزة بكل أدب وتهذيب واحترام : أرجو أن يجوز سيدي عن ازعاجنا اياه ، ان وظيفتنا تحتم علينا القيام بالواجب المفروض في صيانة الاخلاق والمحافظة على الشرف والتهذيب ..

ذعر شفيق وهبي ، ورئيس المفرزة ينفحه بهذه المقدمة الدبلوماسية ، وايقن أنه أمام رجال الشرطة ، فارتجف .. ولاحظ رئيس المفرزة ارتجافه واضطرابه فتأكد من انه سيعتقل مجرمين ..

وتمتم شفيق محاولا اخفاء اضطرابه : شكرا لكم يا سيدي على قيامكم بالواجب المقدس ، ان المحافظة على التهذيب وصون الاخلاق ، ودفع الخطر عنها في مثل هذه الايام ، كل هذه الامور واجب مقدس .

قال رئيس المفرزة : ولذلك فاننا لنرجو سيدي أن يسمح لنا بالدخول الى غرفته .

قال شفيق وقد اشتد الذعر به : ولكن زوجتي نائمة يا سيدي .

قال : لا بأس .. سننتظرها هنا ريثما ترتدي ثيابها .

قال شفيق محاولا انقاذ نفسه من التهمة التي بدأت تقترب منه : زوجتي متعبة .. انا لا أستطيع ايقاظها الآن .

قال رئيس المفرزة : لا بأس •• نحن نريد أن نطرح عليها بعض الاسئلة ثم تعود الى نومها. نرجو أن توقظها أيها السيد شفيق واذا كنت لا تريد ازعاجها فنحن سنضطر الى الدخول للاستماع الى افادتها وهي في سريرها ••

وأيقن شفيق أن الفخ بدأ يطبق عليه ، وأنه لن يستطيع الافلات ، فتمتم : ما لكم ولها •• أنا أستطيع أن أجيبكم على أسئلتكم ••

قال : نريد أن نعلم من تكون حضرة السيدة التي ترافقك ؟

قال : هي زوجتي ••

ـ وما هو اسمها ؟••

ـ اسمها سلمى الترك ، زوجة شفيق وهبي ••

ـ أرجو أن تسمح لنا بالاطلاع على بطاقة هويتك••

فتردد شفيق في اجابة الطلب ، الا أن رئيس المفرزة بادره بقوله : اذا كنت لا تحمل بطاقة هوية فنحن سنضطر الى اعتقالك •

فقطع الرئيس الطريق عليه ، لم يعد بوسعه أن يدعي بأنه لا يحمل بطاقة هوية •• وتمتم : مهلا لحظة واحمل لكم الهوية ••

قال شفيق هذا ودخل الى الغرفة •• ولحق رجال الشرطة به ليجدوا سلمى مستلقية في السرير نصف عارية ••

وذعرت سلمى وهي تشاهد رجال الشرطة يدخلون عليها ، وجاءهم شفيق وهبي بالبطاقة والقلق يستبد به .. وأطلع رئيس المفرزة على البطاقة : شفيق وهبي .. والده خليل .. أمه سعدى .. لبناني .. أعزب ..

والتفت رئيس المفرزة الى شفيق ليقول : نريد الاطلاع على بطاقة هوية السيدة زوجتك ..

ودون أن ينبس بحرف ، جاءهم شفيق ببطاقة هوية سلمى ، والعرق البارد يتصبب من جبينه .. واطلع رئيس المفرزة على بطاقة الهوية .. وقرأ ما فيها :

« سلمى الترك .. والدها حبيب .. أمها نجيبة .. متعلمة .. عزباء ..

والتفت رئيس المفرزة الى شفيق ليقول : أنت أعزب، والفتاة التي هي برفقتك عزباء ، فكيف تدعي انك متزوج؟ وانها زوجتك ؟

فتلعثم شفيق ، الجريمة واضحة كوضوح النهار ، واشتد الذعر بسلمى ، وقد سمعت ما دار من حديث بين حبيبها شفيق وبين الشرطي .. وتمتم شفيق بتلعثم واضطراب : لقد تزوجنا منذ أيام قليلة يا سيدي ، ونحن لم نقم بعد بالمعاملات الرسمية .

قال رئيس المفرزة : واين هي أوراق الزواج ؟ اين هي الاوراق التي تثبت زواجكما ؟

فصمت شفيق •• فهو لا يدري بماذا يجيب ، هذا الرجل أحرجه ، وضايقه ، وسد عليه كل منفذ للنجاة ••

واستأنف رئيس المفرزة الكلام ليقول: أنتما معتقلان ، انني مضطر لاعتقالكما بتهمة ارتكاب الرذيلة والفحشاء ••

ووجم شفيق ، وكاد يغمى على سلمى •• أتهرب من السجن في بيروت لتدخل الى السجن في دمشق ؟

وتمتم رئيس المفرزة : سننتظركما خارج الغرفة ، أمام الباب.ارتديا ثيابكما على عجل •• أسرعا •

وخرج رجال الشرطة من الغرفة •• ووثبت سلمى من السرير والذعر يطل من عينيها.وهمست : ماذا سنفعل يا شفيق ؟ ماذا سنفعل يا حبيبي ؟•• كيف سننجو من هذه الفضيحة ؟•• أترانا نصل الى السجن ؟•

وهمس شفيق بخوف شديد ، وهو من الجبن في أعلى مقام : لا أعلم •• لا أعلم يا سلمى ••

وراح الاثنان يرتديان ثيابهما والقلق يستبد بهما •• وخرجا من الغرفة بعد دقائق قليلة ليجدا رجال الشرطة في انتظارهما •

وسار رجال الشرطة بهما الى مفوضية الاخلاق •• وهناك بدأ رئيس الدائرة التحقيق معهما •• وحاول شفيق انكار التهمة اللاصقة به وبحبيبته سلمى أولا ، فادعى بأن

سلمى زوجته •• الا أن أعصابه انهارت حيال المحقق الحازم فاعترف بالحقيقة ••

لا ، بل هو اعترف بنصف الحقيقة •• لقد ادعى شفيق بأن سلمى هي احدى بنات الهوى •• وأنه جاء بها من بيروت لقضاء أيام قليلة في دمشق معها ••

وجوبهت سلمى باعتراف شفيق فذعرت •• وهمست بألم وأسى ودموع : أنا ؟•• أنا احدى بنات الهوى ؟•• لا يا سيدي ، لا •• أنا فتاة من أسرة شريفة في لبنان •• وشفيق وهبي خطيبي•• أرجوكم أن تبعدوا عني الفضيحة، أرجو أن تنقذوني من العار •• ان تردوا عني شبح الذل والهوان الذي يتأهب للفتك بسمعتي وبشرفي وبكرامتي •

قال لها المحقق : اذا كنت أنت لا تحافظين على سمعتك وعلى شرفك ، وعلى كرامة أسرتك ، فكيف تطلبين منا أن نحافظ نحن لك على هذه الاشياء الثمينة ؟••

واستغرقت سلمى في البكاء.وجثت على قدمي المحقق باكية هامسة : أرجوك يا سيدي ، أرجوك أن تساعدني •• أليس لك ابنة ؟•• انني أستحلفك بحياة ابنتك أن تستر عرضي وان تحمي شرفي وتصون سمعتي وكرامتي •• أنا ابنة أسرة محترمة ، وشفيق وهبي خطيبي ، لقد وعدني بالزواج •• ألا تصدقونني ؟•• سلوه ••

وجيء للمرة الثانية بشفيق أمام المحقق ، وأجرى

المحقق مقابلة بينه وبين سلمى •• وتلا المحقق عليه افادة سلمى وسأله : ما هو رأيك بافادةالفتاة يا شفيق ؟

لقد أحرج المحقق موقف شفيق، فهو أمام سلمى وجهاً لوجه ، هل يستطيع أن يصرّ على افادته الاولى ، وأن يجزم بأنها من بنات الهوى ؟•• لا ، فهو جبان ، منافق ، كاذب ، محتال • لم يعد أمامه الآن الاعتراف بالحقيقة •• بالحقيقة الناصعة •• وهمس شفيق : أجل يا سيدي • ما تقوله سلمى صحيح ، فهي من أسرة محترمة •• انها خطيبتي وقد جئت بها من بيروت ••

فتساءل المحقق: لقضاء شهر العسل قبل الزواج؟..

وصبغ الخجل جبين سلمى الترك • وابتسم شفيق بكل قحة •• وعادت سلمى الى البكاء والى التوسل والاسترحام والرجاء •••

وأيقن المحقق ان الفتاة من أسرة محترمة ، وأن الشاب خدعها وجاء بها الى دمشق •• وأشفق عليها فأمر باعادتهما الى الغرفة الثانية ريثما يدرس قضيتهما ويبت بأمرهما •• وعادا الى غرفة التوقيف••.

ودرس المحقق قضيتهما بتمعن مستوحيا ضميره ، ومراجعا رئيسه •• وبعد قليل ، عاد المحقق الى استدعاء شفيق وسلمى اليه ليقول : اسمع يا ابني ، اسمعي يا ابنتي، أنتما في عمر أولادي •• انني أدعوكما الى انتهاج الادب

والشرف والكرامة والعفاف • اذا كنتما مخطوبين كما تدعيان ، فأنا أدعوكما الى الاسراع في الزواج ، السبيل الذي تسلكانه ليس بالسبيل الذي يشرفكما ، ولا هو بالسبيل الذي يصون سمعتكما وشرفكما وكرامتكما •• نحن لن نعتقلكما لأنكما من بلد شقيق ، الا أننا سنبعدكما عن الاراضي السورية فورا •• الآن •• في هذه الساعة من الفجر • سيقودكما رجال الامن الى الحدود اللبنانية السورية لتعودا الى بلدكما• وأرجو أن تعملا بنصيحتي اذا أردتما الوصول الى الهدف المنشود ، واذا أردتما السير في طريق الخير والصلاح والنور •

وتنفست سلمى الصعداء •• الحمد لله ، لقد نجت من السجن ، هي ستعود الى لبنان ؟•• لا بأس • ستعود•• ستعود •• تعود الى دارها في بيروت ، وتعمل على انقاذ شقيقتها الحبيبة نجلاء ••

وتجهم وجه شفيق •• العودة الى لبنان لا ترضيه ، فهو يريد أن يظل بعيدا عن لبنان ، يريد ان يظل في دمشق، بعيدا عن بيروت ، وفي ابتعاده عن العاصمة اللبنانية ابتعاد عن « تعب القلب » وعن « وجع الرأس » •• وكان شفيق يتمنى أن تسجن سلمى في دمشق ، وفي سجنها نجاة له من الفضيحة ومن السجن ••

ونادى المحقق اليه أحد رجال الامن وطلب اليه أن ينقل

الشاب والفتاة في سيارة جيب الى الحدود السورية ، الى الاراضي اللبنانية ..

وأدى رجل الامن التحية العسكرية أمام رئيسه.. واقتاد شفيقا وسلمى الى سيارة الجيب ، وقبل أن يرغم رجل الامن شفيقا وسلمى على الصعود الى السيارة التفت شفيق اليه ليقول : أرجو أن يسمح لنا سيدي بالعودة الى الفندق لاحضار ثيابنا ، ثم أرجو أن يسمح لنا بالعودة الى لبنان في سيارتي الخاصة ..

قال رجل الامن : لا بأس .. سأرافقكما الى الفندق .. ثم أرافقكما الى سيارتكما .. وتسير سيارتكما أمام سيارتي الى الحدود اللبنانية ..

وصعد الحبيبان الى سيارة الجيب .. وعادا مع رجل الامن الى الفندق . وهنا أحضرا ثيابهما وشخصا مع رجل الامن الى سيارة شفيق العجوز .. واستقل العاشقان السيارة الصغيرة وسارت على بركات الله ، وسارت وراءها سيارة الجيب ، يقودها رجل الامن السوري الى الحدود الدبنانية السورية .. واجتازت سيارة شفيق الصغيرة الحدود .. وعاد رجل الامن أدراجه الى دمشق .

١٨ العـودة

حل شفيق مـع حبيبته سلمـى ، في بيروت ، في دار سلمى الجائمة في محلة المزرعة .. وأبى شفيق أن يبتعد عن سلماه ، لا حبا بها ، بل خوفا منها ، كان شفيق يخشى أن يدفع « الجنون » سلمى الى افشاء سرهـا وسره طمعا في انقاذ شقيقتها نجلاء من غياهب السجن ..

كان شفيق يخشى أن تشخص سلمى الـى شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية وتمثل في حضرة المدير وتقول له بكل جرأة وصراحة : « أنـا المختلسة ، لا شقيقتـي نجلاء .. » وهناك الطامة الكبرى . اذا أقدمت سلمى على هذه الحماقة الرهيبة ، فـان مصيرها سيكون السجن ، ومصيره مرتبط بمصيرها .. اذا دخلت سلمى الى السجن ، فهو لن يحل الا في السجن ..

واحتاط شفيق للامر ، وأقام قرب سلمى لا يبتعد عنها،

ولا يتركها دقيقة واحدة •• وكانت سلمى ترقب أنباء شقيقتها باهتمام وخشية وخوف •

كانت سلمى تبتاع الصحف كل يوم وتبحث بين أخبارها العديدة عن أنباء التحقيق مع نجلاء •• والصحف كانت تتابع نشر تفاصيل التحقيقات ، وكانت التهمة لاصقة بنجلاء ••

وتقرأ سلمى التفاصيل ، تفاصيل التحقيق مع نجلاء ، وتنزوي في غرفتها تبكي بدموع قانية الاحمرار •• وتتمنى سلمى لو أنها تستطيع البوح بما في صدرها من أسرار لانقاذ أختها نجلاء ، تتمنى لو أن شفيقا يسمح لها بالمثول أمام مدير الشركة ، وأمام المحقق لتدلي بكل ما لديها من أسرار، وتنقذ نجلاء البريئة المظلومة ، التي تعاني الآلام والعذاب والبؤس والشقاء ••

ومضت الايام القليلة وسلمى تبكي وتتعذب وتتمنى•• وشفيق يأبى أن يبتعد عنها ، ونجلاء تنغمس في تهمة الاختلاس ، وتسير بخطوات سريعة نحو العقاب ••

وذات يوم ، جلست سلمى في غرفتها تطالع الصحف والقلق يعصف بها ، والدموع تغمر عينيها •• وقرأت سلمى نبأ رهيبا هز شعورها ، وأقلق خاطرها ، وأرعب فؤادها « صدر القرار الظني في تهمة الاختلاس •• التحقيق يثبت أن نجلاء الترك اختلست أموال الشركة •• ثلاثون ألف

ليرة ضاعت على شركة الاستيراد .. الفتاة المختلسة أنفقت المال على عشيقها .. » هذه هي عناوين الخبر ..

وذعرت سلمى وقد قرأت العناوين .. والاخبار الصحافية تقرأ كلها من عناوينها. . ومسحت سلمى دموعها وانصرفت إلى التفكير: ماذا عليها أن تفعل الآن؟ . .

أتترك أختها تكفّر عن جريمتها هي ؟..

أتتخلى عن نجلاء ؟.

أترتكب هي الجريمة ، وتدفع أختها الثمن ؟.

لا .. لا .. ما هو ذنب نجلاء ؟ ما هي جريمتها ؟.

هي المجرمة ، وعليها أن تكفّر عن جريمتها .. عليها أن تنقذ نجلاء ، عليها أن تنقذ أختها . لقد ارتكبت جريمة عندما مدت يدها الى صندوق الشركة ، واختلست المال ، وهي لن ترتكب جريمة ثانية بالتخلي عن شقيقتها نجلاء .. عليها أن تنقذ نجلاء ، عليها أن تخرج بها من السجن ..

ولكن كيف ؟.. كيف ؟..

ستشخص الى مدير الشركة وتطلعه على كل شيء .. المدير يحبها ويعطف عليها.. وطالما غمرها بالعطف والحنان. ستطلعه على كل شيء ، وتخبره كل شيء ، وتعترف له بكل شيء . والمدير عليه أن يتدبر أمرها ، عليه أن يلقي بها في اعماق السجون ، أو أن يعفو عنها .

ولكن .. ولكن شفيقا لن يسمح لها بالاقدام على

هذه الخطوة •• هو لن يدعها تخرج من الدار وحدها •• شفيق لن يدعها تشخص الى شركة الاستيراد والتصدير ، لن يدعها تفشي سرها وسره •• قد يكون حبه اياها هو الذي يدفعه الى المحافظة عليها ، والابتعاد بها عن المخاطر والسجون •• شفيق يحبها •• هي متأكدة من حبه ، لو لم يكن يحبها لما أقدم على الابتعاد عن خطيبته الغنية الثرية من اجلها ، وحبه هذا ، يهيب به الى ردعها عن المجازفة والمغامرة والوصول الى السجن •

ولكنها •• ولكنها هي تحب أختها نجلاء •• ليس لها في هذه الحياة ، الا نجلاء ، أتتخلى عنها وتتركها في السجن ؟•• أترضى سلمى بأن تكفر شقيقتها نجلاء عن جريمتها هي ••

لا ، لا ، هي لن ترضى بذلك، عليها أن تنقذ نجلاء•• هي ستشخص الى مدير الشركة وتعترف له بجريمتها ، ستقول له : « أنا اختلست الثلاثين ألف ليرة من صندوق الشركة » •

ولكن المدير سيسألها : أين هو المبلغ ؟••

بماذا سترد عليه ان هو طرح عليها هذا السؤال ؟••

أتقول له «لقد سلمت المبلغ الى شفيق وهبي ؟••»

لا • لا ، لن تقول له هذا ؟ أتنقذ اختها من السجن لتدخل هي اليه مع شفيق ؟••

لا •• هي لن تذكر اسم شفيق ، لن تطلع المدير علـى القصة كاملة ، بل هي ستطلعه على نصف القصة ، ستعترف للمدير باختلاس المال ، الا انها لن تعترف لـه بأنها وهبت المال المختلس لحبيبها شفيق ، ولن تقول لـــه بأن شفيقا حرضها على الاختلاس •

لا ، لن تلقي بحبيبها شفيـق في غياهب السجون •• هي وحدها ستكفر عن جريمتها ، هي التي اختلست ، وهي ستدفع الثمن ، ليس لشقيقتها ، ولا لشفيـق أي علاقـة بالجريمة •

وعزمت العزم الثابت المتين على الذهاب الـى مديـر شركة الاستيراد ، ستشخص الـى المدير دون أن تستشير شفيقا في الامر •• لن تستشير الا ضميرهـا •• ضميرها وحده الذي يملي عليها الواجب ، ويرسم لها الخطة ، ويفتح أمامها الطريق ، وعليها أن تقوم بالواجب وأن تنفذ الخطة ، وتسير في الطريق ••

وأقامت سلمى ترقب خروج حبيبها شفيق مـن الدار ، الا أن انتظارها طال وشفيق مستلق على مقعد طويل رجراج يطالع قصة عاطفية •• ودقت الساعة التاسعة من الصباح ، في مثل هذه الساعة يحضر المدير الى عمله في الشركة •

هو الآن في مكتبه • تستطيع ، اذا خرج شفيق مـن

الدار الآن ، أن تطير الى شركة الاستيراد والتصدير وتقابل المدير و... ينتهي كل شيء .

ولكن شفيقا لم يخرج من الدار ، بل هو استغرق في المطالعة والراحة والاستجمام .. ووثبت الى شفيق تجلس قربه لتسايره وتسامره وتلاطفه وتتودد اليه .. وقالت له : أنا سأخرج من الدار الآن لشراء بعض الاغراض يا حبيبي، وأعود اليك بعد ساعة ..

فرفع شفيق نظره عن الكتاب ، والتفت اليها ليقــول : أنا سأخرج معك يا حبيبتي •• أذهب معك وأعود معك •

فوجمت سلمى•• هي تريد أن تذهب وحدها ، تريد ان تطير الى الشركة•وهمست : لماذا تذهب معــي ؟•• استرح يا حبيبي ، ابق هنا •• لا تزعج نفسك يا شفيق •

قال :ألا تزعجين أنت نفسك ؟•• أنــا لست بأفضل منك ، أريد أن أرافقك يا حبيبتي ، لــن أدعــك تذهبين وحــدك •

لقد أدرك الخبيث قصدها ، علــم بثاقب بصيرتــه مأربها •• هو لن يدعها تنفذ خطتها ، لا ، لن يدعها تنقــذ أختها ، وفي انقاذ تلك الاخت ، وقوعه هو في الفخ ••

وأبى شفيق أن يدعها تخرج وحدها من الدار •• ووثب يرتدي ثيابه على عجل ، ثم يمسك بيدها هامسا : تعالي•• تعالي معي ••

وسارت معه •• لم يكن لها أن ترد لــه طلبــا ولا أن تخالف له أمرا •• هي لا تريد أن « تكسر بخاطره » لا تريد أن تقــول لــه «لا . . » مــا يقــولــه شفيق مقــدس لــديهــا . .

وسارت برفقته وهي تفكر •• وشخصا معا الى المحال يشتريان بعض الاغراض ، ثم يعودان معا الــى الــدار •• «رجله على رجلها »• لم يكن ليبتعد عنها دقيقة واحدة ، لم يكن ليفسح لها السبيل لتنفيذ الخطة المرسومة ••

لا ، شفيق لن يدع الزمام يفلت من يـده •• سلمى ستظل قربه ، ويظل هو قربها حتى يأمن السجن ، ويصدر الحكم على شقيقتها نجلاء •• عندئذ ، بعد ان يطمئن شفيق الى سلامة حريته ، بعـد أن يصدر الحكم عـلى نجلاء ، سيبقى لكل حادث حديث •

ودخلا الى الدار •• ورمقت سلمى الساعة المشدودة الى معصمها بنظرة سريعة ، فاذا بالساعة تشير الى الحادية عشرة •• لا بأس •• ما زال المجال فسيحا أمامها للذهاب الى المدير •• المدير لا يترك عمله في الشركة قبل الثانية من بعد الظهر •• قد يفرجها الله عليها ويخرج شفيق من الدار، وعندئذ تطير الى المدير وتوضح له كل شيء ••

وانصرفت سلمى الى تهيئة الطعام ، في حين عاد شفيق الى الاستلقاء على المقعد الطويل الوثير والـى المطالعة •• ومضت الدقائق في سرعة واندفاع •• وحان موعد الغداء•• ودعت سلمى حبيبها الى تناول االطعام وهي قلقـة البال . مضطربة الفؤاد •• الساعة الآن تشير الـى الثانيـة عشرة والنصف •• لم يعد أمامها الا ساعة ونصف الساعة ••

ترى هل يخرج شفيق من الدار قبل الساعة الثانية ؟

هل يقدر لها أن تنفذ الخطة المرسومة اليوم ؟

أم تراها تضطر الى تأجيل التنفيذ للغد ؟

ليست تدري •• وجلست سلمى قرب الحبيب الولوع

الى المائدة يتناولان الطعـــام •• وراح شفيــق يسايرها ويمازحها •• فجارته في المسايرة والمــزاح •• وانتهيا مــن تناول الطعام ونهضا ليدخلا الى غرفة النوم ويستريحا بعد تناول الطعام ••

كان شفيق يعيش مع سلمى في دارها كمـا يعيش أي زوج مع زوجته • فكـأن الـدار داره ، وصاحبة الـدار زوجته •• ورمقت سلمى الساعة المشدودة الـــى معصمها بنظرة عجلى ، فاذا بالساعة تشير الى الواحدة بعد الظهر••

لم يعد أمامها الآن ساعة ، ساعة واحدة •• ويبدو أن شفيقا غير راغب في الخروج من الـدار اليوم ، ولا هـو راغب في السماح لهـا بالخروج وحدهـا •• واستلقيا في السرير •• واذا بشفيق يستغرق في النوم والساعة تشير الى الساعة الواحدة والنصف ••

أمامها نصف ساعة •• هــل تستطيع أن تصل الــى الشركة قبل حلول الثانية من النهار ؟•• ستجرب ••

ووثبت سلمى من السرير •• وراحت ترتــدي ثيابها على مهل وهي تنظر الى شفيق المستغرق في النوم ، من حين الى آخر ، نظرات قلـــق وحيرة وخشيـــة واضطراب •• وانتهت من ارتداء ثيابها•• وتسللت من الغرفة الى البهو•• ومن البهو تسللت الـــى الباب الخارجي •• وخرجت مــن الدار ••

وتنفست سلمى الصعداء وقد أصبحت خارج الدار .. هي ستشخص الى الشركة وتعود الـى الدار قبل أن يستيقظ شفيق .. واذا استفاق قبل أن تعود وسألها «أين كنت ؟..» ستجيب : ذهبت الـى السوق واشتريت بعض الاغراض .. لن تقول له أنها شخصت الى شركة الاستيراد والتصدير ، وأنها قابلت المدير . لا ، لن تقول لـه شيئـا من هذا ..

وأسرعت الى الشارع العـام لتستقل سيارة تاكسي وتقول لسائقها الى شارع اللنبي .. وطارت السيارة الانيقة بها الى شارع اللنبي ، وانصرفت سلمى الى التفكير ، وهي جالسة في المقعد الخلفي من السيارة ، واغمضت عينيهـا ، والسيارة تجتاز بها الشوارع والاحياء ، وراحت تفكـر : كيف ستقابل المدير ؟.. وكيف ستبدأ الحديث معـه ؟.. وكيف ستجرؤ على البوح له بجريمتها ؟.. وماذا سيقـول المدير وقد اطلع على الحقيقة ؟.. هـو سيغضب .. مـن المؤكد أنه سيغضب .. وسيؤنبها ، ويوبخها ، ويشتمها .. وربما أمسك بسماعة الهاتف واتصل برجال الشرطة ودعاهم لاعتقالها ..

وذعرت سلمى وقد وصلت بتفكيرها الى هذا الحد .. أتصل الى السجن ؟.. لا .. لا .. هي لن تشخص الـى الشركة اذن ، ولن تقابل المدير ، ولن تطلعه علـى السر ..

ستعود أدراجها ، ستطلب الى السائق أن يعيدها الى محلة المزرعة ، وتعود الى الدار ، الى ذراعي حبيبها شفيق .

ولكن أختها .. أختها نجلاء في السجن .. أتترك أختها في السجن ؟..

لا ، لا هي لن تقدم على هذه الجريمة ، يجب أن تنقذ نجلاء ، يجب أن تتحلى بالشهامة والكرامة والنبل وتنقذ أختها .. ماذا سيحصل اذا أطلعت المدير على السر؟ اذا اعترفت بجريمتها ؟.. ستصل الى السجن ؟.. لا بأس فلتصل الى السجن ، شرط أن تصبح نجلاء حرة طليقة الجناح ..

وكادت سلمى تضيع في تفكيرها الممض المزعج الرهيب .. ووصلت السيارة بها الى شارع اللنبي .. وهمس السائق : نحن في شارع اللنبي يا آنستي . أين تريدين أن تترجلي ؟

فاستفاقت سلمى من ذهولها ومن تفكيرها .. ونظرت من نافذة السيارة الى الشارع الطويل الفسيح وتمتمت : الى الامام .. مئة متر فقط ..

وسارت بها السيارة الى الامام ..فقالت للسائق : هنا .. هنا .. قف هنا ..

وأوقف السائق سيارته هناك .. ونقدت سلمى السائق اجرته وترجلت من السيارة .. ووقفت أمام شركة

الاستيراد والتصدير ، الشركة التي كانت تعمل فيها بكل أمانة واخلاص •

«وقفت سلمى بقدمين واهيتين وبأعصاب مرتجفة ، وبقلب واجف قلق مضطرب خفوق •• وترددت في الدخول الى الشركة•• ماذا ؟•• هل تدخل؟•• أم تعود ؟•• ليست تدري ، ليست تدري •• قلبها يدعوها الى العودة ، وعقلها يلح عليها بالدخول •• هي حائرة بين عقلها وقلبها ، بين حبها لشفيق ، وعاطفتها نحو أختها •• وعادت سلمى ترمق الساعة المشدودة الى معصمها ، فاذا بالساعة تشير الى الثانية الا عشر دقائق •• ما زال أمامها متسع من الوقت للتكفير عن جريمتها •• أمامها عشر دقائق • ماذا ؟•• هل تدخل الى الشركة ؟•• ام تعود الى الدار ؟•• ودون انتباه، ودون تفكير ، ودون اتخاذ أي قرار رأت سلمى نفسها على عتبة البناية ، ثم تدخل الى المصعد ، وتضغط على الزر ••

وصعد المصعد بها الى الطابق الثالث من البناية •• الى الشركة •• وفجأة ، وقبل أن تستفيق من ذهولها ومن تفكيرها ومن هواجسها رأت سلمت نفسها داخل الشركة بين زملائها السابقين •• وهبّ الزملاء لاستقبالها بالحفاوة والترحيب : أهلا أهلا سلمى •• لقد اشتقنا اليك يا سلمى، اشتقنا الى حديثك الحلو والى مزاحك، والى طيبة قلبك•• لماذا انقطعت عن العمل في الشركة يا سلمى ؟•• الحقيقة هي

أن الفراغ الذي تركته استقالتك لن يملأه أحد •• قيل لنا أنك تزوجت ، فمن هـــو العريس السعيد أيتها الزميلـة العزيزة ؟•• لقد أسفنا شديد الاسف لما بدر من شقيقتك نجلاء ، فهي ليست في نبلك ، ولا هي في كــرم خلقك •• ليست أصابع اليد متساوية يا سلمى ••

وانهالت الاسئلة عليها من الزملاء•• وكان ينهال عليها الترحيب •• وانهالت العواطف يغمرونها بهـا •• ودعوها للجلوس بينهم : اجلسي هنا •• هنا على هذا المقعد الوثير يا سلمى •• ماذا تتناولين ؟•• قهـوة ؟•• ليمـون ؟•• كولا ؟•• ماذا ؟•

وتمتمت سلمى بعد جهـد وعناء : شكرا شكرا أيهـا الزملاء الاحباء ، لا أريد أن أتناول شيئا •

قالوا : لماذا ؟•• أتخشين أن تضطري الى رد الجميل، والى دعوتنا الى دارك ؟•• نحن نريد أن نشخص كلنا الى دارك لنرفع لك ولعريسك تهانينا الحـــارة •• ستتناولين القهوة •• أليس كذلك ؟•• نحـن نعرفك تحبين القهـوة حلوة المذاق •• قهوة يا « ولد » •

وقدموا لها اللفائف الفاخرة •• وجاءها « الولـد » بالقهوة •• فجلست تدخن وترشف قهوتها وترد على أسئلة الزملاء وهي تائهة النظرات ، قلقة الباب ، مضطربة الفؤاد •• وانتهت من رشف القهوة ، وشكرت الزملاء الاعـزاء

على عاطفتهم الكريمة .. والتفتت الى أمينة السر تسألها : هل أستطيع أن أتشرف بمقابلة المدير يـا أختي ؟ وتمتمت أمينةالسر : المدير ليس في مكتبه .. لقـد خرج .. خرج منذ نصف ساعة يا سلمى .

فوجمت سلمى .. ووقفت حيرى .. لا تعلم ماذا عليها أن تفعل ؟ هل تحزن أم تفرح ؟.. هل تبتهج لعدم تمكنها من مقابلة المدير ، وفي ذلـك انقاذ لموقفها الحـرج .. أم تأسف لسوء حظ شقيقتها نجـلاء ؟.. ليست تـدري .. وشعرت سلمى بالوهن وبالعياء ، فعادت الى الجلوس على المقعد الوثير .. وعاد الزملاء الى مسايرتها ، والى ممازحتها .. في حين انصرفت هي الى التفكير العميق تنغمس فيـه بقلق ورعشة ووجوم ..

وطال تفكيرها : ماذا عليها أن تفعل ؟.. هل تعود الى الدار الآن ، لتعود غدا الى مقابلة المدير؟.. لا ، هي لـن تستطيع الافلات من قبضة شفيق غدا كما استطاعت ذلك اليوم .. يجب أن تقابل المدير اليوم ، الآن فورا .. هـي لن تعود الى الدار الآ بعد أن تحظى بمقابلة المدير وتريح ضميرها ..

ولكن كيف ستقابل المدير ؟ وأين ستلقاه ؟.. والتفتت سلمى الى أمينة السر لتقول : أيـن هو المدير الآن ، هـل تستطعين أن ترشديني اليه يا أختي ؟.

قالت أمينة السر : أتريديـن أن تتكلمي معـه بشأن شقيقتك نجلاء وتطلبي اليه الرأفة والرحمة بها ؟•

قالت سلمى : أجل •• أجل •• أين يكون الآن ؟•

قالت أمينة السر : قد يكون في داره •• داره في محلة الصنائع كما تعلمين •• هل تشخصين الى داره ؟•

قالت : أجل •• ولكن أتراه يكون في الدار الآن ؟•

قالت أمينة السر : مهلا يا سلمى •• أنا سأتصل بـه هاتفيا من هنا ، واعلن له رغبتك في مقابلته ، وله أن يحدد لك موعدا لمقابلته ••

قالت أمينة السر هذا ، وأسرعت الى الهاتف لتتصل بدار المدير •• وردت عليها الخادمة •

قالت أمينة السر : أيكون سعادة المدير في الدار ؟

قالت الخادمة : أجل انه هنا ••

أرجو أن يتكرم بالتحدث اليّ ••

وبعد لحظات قليلة سمعت أمينة السر صوت المديـر يقول : ماذا تريدين ؟

قالت : سيدي المدير !•• عندنا الآن هنا في الشركة الآنسة سلمى الترك •• وهي ترجو أن تسمح لها بمقابلتك•

وتمتم المدير : دعيني أتكلم معها •

ودفعت أمينة السر بسماعة الهاتف الى سلمى ••

وبيد مرتجفة باردة أمسكت سلمى بالسماعة وهمست: نهارك سعيد يا سيدي المدير •

قــال : سلمى !•• ما بك يا ابنتي ؟

قالت : هل تسمح لي بمقابلتك يا سيدي ؟•

قــال : تفضلي الى هنا ، أنــا في الدار الآن ، تعالي اليّ •

قالت : انني قادمة الآن يا سيدي ، شكرا ••

واعادت السماعة الى آلة الهاتف •• وودعت زملاءها وخرجت من الشركة وهي قلقة حيرى •• ماذا ستفعل ؟•• هل تشخص الى دار المدير ؟ ام تراها تعود الى دارها ••

الموقف حــرج ، صعب ، رهيــب مخيف •• هــي لا تستطيع أن تقفه •• لا تستطيع أن تقف بحضرة المديــر لتعترف له بجريمتها •• لا تستطيع ذلك •• لا تستطيع ••

وأبت سلمى الترك أن تستقل سيارة تاكسي في طريقها الى دار المدير ، بل هي رأت أن تشخص الى تلك الدار من شارع اللنبي ، الى محلة الصنائع، سيرا على قدميها ليكون لها متسع من الوقت للتفكير •• وسارت •• سارت بقدمين واهيتين وهي تفكر بألم وأسى وقلق وحيرة واضطراب ••

١٩ يقظة الضمير

وقفت سلمى أمام دار مدير شركة الاستيراد في محلة الصنائع ، تطرق الباب وهي واجفة القلب ، مضطربة النفس ، قلقة الخاطر ••• ولم يطل انتظارها-لحظات قليلة وفتح الباب ، وأطلت منه الخادمة تقول : ماذا تأمرين ؟

قالت : أريد مقابلة حضرة المدير •

وأفسحت الخادمة أمامها الطريق الى غرفة الاستقبال، وجلست على مقد رجراج وثير •• ووقفت الخادمة أمامها لتقول : هل أستطيع أن أتشرف بمعرفة اسم الآنسة ؟

قالت : أنا سلمى الترك .

وذهبت الخادمة ، لتعود بعد قليل قائلة : المدير يتناول الآن طعام الغداء ، هو يسألك : هـــل تريدين أن تتناولي طعام الغداء معه ؟

قالت سلمى : لا • شكرا ••

وعادت الخادمة أدراجها ، وراحت سلمى تفكر بقلــق

وخشية واضطراب ••• ماذا عليها أن تفعل ؟• هل تكمل المهمة التي جاءت من أجلها الى دار المدير ، وتطلعه على سرها ؟ أم تراها تعود أدراجها دون أن تعترف بجريمتها ؟• ولكن ماذا جاءت تفعل هنا في دار المدير ، ولماذا كلفت نفسها مشقة الحضور ، ما دامت لا تريد أن تعترف للمدير بالجريمة النكراء ، وتنقذ أختها نجلاء ؟• وماذا ستقول للمدير ان هو سألها : ماذا تريدين ؟

الامر لا يحتاج الى تفكير •• ان هو سألها ماذا تريدين ؟• قالت له : أريد استعطافك في أمر أختي نجلاء•• أرجوك يا سعادة المدير أن تعفو عنها ، أنا سأعود الى العمل في شركتكم وأفي المال الذي اختلسته أختي نجلاء •

هذا ما ستقوله للمدير ••• لا ، هي لن تبوح بسرها، وسرها ليس ملكها وحدها ، بل لها شريك فيه ، شريكها في السر حبيبها شفيق وهبي• لو كان السر ملكها وحدها لجاز لها أن تتصرف به كما تشاء وتريد ، ولكن ذلك السر ليس ملكها ؛ لحبيبها شفيق حقه ، وعليها أن تصونه اكراما لشريكها •••

ولكن ••• وعادت كلمة « ولكن ••• » تتردد في خاطرها •• ولكن أتضحي بأختها نجلاء من أجل حبيبها شفيق ؟• وما هو ذنب نجلاء كي تعاني العذاب والسجن والألم ؟• هي المجرمة لا نجلاء ، ويجب أن تنال العقاب هي

وتنقذ نجلاء .. ولكن .. ولكـن شفيقا .. ماذا سيحل بشفيق ؟ هي لن تذكر اسم شفيق . لن تعترف بأنها سلمت المال لشفيق ، ستنقذ نجلاء وتنقذ شفيقاً وتكفّر وحدها عن الجريمة النكراء التي اقترفتها يداها .. وهي سترجو المدير أن يعفو عنها ، وتعده بأن تعيـد المبلغ الـى الصندوق في العاجل الوشيك .. وهي ستبر بوعدها . مـن المؤكد أن شفيقاً سيعيد لها المبلغ بعد أيام قليلة . وتعيده هي بدورها الى الصندوق وتنتهي المعضلة ...

ومضت سلمى في تفكيرها المقلق الممض الرهيب .. ولم تستطع أن تتخذ موقفا حاسما ، لم تستطع أن تتخذ قرارا صريحا ..

واذا بالمدير يطل .. وبقدمين واهيتين وقفت سلمى ، واقترب المدير منها والابتسامة تشع على شفتيه ، ومدّ يده اليها ليصافحها ، فاذا بها تمد اليه يدا مرتجفة باردة كالثلج، وصافحته ،وتمتم المدير وهو يصافحها : أهـلا وسهلا .. كيف حالك يا سلمى ؟

وهمست سلمى : الحمد لله يا سعادة المدير.. وجلس المدير ليشعل لفافة .. ثم قدم لسلمى لفافة فاعتذرت عـن تدخينها .

وتمتم المدير : ألم يعوّدك العريس على التدخين ؟.
فاحمرت وجنتاها واختلجت شفتاها دون أن تستطيع

التلفظ بحرف ... ونفث المدير دخان لفافتـه في الفضاء وقال : أنا عاتب عليك يا سلمى ؟. لماذا لـم تخبريني بأنك عازمة على الزواج .. ثـم لماذا رفعت استقالتك برسالة ؟ ولماذا لم تحضري بنفسك لننقـدك تعويضـك ، ونقـوم بالواجب المفروض حيالك ؟.

واحتارت سلمى بماذا تجيب ؟.. لقد بدأ الاحراج .. بماذا تجيب المدير ؟ ماذا تقول له ؟. هل تطلعه على الحقيقة وتقول له : أنا لم أتزوج يا سعادة المدير ؟

لا . لا . لا يجوز أن تفشي جميـع أسرارها دفعـة واحدة ، عليها الآن أن تكتفي بالصمت ...

وعاد المدير الى نفث دخان اللفافـة في الفضاء ليقول : قولي لي يا سلمى ، كيف حالك ؟ كيف صحتك ؟.

وهمست : الحمد لله يا سعادة المدير ، الحمد لله .

وعادت الى الصمت .. وصمت المدير برهة ليقول : أرجو أن تمري غدا بالشركة ، لقد أمرت رئيس المحاسبة بأن يصرف لك تعويضك كاملا يا ابنتي ...

وأقبلت الخادمة تحمل لهما القهوة ، فتناول المديـر فنجانه وتناولت سلمى فنجانها .. ورشف المديـر القهوة ، ونفث دخان اللفافة ليقول : أخالك جئت اليّ لتحدثيني في أمر أختك نجلاء ، أليس كذلك يا ابنتي ..

وارتعشت سلمى وارتجف فنجان القهوة في يدها، لقد

أطلت الساعة الحاسمة ، لقد بزغت البرهة الرهيبة ، ساعة الاعتراف دنت ، يا لها من ساعة مروعة مخيفة هائلة .. وحاولت الرد على المدير ، حاولت التلفظ بكلمة ، بحرف ، الا أنها لم تستطع ...

وأدرك المدير أي عاصفة جوهاء تعصف بسلمى ، فعاد الى الكلام محاولا تهدئة العاصفة ليقول : يبدو أن طباع نجلاء وأخلاقها تختلف كثيراً عن أختها . . . انت فتاة مهذبة مفكرة رصينة .. أما نجلاء فهي فتاة طائشة .. نحن لم نستطع أن نوجه اليك كلمة لوم طيلة المدة التي عملت بها عندنا .. وهي لم تعمل في الشركة سوى أيام قليلة ، فتمتد يدها الى الصندوق وتختلس ثلاثين ألف ليرة ..

ومرة ثانية حاولت سلمى الكلام ،ومرة ثانية أيضا عجزت عن الكلام ...

ومضى المدير في حديثه قائلا : اسمعي يا سلمى ! أنت تعلمين كم نحبك ونحترمك ، فأنا على استعداد لمساعدة أختك اكراما لك .. اذا شئت أن تخرج أختك من السجن فما عليك الا أن تشخصي الآن فورا اليها، وتطلبي مقابلتها وتقنعيها بأن تعيد الينا المال المختلس .. وأنا أكفل لك أنني أضمن لك خروجها فورا من السجن ، وأسقط دعوى الشركة عنها ، واعلن أن المبلغ قد وجد ، وتخرج أختك ناصعة الجبين ..

«وجمت سلمى ، عرض المدير رائع ، ليت المبلغ متوفر لديها الآن لتضعه بين يدي المدير وتنقذ أختها وتنقذ نفسها في وقت واحد .. ومضت سلمى في الصمت والتفكير ، واشتد القلق بها .. ماذا ستفعل ؟ بماذا ستجيب ؟ ماذا ستقول ؟. بماذا ستجيب ؟ ماذا ستقول ؟.

واستأنف المدير الكلام ليقول: أنا أعرفك يا سلمى فتاة مهذبة ، أمينة ، رصينة رفيعة الاخلاق . أما أختك نجلاء فهي لصة مجرمة ، ليست على شيء من أخلاقك الحميدة ؟.

ولم تعد سلمى لتحتمل ذلك العذاب الاليم ، لم تعد تستطيع احتمال سماع الاهانات تنهال من فم المدير على أختها نجلاء ، وهي المجرمة .. الاهانة لها هي ، وليست لنجلاء ، أترضى بأن تهان أختها البريئة وتشكر وتمدح هي المجرمة ؟..

لا . لا . هذا ما ليست تقوى عليه .. وسمعت سلمى صوت الضمير صارخا بها : « يجب أن تنقذي أختك ، اعترفي ، اعترفي بجريمتك يا مجرمة » ..

وشعرت سلمى بعاصفة هوجاء تجتاح حنايا روحها وتعصف في ثنايا قلبها .. وأخذت ترتجف كأنها ورقة في مهب الرياح ..

وشاهدها المدير في ارتجافها واضطرابها ، فخيل اليه

أنها تأثرت بكلامه، أو أنها خجلت بأختها اللصة، فالتفت اليها ليقول : لا تحزني يا سلمى ، اذا كانت أختك نجلاء مجرمة لصة ، فما هو ذنبك أنت ، وما حيلتك بها ، ان في الوردة شذا وشوكا ، فما هو ذنب الشذا اذا خدش الشوك يد الانسان ؟..

فانفجرت سلمى بالبكاء وهي تسمع كلام المدير .. ورفعت راحتيها تخفي بهما وجهها وهي تجهش بالبكاء ..

واستطاعت سلمى أن تثير عاطفة المدير وشفقته .. فاقترب منها ليقول : لا تذرفي هذه الدموع الطاهرة الشريفة يا ابنتي ، أنت طاهرة القلب ، نقية النفس ، ناصعة الجبين ، أما أختك ..

ورفعت سلمى نظرها الى المدير لتقول مقاطعة : لا يا سعادة المدير ، لا ، أختي فتاة شريفة أنا .. أنا .. أنا هي المجرمة .. أنا هي المختلسة . أنا وليست هي يا سيدي ..

وارتسمت على شفتي المدير ابتسامة شفقة وعطف وحنان ، وهمس : لا تحاولي إلصاق التهمة بك لتبعديها عن أختك ، أنت لن توفقي في هذه المحاولة يا سلمى ، أنت لا تختلسين ، ولا تسرقين ، ولا تمدين يدك الى مال ليس مالك ، لقد قضيت مدة طويلة في خدمة الشركة دون أن تمسي ليرة واحدة، دون أن يفقد من الصندوق قرش واحد،

ولكن ، ما أن تسلمت شقيقتك نجلاء أمانة الصندوق ، ولم تمض أيام قليلة على تسلمها العمل ، حتى فقد ثلاثون ألف ليرة ، من تراه السارق اذن ؟ من تراه المختلس ؟• أنـا أم أنت ؟••

ومسحت سلمى دموعها لتقول : يا سيدي المدير أنـا لا أتكلم بسوى الحقيقة ، المختلسة هي أنـا ، أنا لا أختي نجلاء •

قال المدير : مستحيل •• أنا لا أصدق ؟•

قالت : ماذا يثبت لكم أن نجلاء هي المختلسة ؟

قال : الاثبات واضح يا ابنتي ، أولا : أنت لم تكوني في عملك عندما وقع الاختلاس •• ثانيا : التي كانت تقوم بوظيفة أمانة الصندوق ، كانت أختك نجلاء •• ثالثا : أنت لم تمدي يدك يوما الـى ليرة مـن أموال الشركة طيلـة السنوات التي عملت فيها في الشركـة •• أتريدين براهين أكثر من هذه ؟•

قالت سلمى وقد بدأ تستعيد هدوءها : أولا : أنتـم لا تستطيعون أن تجزموا بأن الاختلاس وقع في اليوم الذي اكتشفت فيه ، ان المفتش العام لا يقوم بالتفتيش الا مرة في الشهر ، يجوز أن يكون الاختلاس قد وقع قبل أن تستلم أختي أمانة الصندوق •

فوجم المدير •• سلمى على حق •

وتابعت سلمى كلامها لتقول : ثانيا : أليس من المعقول أن أكون قد تعمدت الهرب لأنجو بنفسي ؟٠٠ ثالثـا : ان ماضيّ الناصع البياض لا يضمن مستقبلي وحاضري ، قد يعيش الانسان حياته في الخير والصلاح ، وفجأة يستفيق ليجد نفسه قد ارتكب جريمة ، لا تحكموا علي يا سعادة المدير من خلال ماضيّ ، أنا خرجت عـن الطريق القويـم الذي سرت فيه طيلة عمري ٠٠

أجل يا سيدي ، أجل ، أنـا هي المجرمة ، أنـا هي المختلسة ، أنا لا أختي ٠٠

واشتد الوجوم بالمدير ، فهـو لا يصدق مـا يسمع ، أتكون سلمى مجرمة ٠٠ أتكون هي المختلسة ؟٠ لا ، لا ، مستحيل ٠٠ مستحيل ٠٠ هي تريد انقاذ أختها ٠٠ تريد أن تلصق التهمة بها لتنجو شقيقتها ، يا لها من فتاة نبيلة شهمة كريمة الاخلاق ٠٠

وعادت سلمى الى الكلام لتقول بعـد صمت قصير : أرجو يا سعادة المدير أن تعفو عن أختي وأن تتخذوا مـا تريدون من تدابير بحقـي ٠٠ بحقي أنـا المجرمـة اللصة المختلسة ٠٠

ونفث مدير شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية دخان لفافته في الفضاء وهمس : سلمـى ! اسمعي يـا ابنتـي ، لا تحاولي انقاذ أختك على حساب سمعتك وشرفك واسمك

وحريتك ، ثم لا تنسي أنك متزوجة ، ماذا سيقول زوجك ، اذا علم أن زوجته مختلسة لصة مجرمة •• فكري جيداً يا ابنتي قبل أن تقدمي على هذه التضحية •

وتمتمت سلمى : أنا لم أتزوج يا سيدي •• لقد خدعتكم • أنا لم أتزوج •• ادعيت بأنني تزوجت كي أنجو من العقاب ، كي أهرب ، كي أبعد التهمة عني •

ودهش المدير ، يبدو أن ادعاء سلمى صحيح ، فهي المجرمة اذن لا أختها ، يا ضياع الامل بها ••

وتمتم المدير وكأنه لا يصدق ما يسمع : ماذا تقولين •• أنت لم تتزوجي ؟

فعادت الدموع تتدحرج على وجنتي سلمى.وهمست: هي الحقيقة يا سيدي ، أنا لم أتزوج ، لقد أدعيت الزواج كي أنجو بنفسي ، ولم أكن أعلم أن أختي ستقع في الشرك الذي كان يتحتم عليّ أن اقع أنا فيه ••

فصمت المدير •• وصمتت سلمى •• وأخذت الدموع تتدحرج على وجنتيها الندبتين الجميلتين •• وانصرفا الى التفكير •

كانت سلمى تفكر بمصيرها بعد أن باحت بسرها للمدير •

وكان المدير يفكر بما قالت له سلمى •• يفكر بكلام

هذه الفتاة التي جاءت تعترف لـه بأسرارها ، فهـي قـد اعترفت بالاختلاس دون أن يدفعها أحـد الى الاعتراف ، لماذا اعترفت له سلمى بأنها هي التـي اختلست المال مـن صندوق الشركة ؟ ولماذا اعترفت لـه بأنها خدعته بادعائها الزواج وهي لم تتزوج ..

من المؤكد أن هناك سرا في حياة سلمى ، ولكن ما هو هذا السر .. يبدو أن هناك أسرارا هامة في صدر سلمى ، وهي قد اعترفت ببعض تلك الاسرار ، وعلـى المديـر أن يكتشف ما بقي في صدرها مـن أسرار وخفايا . يجب أن يعلم المدير ما هو هذا الامر الذي دفعها الى الحضور اليه، واعلان جريمتها ؟..

أيكون حبها لأختها هو الذي دفعها لذلك ؟ أم ترى صوت ضميرها صرخ بها ودفعها الى اعلان براءة أختها ؟.. هذا ما يجب أن يجلوه المدير .. ثم لماذا اعترفت بأنها لـم تتزوج وهي التي كانت قد استقالت من وظيفتها في الشركة مدعية أنها تزوجت من شاب نبيل ؟.. ومن هو هذا الشاب النبيل الذي قالت سلمى بأنها تزوجت منه ؟.. هذا ما يتحتم على المدير أن يصل الى معرفته ..

وطال صمتهما .. وكانت سلمى ترقب أن يتكلم المدير، أن يفوه بكلمة ، أن ينبس بحرف ، هي تريد أن تعرف مـا

هو مصيرها ؟.. هل سيعفو المدير عنهـا ؟.. هـل هـو سيسامحها ؟ أم تراه سيتصل برجال التحـري ويرجوهم اعتقالها ؟..

وانتظرت سلمى أن يعلن المدير موقفه حيالها ، الا أن انتظارها طال ..

وأخيرا وبعد انتظار طويل تكلم المدير ... والتفت الى سلمى ليقول : سلمى ! أريدك أن تكوني صريحة معي الى أبعد حدود الصراحة ، على صراحتك يتوقف مصيرك ومصير أختك نجلاء ، قولي لي يا سلمى ، هل أنت مستعدة لأن تجيبني على أسئلتي بكل صدق ، وبكل صراحة ، وبكل اخلاص ؟

ومن خلال الدموع المنسابة علـى وجنتيها همست سلمى : أجل .. أجل يا سعادة المدير ..

لقد شعرت سلمى الترك ، وهي بحضرة المدير أنهـا بحضرة والد يحبها ويحنو ويعطف عليها ، وعزمت على أن تصارح المدير بكل شيء ، عزمت على أن تجيبه على كـل أسئلته بصراحة تامة وبشجاعة كاملة .

ونفث المـدير النبيـل دخـان لفـافتـه في الفضـاء وتمتم : أريد أن أعلم أولا : هل أنت صادقـة في ادعائك السرقـة والاختلاس ؟ اتكونين أنت المختلسة ؟ أم أنك تريدين انقاذ شقيقتك نجلاء ؟

ومسحت سلمى دموعها وتمتمت : أنــا هــي المختلسة يا سعادة المدير ، أنا استوليت على الثلاثين ألف ليرة • أما أختي نجلاء فهي بريئة • انــي أقسم لــك بأنهــا بريئــة يا سيدي ••

قال المدير : لماذا مددت يدك الــى أموال الشركــة يا ابنتي ؟• هل أستطيع أن أعلم لماذا ؟•

قال المدير وكأنــه قــاض يقــوم بمهمــة التحقيــق والاستنطاق : انني أسألك ، لماذا اختلست المبلغ الكبير ؟•• هل أنت بحاجة الى المال ؟

قالت : الحقيقة يا سيدي هي أنني لم أكن بحاجة الى المال ، الا أنني أردت نجدة صديق واقع في ضيق مالي •

وبدأ السر ينجلي أمام المديــر •• سلمــى عاشقة •• وعشيقها حرضها على الاختلاس •• ثــم مــال اليها مازحا ليشجعها على الاعتراف بكــل شيء : أتكونين اردت نجدة صديق ، أم تراك أردت نجدة حبيب ؟•

وهمست سلمى : أجل أنا أردت نجدة حبيب يا سيدي •• لقد أردت نجدة شاب وعدني بالزواج ، كان هذا الشاب واقعا في ضيق مالي ، كان واقعا في مأزق حرج ، واستنجد بي ؛ ورأيت أن أنجده •

قال المدير : اذن هو الذي حرضك على الاختلاس •

فأدركت سلمى أن المدير أستدرجها الى الاعتراف بما

لا تريد الاعتراف به ، أدركت أن المدير ورطها ، وانه ألقى بها في مأزق حرج ••• وصمتت برهة ، ماذا عليها أن تفعل الآن ؟• هل تمضي في الاعتراف حتـــى النهايــة ؟ أتفضح نفسها وتفضح حبيبها شفيقا ؟ ليست تدري •••

وأعاد المدير عليها السؤال: قولي لي الحقيقة يا سلمى، أنت وعدتني بالاجابة علـــى اسئلتي بكـــل صدق وأمانة وصراحة •• أيكون حبيبك هـــو الذي حرضك علـــى الاختلاس ؟•

فأومأت برأسها مشيرة بالايجاب •

وسألها المدير : هل سلمته الثلاثين ألف ليرة ؟•

قالت : أجل يا سعادة المدير •

قـــال :كلها ؟

قالت : كلها •• لقد وعدني بأنه سيعيد المبلغ اليّ بعد أسبوع ، واعيده أنا بدوري الى الصندوق •

فتمتم المدير : وهو لم يعد المبلغ اليك حتى الآن؟..

قالت : هذه هي الحقيقة يا سيدي ••

قال المدير بكل رصانة وهدوء : من هو هذا الحبيب يا سلمى ؟

وصمتت سلمى •• من هو الحبيب ؟•• لا ، كل شيء الا هذا •• هي لن تبوح باسم الحبيب ، بكل الاسرار الا بهذا السر ، ستجيب سلمى على جميع أسئلة المدير الا على

هذا السؤال ، لن تذكر اسم شفيق ، لا ، لن تذكر اسمه • السجن أهون لديها مـن التعريف باسم شفيق ، أتدفـع بحبيبها الى الفضيحة وهي لم تقدم على الاختلاس الا مـن أجل صون سمعته وكرامته واسمه ؟•وصمتت سلمى ، ولم تجب على سؤال المدير ••

وأدرك المدير أن سلمى واقعة في حيرة ، فرأى أن يخرج بها من حيرتها ، رأى أن يمضي في الاستدراج : اسمعـي يا سلمى ، أنا لا يهمني أسم ذلك الحبيب ، ثـم ان القانون لا يطاله ، القانون يطبق عليك أنت ، أنت وحدك المختلسة، أنت السارقة ، اما حبيبك فلا ناقة له ولا جمل ، الآن أنني أطرح عليك هذا السؤال كوالد يسأل ابنته : أنت تعلمين يا سلمى أي مقام لك عندي ، أنت في مقام ابنتي يا سلمى ، وللوالد الحق في أن يقف على جميع أسرار ابنته ••

فتمتمت سلمى : ارجوك يا سعادة المدير أن تعفيني من الاجابة على هذا السؤال •

وتجهم وجه المدير ، ونفث دخان لفافته،وقال : أنا أصر على معرفة اسم ذلك الشاب الذي دفعك حبك اياه الـى ارتكاب مثل هذه الجريمة ، لـك أن تختاري بين اللحاق بشقيقتك الى السجن ، وبين البوح باسم هذا الحبيب •

وعادت سلمى الى البكاء وسكب الدموع ، وهمست: أنا مستعدة للدخول الى السجن كـي أكفر عـن جريمتي

يا سيدي، ولكن ما هو ذنب أختي ؟• هي بريئة، لا تظلموها يا سيدي •

فألقى المدير باللفافة من يده، ووقف ليقول : ليس لي ولا لك أن نحكم ببراءتها ، ستمثلان معا ، أنت وهي ، أمام القضاء ، وللقضاء وحده أن يحكم عليكما اما بالبراءة واما بالعقاب •

واستغرقت سلمى في بكائها ونحيبها ، ووثبت الى المدير محاولة تقبيل يده متمتمة بذل وأسى وانكسار : أرجوك يا سيدي ، أرجوك أن تنقذ أختي ، هي بريئة ، انني اقسم لك بأنها بريئة •• أنت وعدتني بالمساعدة يا سيدي ••و••

فهدر المدير : وأنت وعدتني بأن تجيبي على أسئلتي بصدق وصراحة ، لقد أخلفت وعدك ، فبات من حقي أن أخلف وعدي •

قالت : أتعدني بألا تمسه بسوء ؟•

قال : أعدك •• قولي من هو ؟•

فعادت الى الصمت تعتصم به ، والى التفكير تغرق في لججه •• ماذا ستفعل ؟ أتجيب المدير على سؤاله •• أتبوح باسم شفيق ؟•• عليها أن تضحي بأحد الاثنين : اما بأختها واما بشفيق ، ان هي باحت باسم شفيق أنقذت أختها ، وان هي كتمت أسمه ظلمت شقيقتها •• عليها أن تختار ، اما أن

تختار شفيقا ، واما أن تختار أختها •• ولكن المدير وعدها بأنه لن يمسه بسوء ، وهو ــ أي المدير ــ قد صرّح لهـا بأن القانون لن يطاله ، فماذا يضير شفيقـا ان هـي باحت بأسمه وأنقذت أختها ؟

واستأنف المدير الكلام، وقد رآها غرقى في حيرتها وصمتها وتفكيرها ليقول : سلمى •• ابنتـي سلمى ••• صدقيني اذا قلت لك انك في مقام ابنتي ، انا ان كنـت اتبسط معك في التحقيق ، فما ذلك الا من اجلك انـت ، من اجل انقاذك يا ابنتي ، لو كانت المختلسة فتاة غيـرك لما ترددت لحظة في استدعاء رجال الامن لاعتقالها ،وزجها في اعماق السجون •• اما انت فانك في مقام ابنتي كمـا قلت لك ، لن اسيء اليك ، لن ادع احدا يمسك بسوء ، اطمئني يا ابنتي ، اطمئني يا سلمى ، كل ما اريده منـك ، هو ان تكوني صريحة معي ، فلا تخفي عني سراً كـي استطيع مساعدتك ، قولي لي من هو حبيبك هـذا الذي خدعك ، وحرضك على الاختلاس ، واوقعك فـي هـذا المأزق الحرج ؟

قالت وهي تذرف الدموع الغزيرة : انا لا استطيع ان ابوح باسمه ، ارجوك يا سيدي ، ارجوك ان تعفينـي من الاجابة على هذا السؤال •

فأمسك المدير بيدها ليقول: سلمى: انظري إلى الحياة

بعين العقل، لا بعين القلب، أولئك الذين ينظرون إلى الحياة بعين العقل هم الناجحون في الحياة ، اما الذين ينظـرون اليها بعين القلب فهم اولئك الذين يسيرون فـي طريـق الدموع ، والآلام والشقاء ، قلت لك ان مصيرك ومصير اختك يتوقفان على معرفة اسم هذا الشاب ، اريد أن اعرف اسمه ، لن تخرجي من هنا الا وقد بحت باسمه •

وبدا المدير حازما ، كان لطيفا معها الى ابعد حـدود اللطف ، وحنونا الى اعمق درجة الحنان ، وحازما الـى اقصى درجات الحزم •

وادركت سلمى ان المدير جاد في كلامه ، ادركت ان لا بد لها من الاعتراف باسم شفيق ، عليها ان تبوح باسمه لتنقذ نفسها وتنقذ شقيقتها ، لا بأس ، هي ستبوح للمدير باسم شفيق ، ستطلعه على كل شيء ، لقد وعدها المديـر بألّا يسيء الى الشاب الذي دفعها الى الاختلاس ، والمدير سيفي بوعده ، سيظل شفيق في مأمن من كل شر •

وبعينين دامعتين حمراوين التفتت سلمى الى المديـر لتقول :

اتصرّ يا سيدي على معرفة اسمه ؟ •

قال : اصر وألح في الاصرار •

قالت : انا سأبوح لك باسمه ، وسأضع مصيـري ومصيره ومصير اختي بين يديك ، انت هو مديري ووالدي

ومقرر مصيري ، ليس لي غيرك في هذه الحياة يا سيدي المديـــر .

قال المدير وقد ادمعت عيناه : اطمئني يـــا سلمـــى اطمئني يا ابنتي ، انا سأعمل جاهدا لأنقاذك من الوهـــدة المظلمة السوداء التي وصلت اليها ، قولي لي من هو ؟

قالت : هو .. هو شفيـق وهبي ياسيدي ..

ووجم المدير ، ودهش ، وغضب ، وتجهم . لقـــــد انقلب بريق العطف والحنان في عينيه ، إلى غضب ونـــار متقدة السعير . واخذ يرتجف من الغضب وزأر : يا مجرمة ... ألم احذرك من هذا الوغد ؟ .. ألم اطلب اليـــك الانقطاع عنه ؟ .. ألم ارشدك الى طريق النور ؟ فلمـــاذا تسيرين في الظلام ، وقد ارسل اليك الله من يرشدك الـــى النـــور ؟ .

فجثت سلمى على قدمي المدير وقد لمست هول غضبه وراحت تتمتم : سامحني يا سيدي .. سامحني ..

قال : ان الذي يضل السبيل دون ان يجد من يرشده الى الطريق المستقيم ليس بالمجرم الكامل ، اما ذاك الذي يشاهد النور ، ويأبى الا ان يسير في الظلام ، فهو المجرم .. المجرم الذي من اجله وجدت السجون . لقد نبهتك ، لقد حذرتك ، لقد قلت لك في الماضي من هو شفيق وهبي هذا ، يوم شاهدتك في سيارته العجوز ، ووعدتني بـــأن

تنقطعي عن الاتصال به • وعدتني بأن تنبذيه وتبتعدي عنه، الا انك خدعتني ، لو علمت انك ما زلت على علاقة بـــه لطردتك من الشركة ، لأن مرافق الشرير ، شرير مثله ، ان شفيقا اختلس اموال الشركة ، ثم جاء يحرضك علـــى الاختــلاس. . لقــد كـنت نـبيــلاً مـعــه فـلم أدَعِ عـليـه، ولم ازجه في السجن بل اكتفيت باستعادة قسم من المـال المختلس وبطرده من وظيفته • هذا شاب متهتك فـاسق مقامر شرير ، انت لست الفتاة الاولى التي يغدر بها شفيق وهبي ، ولن تكوني الاخيرة •

وحاولت سلمى الدفاع عن حبيبها ، حاولت ان تخفف من غضب المدير ومن ثورته فوقفت لتقول : ولكنه وعدني بالزواج يا سيدي ، وهو عازم على تنفيذ وعده •

قال وابتسامة الهزء والسخرية تطفو على شفتيـه : وعدك بالزواج ؟ •• ولماذا لم ينفذ وعده ؟ •• لماذا لـم يتزوج منك ؟ •• ماذا ينتظر ؟

قالت : انه منصرف الآن الى تأسيس شركة كبيـرة يا سيدي •

فقهقه المدير قهقهة السخرية،وقال : شفيق وهبي يريد ان يؤسس شركة ؟ •• هذا الكلب استطاع ان يوهمك انه من اصحاب الثروات الضخمة ؟ ما دام غنيا ثريا رأسماليـا فلماذا دعاك الى الاختلاس ؟

قالت : كان واقعا في مأزق يا سيدي ، كان بحاجة الى ثلاثين الف ليرة ليصبح لديه مئة الف ليرة ، كان معه زهاء سبعين الف ليرة و ..

فهدر المدير : يا لك من فتاة ساذجة ، استطاع هذا الوغد ان يخدعك ويغدر بك .

واكملت سلمى كلامها محاولة الدفاع عن الحبيب الولوع : ولكنه ضحى من اجلي يا سيدي .. شفيق تخلى عن خطيبته الغنية من اجلي انا .

وزعق المدير : انت ايضا اوهمك بانه تخلى عن خطيبته من اجلك ؟ ..

وجلس المدير والغضب يهزه هزا ليقول : اسمعي يا سلمى .. انت لست الفتاة الاولى التي يخدعها شفيق .. قبل ان تصبحي انت موظفة في شركتنا ، كان عندنا موظفة بسيطة .. كان مرتبها لا يزيد على المئة والعشرين ليرة .. انها فتاة يتيمة مثلك اشفقت عليها وعهدت اليها بعمل بسيط في الشركة لانها غير مثقفة ، هذه الفتاة اسمها جميلة ... لقد خدعها شفيق وهبي كما خدعك ، وغدر بها كما غدر بك .. ثم افترسها وراح يبتز اموالها .. واخيرا حاول التخلص منها .. وعلمت بالامر ، ولكني علمت ذلك بعد فوات الاوان .. واشفقت على الفتاة المخدوعة . كانت فقيرة بائسة يتيمة ، لا اهل لها ، ولا بيت ، ولا مأوى ،

فعطفت عليها وجئت بها الى داري لتعمل خادمة عنـــدي •
أتــريــديــن أن تتـعــرفي إليـهــا؟ . . أتــريــدين أن تــسـمـعـي
قصتها ؟ •• لا بأس سأعرفك عليها وستسمعين قصتهـــا
مع هذا الوغد من فمها • قال المدير هذا ونادى : جميلة ،
جميلة ••• تعالي يا جميلة •• تعالي •

وجاءت الخادمة الصبية لتقول : امر يا سيدي ••

قال : هل تعرفين شفيقا ؟

وهمست الخادمة : شفيق وهبي ؟

قال : اجل هو ••

قالت : الله يخرب بيته •• انه سبب تعاستي وشقائي وبؤســـي ••

وفتحت سلمى عينيها دهشة ، وارهفت اذنيها ، وقـــد بدأت الغشاوة تنقشع عن عينيها •

وعاد المدير الى الكلام ليقول للخادمة : اروي للآنسة سلمى قصتك مع شفيق وهبي •

والتفتت الخادمة الى سلمى لتقول : فلينقذك الله من امثال هذا الوغد ايتها الانسة الجميلة •• لقد اعتدى الوغد عليَّ بعد ان اوهمني انه يريد الزواج مني •• وحملت منه سفاحا •• وهددته بالقضاء ، فراح يعمل على اجهاضي •• وعندما اجهضت ، طالبته ثانية بالزواج ، فقال لي ان والدته ارغمته على ان يخطب احدى نسيباته وهي فتاة غنية •

ودهشت سلمى .. قصة جميلة مع شفيق لا تختلف عن قصتها هي ..

وتابعت الخادمة كلامها لتقول : وطلب مني المال .. لم اكن املك سوى الف ليرة جمعتها بعرق الجبين فدفعت بها اليه ، بعد ان اوهمني انه عازم على انشاء محل تجاري كبير .. واخيرا وقفت على حقيقته ، فهددته بالقتل ... وعندما ادرك انني جادة في تهديدي حاول التخلص مني .. فقد حاول قتلي ، فدس لي السم في الطعام .. ولكنني نجوت باعجوبة ..

وبكت الخادمة جميلة وهي تستعيد ذكرياتها مع شفيق ..

ووجمت سلمى .. لقد خدعها شفيق كما خدع هذه الفتاة .. يا له من مجرم سافل وغد ذميم ..

وعاد المدير الى الكلام ليقول : قصتك يا سلمى مع شفيق وقصة جميلة متشابهتان . وهناك غيركما ايضا خدعهن هذا الوغد .

والتفت المدير الى الخادمة ليقول : اذهبي الى عملك يا جميلة .

وذهبت جميلة الى عملها .. والتفت المدير الى سلمى فاذا بها واهية القوى ، صفراء الوجه ، تائهة النظر ... وهمس : سلمى ، انت ضحية هذا الشاب المتهتك الفاجر ..

الان وقد بحت لي بالقسم الاكبر من اسرارك المروعة ، بقي عليك ان تبوحي لي بما بقي من هذه الاسرار ، قولي يـا سلمى •• هل اعتدى هذا المجرم عليك ؟ •• هل افترسك ؟ هل نال منك ما يريد ؟ ••

ولم تستطع سلمى ان تجيب على سؤال المدير ،فاكتفت بأن اشارت برأسها معلنة الايجاب ••

وذعر المدير •• وتمتم وقد عاوده الغضب : هل اعتدى عليك وانت الفتاة العذراء ؟ ••

وعادت الدموع الى الانسكاب على وجنتيها النديتين •• ومسحت دموعها بكفها بعد ان بللت تلك الدمـــوع منديلها واصبح المنديل عاجزا عن مسحها •• وجلست تروي للمدير قصتها كلها مع شفيق •• روت له كيف غرر بها •• وكيف اوقعها في هواه •• وكيف اقتادها الى تلك الـدار في محلة خلده ، وكيف افترسها •• وكيف حملت منـه ، وكيف هرب منها •• وكيف حاولت الانتحار •• وكيـف اصيبت امها بالشلل ثم ماتت ، وكيف حرضها علـــى الاختلاس •• وكيف هرب بها الـــى دمشق •• وكيف دهمهما رجال الشرطة في الفندق في دمشق ، وكيـــف ابعدوهما عن الاراضي السورية •• وكيف عادا الى لبنان •• وكيف حل في دارها على الرحب والسعة •• واخيرا

كيف اغتنمت فرصة نومه ، وخرجت من الـدار لتشخص الى المدير ..

لقد روت سلمى الترك للمدير كل شيء .. كل شيء ولم تخف عنه سراً واحداً، وهمست سلمى وقد أنهت رواية المأساة : ها قد اطلعتك على كل شيء يا سيدي .. لم اخف عنك شيئا .. ان مصيري بيدك .. لك ان ترسلني الى السجن ، لك ان تقتلني ، ان تفعل بي ما تريد يا سيدي. انت هو املي الوحيد .. لم يعد لي من امل سواك ، وقد فقدت كل املي في الحياة .

وتمتم المدير بألم واسى : كم في الحياة من النعـاج التي تسير مع قطعان الذئاب ..

وصمت .. وصمتت سلمى ، وانصرف المدير الـى التفكير والتدخين ، في حين انصرفت سلمى الى البكـاء والنحيب ..

وتكلم المدير بعد صمت طويل ليقول : اسمعي يـا سلمى ، انا سأتصرف حيالك كما اتصرف حيال ابنتي ، لو ان ابنتي وقعت في المأزق الذي وقعت به انت ، لأقدمـت على ما سأقدم عليه الان .. سأنقذ اختك من السجـن ، وسأنقذك ليس من السجن فحسب ، بل من الفضيحـة والعار ايضا ، وسأنقذ غيرك من الفتيات اللواتي سيغـدر بهن هذا الوغد .. ولكن عليك ان توافقي على كل مـا

ابديه من آراء ، وعلى كل ما سأقوم به من اعمال ، وعلى كل ما سأتخذ من تدابير ..

قالت : انا تحت امرك يا سيدي ، عليك ان تأمر ، وعلي ان اطيع ..

وألقى المدير باللفافة من يده ونهض الى الهاتف ليمسك بالسماعة ويتصل بمحامي الشركة ..

ورد المحامي عليه : آلو .. ماذا يريد حضرة المدير ؟..

قال المدير : ارجوك يا استاذ فؤاد ان تحضر الي الان فورا ، انا في انتظارك هنا في داري .

قال المحامي : هل هناك ما يدعو الى حضوري الان ؟

قال : اجل .. هناك امر مهم .. ارجوك ان تسرع في الحضور ..

قال : انني قادم اليك ..

وجاء المحامي الى دار المدير .. وجلس المدير يتحدث اليه على مسمع من سلمى قال : اسمع يا استاذ فؤاد ،الفتاة التي اختلست الثلاثين الف ليرة ليست نجلاء . انها سلمى .

فدهش المحامي وقال : ولكن الادلة كلها تدين نجلاء .

قال المدير : كثيرا ما تخطىء الادلة .. سلمى هي المختلسة ، ولكنني لا اريد مقاضاتها .. يبدو اننا ما زلنا نستطيع استعادة القسم الاكبر من المال المختلس .. لقد استقرت الالوف الثلاثون في جيب شفيق وهبي .. اتعرفه؟

قال المحامي مازحا : وهل هناك من يجهل شفيق بك ؟
وتابع المدير كلامه ليقول : لقد خدع شفيق سلمى ، وغرر بها ، واعتدى عليها ، وحرضها على الاختلاس ، وسلبها المال المختلس .. انا اريد ان انقذ نجلاء . وانقذ سلمى من السجن ، وازج بشفيق وحده في اعماق السجون .. ما هو العمل ؟ .. ما هي التدابير التي يتحتم علينا اتخاذها ؟ ..

وتمتم المحامي : نستطيع ان ننقذ نجلاء ما دامت بريئة ، ولكن سلمى يصعب انقاذها ، فهي قد اختلست المال من صندوق الشركة والقانون يدينها . اذا اردنا استعادة المال علينا ان نقيم الدعوى على المختلس .

قال المدير: أنا لم يعد يهمني المال بقدر ما يهمني إنقاذ سلمى.

وصمت المحامي برهة ليعود الى الكلام فيقول : الامر بسيط . نسقط دعوانا اولا عن نجلاء ، وندّعي باننا وجدنا المال .. ولكن من يضمن لنا بأن نجلاء لا تعمل الى مقاضاتنا وتطالب بالتعويض عليها لقاء ما نالها من امتهان وسجن ؟..
قال المدير : اطمئن .. نجلاء لن تقاضينا .
قال : اذا كنت واثقا من ذلك فالامر سهل ميسور .. تخرج نجلاء من السجن بعد ان نسقط دعوانا عنها وتثبت براءتها .. ثم نعمد الى اقامة دعوى جديدة باسم سلمى

على شفيق .. فندعي باسم سلمى ان شفيقا اعتدى عليها وسلبها مبلغ ثلاثين الف ليرة .. وبذلك ننقذ نجلاء ،وننقذ سلمى ، ويعتقل شفيق ، ويصادر المال منه ..

وابتسم المدير .. ومد يده الى المحامي يصافحه متمتما : انت عظيم يا استاذ .. فلنسرع بالعمل .

ووقف المحامي ليقول : سأشخص فورا الى مكتبي ، لابدأ تنفيذ الخطة المرسومة .. على سلمى ان تلحق بي الى المكتب بعد قليل لتسجل وكالة تخولني بها اقامة الدعوى على شفيق ..

قال المدير : سألحق بك معها الى مكتبك بعد قليل ..

وخرج المحامي .. ووثبت سلمى الى المدير تقبل يده وهي تجهش بالبكاء ..

وقال المدير : اسمعي يا سلمى .. اين هو شفيق الان؟

قالت : لقد تركته في منزلي ؟ ..

قال : انت لن تعودي الى المنزل .. لقد بت اخاف عليك من هذا الوغد .. اذا علم شفيق انك بحت بالسر ، وانه بات مهددا بالسجن ، فهو لن يتورع عن الفتك بك .

قالت : وماذا سأفعل ؟ الى من الجأ يا سيدي ؟

قال : ستظلين هنا في داري .. مع زوجتي وبناتي ريثما نقبض على شفيق ..

وهمست باستسلام وطوع : كما تريد يا سيدي ••• كمـــا تريـــد •

قال : تعالي معي الان الى مكتب الاستاذ فؤاد •

وارتدى المدير ثيابه على عجل •• وخرج بها مـــــن الدار ، ليستقل معها سيارته الخاصة ويقول للسائق : الى مكتب الاستاذ فؤاد ••

وطارت السيارة الفخمة الانيقة بهما الى مكتب المحامي •• وهناك في مكتب المحامي اتخذت التدابير اللازمة من كتابة نصوص عريضتي اسقاط الحق عن نجلاء ، واقامـــة الدعوى على شفيق.وذهبا الى قصر العدل ، ليتقدم المحامي بطلب اسقاط حق الشركة عن نجلاء ، مدعيا ان المبلـــــغ المفقود من الصندوق قد وجد في احد الادراج •• ثـــــم تقدم بدعوى باسم سلمى الترك، يدعي بها أن شفيقاً وهبي اعتدى على موكلته وافترسها ، ثم سلبها مبلغ ثلاثين الف ليرة واحتل منزلها في محلة المزرعة في بيروت •

وقدم طلب اسقاط الدعوى عن نجلاء الى قــــاضي الامور المستعجلة •• وخرجت نجلاء في اليوم التالي مـــن السجن لتجد اختها سلمى ومدير الشركة بانتظارهـــا ••• وتعانقت الاختان وهما تذرفان دموع الفرح ••واصطحبهما المدير الى داره •• وسارت الدعوى الثانية •• دعوى اتهام

شفيق وهبي بالاعتداء والسلب ، واحيلت الاوراق الى رجال التحري •• وذهب رجال التحري الى محطة المزرعة ، الى منزل سلمى الترك ، وقد ايقنوا انهم سيعودون من ذلــك المنزل بشفيق وهبي مكبلا بالحديد •• ووصلوا الى منزل سلمى •• ووقفوا يطرقون الباب ، الا انهم لم يلقوا جوابا •• واعادوا الطرق ، ولكن دون جدوى •• فلم يكن ثمة من مجيب •

٢٠ مطاردة الذئب

وقف رجال التحري امام باب منزل سلمى الترك على حيرة ووجوم .. المحامي وكيل المدعية سلمى الترك يقول في دعواه : « .. بعد ان اعتدى المتهم عليَّ وسلبني اموالي ، احتل داري ، فخشيت ان يعاود الاعتداء عليَّ فهربت من الدار » ماذا يعني هذا ؟ .. يعني ان شفيقا يقيم في دار المدعية ... وهذه هي دار المدعية .. سلمى الترك، والمتهم داخل الدار ، فلماذا لا يفتح الباب ؟ ..

وتشاور رجال التحري وتساءلوا : ماذا علينا ان نفعل؟ هل نحطم الباب وندخل الى الدار ؟ ام نعود ادراجنا وننتظر الفرصة السانحة لاقتحام هذه الدار بعد ان نتأكد من وجود المتهم بداخلها ؟ ولكن اذا كان شفيق وهبي داخل

الدار الان هل ينتظر عودتهم ليعتقلوه ويقودوه الى السجن ؟ لا ، المؤكد انه سيركن الى الفرار عندما يبتعدون عن المنزل .. ماذا عليهم ان يفعلوا اذن ؟ ..

وعادوا الى الاسئلة والتشاور .. وارتأوا اخيرا ان يظل اثنان منهم امام تلك الدار يراقبانها ليحولا دون هرب شفيق ، ويذهب الثالث الى مختار الحي ويعود به ليكون اقتحام الدار باشراف المختار ..

ونفذوا الخطة فورا ..فأقام اثنان منهم قرب تلك الدار يرقبانها بكل حذر واهتمام ، واسرع الثالث الى دار المختار ليطلب اليه مرافقته الى منزل سلمى الترك .

ولبى المختار الدعوة فورا ، فهو موظف في الدولة ، وعليه ان يشرف على كل التدابير التي تتخذ في منطقته.. وسار المختار برفقة رجل التحري الى دار سلمى الترك .. وبحضور المختار وقف رجال التحري الثلاثة يطرقون الباب مجدداً . . ولم يلقوا جواباً . . فعلت أصواتهم : «افتح الباب يا شفيق وهبي باسم القانون » الا ان الباب لم يفتح واعادوا الطرق ، ولكن دون جدوى ..

واخيرا حطموا الباب ودخلوا وهم يشهرون مسدساتهم، وقد خيل اليهم ان شفيقا مختبىء في احدى غرف الدار ، وانه ينتظر دخولهم عليه لينهال عليهم بالرصاص ..وراحوا يفتشون في انحاء الدار باحثين عن المتهم ، الا انهم لم

يقفوا له على اثر .. وتأكدوا ان شفيقا افلت من ايديهم ، لقد ركن الى الفرار ..

والحقيقة هي ان شفيقا كان قد ركن الى الفرار .. عندما افاق من نومه لم يجد سلمى ، فخيّل اليه ان سلمى شخصت الى السوق لشراء بعض الاغراض ، واقام ينتظر عودتها ، الا ان انتظاره طال وسلمى لم تعد ، وبدأ الليل يرخي سدله القاتمة على بيروت ، ليرخي معها على قلب شفيق الهواجس والقلق والاضطراب .. وانتصف الليل ، وسلمى لم تعد ، فتأكد شفيق وهبي ان سلمى شخصت الى مدير شركة الاستيراد والتصدير لتنقذ اختها نجلاء ... لتنقذ اختها ؟..

يا لها من فتاة مجرمة شريرة غادرة ، أتنقذ اختها لتلقي به هو في اعماق السجون ؟ .. مجنونة .. هو لن يدعها تغدر به ، لن يدعها تلقي به في السجون ، سيعمد الى الهرب وسيكون حساب سلمى عسيرا لديه .. وعمد شفيق الى الهرب .. مع بزوغ الفجر البعيد ، ارتدى شفيق وهبي ثيابه وخرج من منزل حبيبته سلمى واطلق ساقيه للريح .. وعندما اقبل رجال التحري في الصباح كان شفيق قد اصبح في مأمن من كل خطر ..

وادرك رجال التحري ان العصفور افلت من القفص ، وأيقنوا أنه بات عليهم أن ينصبوا له الشرك مجدّداً ،

فانصرفوا الى نصب الشرك •• وراحوا يقتفون اثره ••• بحثوا عن منزله ، فعلموا ان شفيقا يقيم في منزل بشـارع كليمنصو في بيروت ، وشخصوا الى ذلك المنزل ، الا انهم لم يقفوا على اثر لشفيق في ذلك المنزل •• وبحثوا عن رفاقه المقامرين ، واعتقلوا البعض منهم الا ان الرفاق لم يستطيعوا ان يرشدوا رجال التحري الى مقر الرفيق العزيز ••فأطلق سراحهم ••

وعاد رجال التحري الى رئيسهم يعرضون عليه نتيجة الابحاث والتفتيش •• وعقد المفوض اجتماعا سريا مـع رجاله واستمع الى آرائهم ووقف على كل ما قام به رجاله من ابحاث وتحريات وتفتيش وتدابير •• واستغرق المفوض في التفكير ••

واخيرا التفت الى رجاله بعد تفكير طويل ليقـول : « اذا طار العصفور من القفص وجب علينا ان ننصب لـه الشرك ، ان نلقي له الطعم • علينا ان نبحث عن طعـم للعصفور • ابحثوا معي عن الطعم •• اين هـو الطعم •• وبحثوا معه عن الطعم •• ووجدوه •• وهتفوا : « لقـد وجدنـا الطعم » •

وما هو الطعم ؟ •• او بالاحرى من هو الطعم الذي سيلقى لشفيق وهبي؟.. قـالـوا: «إنها سـلمى الـترك. سلمى هي الطعم » • سيلقي رجال التحري الطعم لشفيق

ليقوده الى الفخ •• وألقوا الطعم • اسرعوا الى دار مدير شركة الاستيراد ، حيث تقيم سلمى واختها نجلاء ••وخلوا بسلمى وقالوا لها : اسمعي يا سلمى ، يبدو ان المجرم ركن الى الفرار وقد بدأ يسيء الظن بك • يجب ان تعودي الى دارك ••فاضطربت سلمى ووجمت ، رجال التحري يعلنون لها رغبتهم في عودتها الى الدار ، وهمست بخوف : قد يعود شفيق الى داري ويفتك بي • لقد بت اخشاه بعد ان علم انني وشيت به •

فأطلقوا الابتسامة ، وهمس كبيرهم : هذا ما نريد •• لا نريد ان يفتك بك ،لا ، ولكننا نريد ان يعود الى دارك • لا تخافي ايتها الانسة سلمى.هو لن يستطيع ان يمسّك بسوء ونحن عيون ساهرة عليك •

قالت والخوف يطل من عينيها : ارجوكم ان تدعوني وشأني ، انا لا استطيع القيام بهذه المهمة •• ارجوكم ، ارجوكم•••وبدت سلمى الترك في قلق وعياء ووهن ، فالمصائب توالت عليها دفعة واحدة •

لقد اكتشفت حقيقة حبيبها شفيق ، استطاع شفيق ان يخدعها ، وان يوهمها انه مخلص في حبها ، وفيٌ في غرامها ، واذا بالحقيقة الناصعة البياض تنكشف لها ، وتعلم انه مجرم محتال خائن وغد •• وهدت المصائب النازلة بها قواها ، ورمتها بالوهن وبالعياء • واستبد بها الخوف

ورجال التحري يطلبون اليها ان تكون « الطعم » لوقـوع النذل الوغد في الشرك •

وراح رجال التحري يعملون على تهدئة خاطرهـا وعلى اشاعة الاطمئنان في قلبها •• قالوا : لا تخافي ، هو لن يستطيع ان ينالك بسوء • نحن سنكون قربـك ••• اطمئني ايتها الانسة سلمى ، اطمئني •• وطمأنوهـا •• فنزلت عند طلبهم •

واصطحب رجال التحري سلمى ، وخرجوا بها مـن دار المدير ، واوفدوها الى دارها ، وقالوا : عودي الـى دارك ، وتظاهري بالاطمئنان • افتحي النوافذ والابـواب وقومي باعمال المنزل كالمعتاد •• من المؤكد ان شفيقـا يراقب دارك • وهو عندمـا يشاهد النوافذ والابواب مشرعـة، سيعمـد إلى الـدخـول... فهمت : ويثيب إليّ، ليفتك بي وينتقم مني •• قالوا : لا تخافي ، نحن سنكون حول الدار ، ما ان نشاهده يدخل عليك حتى نثب اليـه ونعتقلـه ••

وعملت برأيهم ، ودخلت الى منزلها لتشرع النـوافذ والابواب ، وتقوم بتنظيف اثاث المنزل • واقـام رجـال التحري يراقبون باب المنزل بكل حذر واهتمام •• وطالت مراقبتهم دون جدوى • ومضت الساعات الاولى من النهار ولم يبن لشفيق وهبي اي اثر ، وانتصف النهار وشفيق لم

يطل ، وبدأت الشمس تميل الى الغروب وشفيق لم يقبل•• وارخى الليل سدله على بيروت ، وبدأت مواكب النــور تندحر امام جيوش الظلام ورجال التحري في وقفتهم امام منزل سلمى ، وشفيق لم يحقق الامال ، ولا هو جاء الــى ذلك المنزل الصغير القائم في محلة المزرعة ••

وتساءل رجال التحري : ماذا ؟ •• هل يخيب الامل ويضيع الطعم وينجو شفيق من الوقوع في الشرك ؟ •• وبدأ الامل يتضاءل في قلوب رجال التحري ، يبــدو ان شفيقا توارى عن لبنان ، وقد خشي الوصول الى السجن بعد ان تأكد من افتضاح امره •• ولكن الى اين سيهــرب شفيق ؟ هو هو سيجتاز الحدود الى سوريا ؟ •• مستحيل• دخوله الى الاراضي السورية محظر ممنوع ، فهــو قــد اعتقل ملتبسا بجريمة خلقيـة . قبض عليه في غرفة واحدة مع سلمى فأبعدا معا عن سوريا •• اذن هو لا يجرؤ علــى العودة الى سوريا •• الى اين سيهرب ؟ •• هل يغــادر لبنان الى اوروبا ؟ الى اميركا ؟ الى افريقيا ؟ لا ، مستحيل ، ان السفر الى اي بلد او الى اي قطر يتطلب معامـــلات عديدة ، وشفيق لم يجد الوقت الكافي لأنجاز تلـــك المعاملات ••

من المؤكد ان المجرم ما زال في لبنان • وما دام في لبنان ، فهو سيحاول الاتصال بسلمى ، واذا ارادوا اعتقاله

فما عليهم الا ان يمضوا في مراقبة سلمى .. ومضوا في المراقبة ، وظلوا يجوبون ذلك الشارع الطويل الفسيح الارجاء وعيونهم هناك : على باب الدار ، وعلى النوافذ المشرعة وفي الانوار الساطعة المنبعثة من تلك النوافذ .

ومضت الساعات الاولى من الليل ، ورجال التحري لا ينفكون يدورون حول منزل سلمى ويراقبون ... وبدأ النعاس يتعاون مع التعب والارهاق عليهم ، لقد طالت مراقبتهم فانهكهم التعب وهد قوامهم النعاس .. وعادوا الى التساؤل وقد اقترب الليل من الانتصاف : ماذا ؟ هل نمضي في المراقبة ام نعود ادراجنا ؟ .. ورأوا ان يمضوا في المراقبة ، وعزموا على البقاء في ذلك الشارع حتى يبزغ الصباح .

وما نزل برجال التحري من تعب ونعاس ، نزل ايضا بسلمى الترك ، فقد انهك النعاس قواها واعياها التعب ، واتعبتها الهواجس المقلقة السوداء .. واحتارت سلمى في امرها : ماذا عليها ان تفعل وقد انتصف الليل .. هل تلجأ الى سريرها وتستسلم للرقاد ؟ .. ام تراها تخرج من المنزل وتعود الى دار المدير ؟ .. هل تطفىء النور ؟ .. هل تقفل النوافذ والابواب ؟ .. ماذا عليها ان تفعل ؟ .. ليست تدري . ليست تدري .. وقاومت سلمى النعاس .

وحاولت التغلب على التعب والعياء ، الا انها عجـزت •• ورأت اخيرا ان تلجأ الى السرير •• ولكن هل تقفـــل النوافذ والابواب ، ان رجال التحري طلبوا اليها ان تترك النوافذ والابواب مشرعة ، ووعدوها بالحماية •• فهـل ينفذ رجال التحري وعدهم ؟ •• ليست تدري •• ليست تـــدري •

واستغرقت سلمى في التفكير •• ورأت ، بعد تفكير طويل ان تعمد الى اقفال النوافذ والابواب اقفالا محكما ثم تلجأ الى سريرها وتستغرق في النوم •• اقفال النوافذ والابواب يضمن لها السلامة •• هي لا تستطيع ان تواصل السهر حتى الصباح ، ولا تستطيع ان تنام وتترك الابواب والنوافذ مفتوحة وتعرض نفسها للخطر ••

ووقفت سلمى ، واتجهت الى النوافذ والى الابواب تقفلها ثم تنزع عنها ثيابها وتستلقي في سريرها محــاولة الاستسلام للنوم وللراحة •• الا ان النوم ابتعد عنها وقد حاولت الاقتراب منه ، ما ان استقلت في السرير حتـــى دهمتها الهواجس والافكار السوداء •• وراحت تفكر •

لقد ورطت نفسها في مأزق قد لا تستطيع الخروج منه •• ترى هل يوفق رجال التحري في اعتقال شفيق ؟ •• واذا لم يوفقوا في اعتقاله ، ماذا سيكون موقفها ؟ ••وكيف

ستستطيع اتقاء انتقام شفيق ؟ •• ليست تدري ، ليست تـدري ••

وانغمست سلمى في تفكيرها ، وفي اوهامها ، وفـي هواجسها •• وحاولت طرد تلك الهواجس والافكار القاتمة السواد عن وسادتها فلم تستطع ، فراحت تتقلب فـي سريرها وكأنها تتقلب على نار وشوك وابر •• وفجـأة سمعت سلمى صرير مفتاح فأرهفت اذنيها • هل هي فـي حلم ؟ لا ههي لا تحلم ، هناك من يحاول فتح باب الدار • ومن تراه يجرؤ على فتح باب دارها ؟ •• او بالاحرى من تراه يحمل مفتاح الباب غير شفيق ؟ •• ايكون شفيق قد جاء لينتقم منها ؟ •• واستوت في السرير •• وعـادت الى ارهاف اذنيها ، فاذا بالصرير يتعالى في مسمعها •• وفتح الباب ، باب الدار الخارجي •• وسمعت وقع قدمين تسيران باتئاد نحو غرفتها ••

واخذت ترتجف من الخوف : لقد تأكدت من انهـا ليست في حلم ، ومن ان ثمة انسان دخل الى دارها ، ومن ان ذلك الانسان يتجه الى غرفتها •• اسنانها تصطك مـن الفزع ، وسَمرت عينيها الجاحظتين في باب الغرفة •• واذا بوقع القدمين يقترب رويدا رويدا من غرفتها ••

وتوقف صاحب الخطوات المتئدة امام الباب ، فاشتد الذعر والقلق والخوف بها •• وحاولت الصراخ ، حاولت

الاستنجاد ، حاولت اطلاق صيحة او صرخة فلم تستطع ، لقد تكسر الصوت على شفتيها ..

واذا بالباب يفتح ويطل منه شفيق . وازداد اضطراب سلمى وازداد وجومها ، واشتد الخوف والذعر بها وهي تشاهد شفيقا ينتصب عند عتبة باب الغرفة وابتسامة الهزء تطفو على شفتيه .. كانت ابتسامة غامضة ، ابتسامة لا لون لها ولا شكل ، يلوح منها الهزء ، وتطفو عليها السخرية ، ويغمرها الغضب الشديد .

وتقدم من السرير بخطوات متئدة قلقة .. ووصل قرب السرير ، ودون ان يلقي عليها التحية ، اخرج من جيبه علبة التبغ وقدم لها لفافة . وابت سلمى ان تمد يدها الى اللفافة ، فهمس : « خذي .. دخني .. » قالها بلهجة آمرة .. واستطاعت ان تتمتم : شكرا .. والقى بلفافة بين شفتيه واشعلها .. وجلس على المقعد ، ورفع رجليه الى المقعد الاخر .. ونفث دخان اللفافة في الفضاء.وتمتم : كيف حال المدير ايتها الانسة سلمى ؟ .

وحاولت سلمى الرد على السؤال فلم تستطع ، او تجب ..

بالاحرى هي لم تستطع ان تختار الجواب ، لم تعرف بماذا تجيب. واتسعت الابتسامة الهازئة على شفتي شفيق وتمتم :

هل هو بخير ؟ •• ومضت سلمى في صمتها الواجم العميق وقهقه شفيق وزأر : انت تلعبين بالنار يا سلمى ، وما سلم يوما من الحروق ذاك الذي يلعب بالنار •• قال هذا ووقف ••ونظرت سلمى اليه فاذا بابتسامة الهزء تتحول الى غضب شديد •• وجحظت عيناه ، وتقدم منها ليقول بغضب :كيف تخرجين من المنزل دون علمي ؟ •• كيف تغتنمين فرصة نومي لتهربي من المنـزل وتشخصي الى مدير شركة الاستيراد والتصدير ؟ اتغدرين بي ؟ اتطعنينني في الظهر ؟ أيخيل اليك ان شفيقا لقمة سائغة تزدردينها ساعة تريدين ؟ لا والله ، شفيق وهبي لايطعن في الظهر ، شفيق لا يغدر به ، شفيق لا ينام على الضيم ••

واستطاعت سلمى ان تتكلم بعد جهد ، استطاعت ان تقول : شفيق ! •• لقد كنت مرغمة على انقاذ اختي ؟ • فتمتم بغضب شديد : ماذا قلت للمدير ؟ اريد ان اعلم ماذا قلت له ؟ •• قولي الحقيقة • قولي لي ماذا قلت له يا مجرمة ؟.فتمتمت بخوف ووجل ووجوم : لقد قلت له ان نجلاء بريئة •

قال وهو ينفث دخان لفافته بغضب : وماذا بعد ؟ •• ماذا ؟ لقد اعترفت له بأنك اختلست المال وسلمتني اياه ، اليس كذلك ؟

واشتد الذعر بسلمى وهي تشاهد شفيقا في قمة غضبه .. هي لم تشاهد شفيقا يوما في مثل تلك الحال ، كان دائما ذلك الشاب اللطيف الوديع . كان يظهر لها الحب والعطف والحنان ، لم يكن يكلمها بسوى كلمات الهوى والشوق والحنين ، فما باله اليوم ينقلب الى الشراسة والغضب والثورة فيتكلم كما يتكلم المجرمون ؟ لقد كان الذئب يرتدي ثوب الحمل .. عندما نزع الثوب عنه برز الذئب مكشرا عن انيابه الناتئة ، متحفزا للافتراس ..

واخذت سلمى ترتجف من الغضب وهي تشاهد شفيقا يقترب منها والغضب الشديد يطل من عينيه ... واصبح على مقربة منها ، ورفع يديه الى عنقها ، ليطبق بهما على ذلك العنق الندي ويشده زائرا : قولي .. ماذا قلت للمدير يا فاسقة ؟ ماذا ؟ ماذا ؟ ماذا...وشعرت سلمى بانفاسها تضيق .. وكادت تختنق ، وراحت تعمل على رفع يدي المجرم عن عنقها الا انها لم توفق .. واذا بالطرق يتعالى على الباب .. وذعر شفيق وهبي للمفاجأة .. وتمتم وقد ابتعد عن سلمى:من هو الطارق ؟ ولم تجب سلمى . فهي تعرف من هو الطارق ، تعرف ان رجال التحري في الباب . لقد بروا بوعدهم ووثبوا الى نجدتها . الحمد لله . فهم قد اقبلوا في الوقت الحرج وانقذوها ..

اقذوها ؟ لا ، لا هم لم ينقذوها بعد •• ومن يدري ؟ قد لا يستطيعون انقاذها ••

وعاد الطرق يتعالى ، وعاد شفيق الى التمتمة في اذن سلمى : من هو الطارق ؟ قولي يا مجرمة...ولم تقـــل « المجرمة » •• لم تفه بحرف •• واذا بصوت احد رجال التحري يرتفع ليقع في اذني شفيق كصوت العاصفــة الهوجاء : « افتحوا باسم القانون •• اذا لم تفتحوا فنحن سنحطم الباب » •• وذعر شفيق وقد علم من هو الطارق •• انهم رجال الامن اقبلوا ليلقوا القبض عليه • اتــراه وقع في الشرك ؟ ••

وتراجع شفيق الى الوراء والذعر يستبد به •• وشهر مسدسه • هو لن يقع في ايديهم • لا ، سيدافع عن نفسه ، عن حريته ؟ شفيق لن يستسلم لرجال الامن ، ولن يمد لهم يديه ليضعوا القيود في يديه ••

وعاد الطرق يتعالى بشدة على الباب.وعاد صــوت رجل التحري يتعالى مع الطرق : « افتحوا الباب •• افتحوا الباب » • ووقفت سلمى ، وهمت بالتقدم نحو الباب فمــا كان من شفيق الا انه وثب اليها ليمسك بشعرها ويدفعها الى الوراء هامسا : اياك ان تتقدمي من الباب • اذا حاولت فتحه فالرصاص سيلهب دماغك •

وشعرت سلمى بدوار شديد وهي تشاهد المسدس في

يد شفيق ، لقد تأكدت الان من ان شفيقا مجرم سفاح .. كل ما قال المدير صحيح اذن .. لقد خدعت بشفيق .خيل اليها انه شاب نبيل شهم شريف ، فاذا بها تكتشف انـــه مجرم وغد شرير .. واسندت ظهرها الى الحائط وقـــد خشيت الوقوع على الارض ..

ووقف شفيق والمسدس في يده يفكر .. ماذا عليه ان يفعل ؟ .. هل يحاول الهرب ؟ .. وكيف سيحاول الهرب وليس ثمة من منفذ آخر لذلك المنزل سوى باب واحد ، ورجال التحري يقفون في ذلك الباب .. هـــل يقاوم ؟.. من المؤكد انه لن يستطيع المقاومة حتى النهاية ؟ .. هـــل يستسلم ؟ .. ولكن الاستسلام معناه الوصول الــــى السجـــن ؟ .

هل يفتك بسلمى فيطلق الرصاص عليها وينتقم منها ؟ ولكن .. ولكن الانتقام منها لن يقوده الى السجن فحسب، بل هو سيصل به الى الاعدام .. ماذا عليه ان يفعل ؟ .. ماذا عليه ان يفعل ؟ .. الموقف دقيق ، وعليه ان يسرع في اتخاذ القرار الحازم الجازم السريع .. وكان صوت رجل التحري لا يزال يتكسر في اذني شفيق ليزيده خوفا ورعبا ووجوما ..

ورأى اخيرا ان يبتعد عن العنف ، والعنف لن يجديه نفعا .. فأسرع الى النافذة يفتحها ، ويلقي بالمسدس الـــى

الشارع العام •• ثم يعود الى سلمى ليقول لها : افتحـــي البـــاب ••

ودهشت سلمى للانقلاب المفاجيء فيشفيق •• منـــذ لحظات كان يدعوها الى الأبتعاد عن الباب ، كـــان يهددها بالقتل ان هي اقدمت على فتح الباب •• والان يدعوها الى فتحه •• ودون ان تجيب بحرف تقدمت سلمى من البـــاب بقدمين واهيتين ، مرتجفتين وفتحته ••

ودخل رجال التحري والمسدسات في ايديهم ... وصرخوا وقد اصبحوا في صحن الدار : شفيق وهبي !.. ارفع يديك..ورفع شفيق يديه ، وقد تهيب الموقف وادرك ان لا سبيل للمقاومة ولا للعنف ، وهناك ثلاثة مسدسات مصوبة الى رأسه .. وتمتم وهو رافع يديه : ماذا تريدون؟ لماذا تزعجون الناس في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ ... ولم يردوا على سؤاله .. بل تقدموا منه يحيطون به .. واخرج احدهم القيود من جيبه ليكبل بها يدي شفيق وهبي ..

وتنفست سلمى الصعداء وهي تشاهد شفيقا مكبل اليدين ، واقفا بين رجال التحري على ذل ووهن وانكسار وفتش رجال التحري جيوب شفيق فلم يعثروا فيها على سوى ورقات نقدية قليلة وعلى علبة تبغ وقلم حبر ،ونظارتين وعلبة ثقاب ومنديل .. وانصرفوا الى تفتيش المنزل ، الا انهم لم يعثروا في ذلك المنزل على سوى اغراض وثياب الاختين البائستين .. واقتادوا شفيقا الى السجن ، تمهيدا للتحقيق معه واثبات الجرائم المتهم بارتكابها .

٢١ مجرم عريق

حاول شفيق دفع التهم الموجهة ضده ، بكل ما لديه من مكر وخبث ودهاء ، الا انه لم يستطع دفع تلك التهم وهي لاصقة به .. فهو متهم بالاعتداء على سلمى . وسأله المحقق : ماذا تقول في هذه التهمة يا شفيق ؟ . واجاب : لا .. انا لم أعتدِ عليها ، لم افترسها . قال المحقق :رجال الامن دهموا المنزل الذي اعتديت فيه على سلمى في محلة خلده .. واعتقلوا صاحبة الدار ، واكتشفوا ان تلك الدار كانت وكرا للرذيلة والفسق والفجور .. وبالتحقيق مع صاحبة تلك الدار اعترفت بأنك « زبون » قديم ..وعرضنا عليها سلمى الترك فقالت : هذه الفتاة رافقت شفيقا ذات

ليلة ممطرة الى داري وقضت الليل معـه في غرفـة ذات سرير واحـد .

قال شفيق محاولا المضي في محاولة التملص : صاحبة الدار تكذب ، انا لا اعرفها ولم ازر دارهـا .. وضغط المحقق على الجرس فأقبل الحاجب .. وقال المحقق : احضر الي الموقوفة عفيفة العربجية .. وذهب الحاجب ليعود بعد قليل يقود امامه عفيفة ..

وما ان وقعت عينا المرأة على شفيق حتى صرخت به : قصف الله عمرك يا شفيق .. لولاك لما وصلت الى هـذه الحال .. انت هو الذي اوصلتني الى هنا ايها الوغد .. وابتسم المحقق ..والتفت الى شفيق ليقول : ما هو رأيـك يا شفيق ؟ . الا تعرفها ؟ ..

وغمر الشحوب وجه شفيق .. وتلعثم وهو يتمتم : اعرفها يا سيدي .. لم يعد بوسعه الانكار .. قال المحقق: هل تعترف بأنك اعتديت على سلمى الترك ؟ . هل يعترف؟ وهل له ان ينكر بعد ان صفعه المحقق بالبرهان القـاطع السـاطع ؟ .. قال : الحقيقة يا سيدي هي انني لم اعتـد على الفتاة .. هي التي دفعتني الى الاعتداء عليها .الجرم لا يقع علي بل هو يقع عليها هي ..

وتمتم المحقق : كلكم تدعون بأن الفتاة هي التـي دعتكم لافتراسها .. الفتاة دائما الضحية .. النعجةالذبيح

لا تستطيع الدفاع عن نفسها •• ان الجرم وقع يا شفيق ، لقد اعتديت على الفتاة ، أليس كذلك ؟ •

فصمت شفيق وهو لا يعلم بماذا يجيب ••

واستأنف المحقق الكلام ليقول: يجب أن تعترف يا ابني •• الاعتراف يخفف من وطأة الجرم •• قل : ألست انت المعتدي ؟ قال : لقد قلت لك يا سيدي ، لم يكن هناك اعتداء •• هناك جريمة وقعت باختيار الاثنين ، بموافقتي وبموافقتها •• قال : اذن انت هو المجرم الذي نبحث عنه •• انت ذهبت مع سلمى الى دار عفيفة العربجية في محلة خلده ، وقضيت ليلتك معها في تلك الدار ••

ولم يكن ثمة بد من الاعتراف ، لم يكن شفيق وهبي يستطيع ان يدفع التهمة عنه فتمتم : هذا صحيح يا سيدي • والتفت المحقق الى الكاتب ليقول : سجل اعتراف المتهم •• وسجل الكاتب •• ومضى المحقق في التحقيق مع شفيق ليقول : لقد انتهينا الآن من جريمة الاعتداء •• وامامنا جريمة السلب والاحتيال •• ان المدعية تتهمك بسلبها مبلغ ثلاثين الف ليرة •• ماذا تقول في هذه التهمة ؟

وعاد الوجوم ليغمر وجه شفيق •• وانغمس في تفكير بعيد بارد عميق • هل تجرأت سلمى على اتهامه بالاحتيال عليها ؟ •• هل تملك الجرأة على الإدلاء بأنه سلبها الالوف الثلاثين ؟ يا لها من فاسقة مجرمة شريرة ••

ماذا عليه ان يفعل الان ؟ بماذا سيجيب على اسئلة المحقق ؟ هل يعترف بالجريمة الثانية كما اعترف بالجريمة الاولى ؟.. لا ، هو لن يعترف بالسلب ، لن يعترف بالنصب ، لن يعترف بالاحتيال .. في الجريمة الاولى لم يستطع الانكار فهناك عفيفة العربجية قطعت عليه طريق الانكار ، اما في الجريمة الثانية ، في جريمة السلب والاحتيال ، فليس ثمة ما يثبت ارتكابها . هو يستطيع ان ينكر وان يمضي في الانكار .

قال بعد صمت قصير : لا يا سيدي . لا ، انا لم اسلب سلمى ثلاثين الف ليرة .. الحقيقة هي العكس . سلمى ابتزت اموالي وسلبتني كل ما املك . قال المحقق انت الان عاطل عن العمل ؟ اليس كذلك ؟ فوجم . المحقق احرج موقفه .. هو لا يستطيع الانكار ، عليه ان يجيب على سؤال المحقق بصدق كامل . قال : اجل ، انا عاطل عن العمل ...قال : لقد ثبت لنا انك تنفق المال ببذخ واسراف .. من اين تحصل على المال يا شفيق ؟ هل نستطيع ان نعلم ذلك ؟.. قال : انا صحيح عاطل عن العمل يا سيدي . انا لا اقوم بعمل معين ولكنني اقوم من حين الى آخر بصفقات تجارية تدر عليّ المال الوفير .

قال المحقق : هل تستطيع ان تذكر لي صفقة واحدة من هذه الصفقات ؟ هل تستطيع ان تحدد لي مبلغا تقاضيته

من تاجر لقاء القيام بصفقة تجارية معه ؟

فازداد شفيق وجوماً .. لا ، هو لا يستطيع ان يدعم انكاره بالبراهين ، لا يستطيع ان يذكر اسم تاجر ، ولا ان يحدد مبلغا من المال تقاضاه من تاجر ..

اذن هو واقع في الشرك حتما .. ولكنه لن يقع وحده ، لا .. يجب ان تقع سلمى معه .. هو لن يذهب وحده الى السجن . سيعمد الى ارسال سلمى قبله . قال : ولكن يا سيدي من اين لسلمى المال كي تنفقه علي ؟ .. ان سلمى الترك كانت موظفة في شركة الاستيراد والتصدير .. ومرتبها ضئيل محدود قد لا يكفيها ولا يكفي اختها ثمن ثياب وطعام .. فكيف حصلت سلمى على مبلغ ثلاثين الف ليرة لبنانية ؟ . فلتثبت اولا حصولها على المبلغ كي استطيع ان اثبت لكم براءتي .

فادرك المحقق انه حيال مجرم عريق في الاجرام ، والتفت الى المتهم ليقول : ليس لك ان تطلب مثل هذا الطلب . الفتاة تدعي انها كانت تملك ثلاثين الف ليرة .. قد تكون ورثتها عن والدها ، قد تكون قامت — مثل حضرتك بصفقة تجارية ، قد تكون ربحت ورقة يانصيب.. ليس لك ان تطلب اثبات وجود المبلغ مع الفتاة ، بل عليك ان تثبت براءتك من السلب والنصب والاحتيال . انت متهم وعليك ان تدفع التهمة عنك بالبراهين الساطعة او ان

تعترف بالحقيقة .. انني انصحك بالاعتراف ، فالاعتراف يخفف الجرم عنك ويثير الشفقة والرحمة عليك ..

ومضى شفيق في الانكار ، واصر على براءته من هذه التهمة ، وهو لا يجهل ان الادلة غير متوفرة لدى المحقق لاداتته فقال : ابدا يا سيدي انا لم اسلبها ولا ليرة واحدة .. صحيح انني ارتكبت هفوة معها ، واي شاب لا يرتكب مثل هذه الهفوة اذا وجد مع فتاة يحبها في غرفة ذات سرير واحد ؟ الا انني لم اسلبها المال ولم امد يدي الى ليـــرة واحدة من ليراتها ، انا كنت اشفق عليها لانها فتاة بائســة وكنت انفق عليها وعلى اختها من مالي الخاص ..

قال المحقق : انا اريد ان اصدقك . وانا اوافقــك على ادعائك ولكن اريد ايضا ان اعلم من اين تحصل على المال ؟ . اريد ان اعلم ما هو موردك ؟ وما هو عملك ؟ . ومن اين تجني الاموال الطائلة لتنفق بيذخ وباسراف مــا بعده من اسراف ؟. اثبت لي حصولك على المال مــن اي جهة ، كي اطلق سراحك فورا .

فادرك شفيق ان موقفه حرج . هو لا يستطيع الاثبات لايستطيع ان يثبت براءته للمحقق . الا انه يستطيــع ان يمضي في الانكار ، والتهمة تظل بعيدة عنه مادام هو بعيدا عن الاعتراف ..

وحاول المحقق جاهدا انتزاع الاعتراف من فم شفيق

فأخفق ، فقد اعتصم شفيق بالانكار لا يخرج عنه ، واصر على انه لم يسلب سلمى المال ، وعلى انه بريء من التهمة التي تحاول الفتاة إلصاقها به • وانه كان يشفق على سلمى وعلى اختها وينفق عليهما من ماله الخاص •• وشفيق كان يعلم ان سلمى ستضطر الى الاعتراف باختلاس المال من الشركة كي تستطيع ادانته •

اذا ارادت سلمى ان توصله الى السجن فما عليها الا ان تقول : انا اختلست مبلغ ثلاثين الف ليرة من صندوق الشركة التي اعمل فيها •• وفي هذه الحال يتحتم عليها ان تدخل معه الى السجن •• لا بأس •

اذا اقدمت سلمى على هذا الاعتراف ، فهي تستطيع ان تثبت التهمة ، وان تدخله الى السجن ، ولكنه لا يدخل وحده ، بل يدخل معه سلمى •• شفيق لن يدخل الى السجن الا وقد اطمأن الى ان سلمى دخلت اليه قبله ••

ومضى المحقق في محاولة انتزاع الاعتراف من فم شفيق فقال : اسمع يا شفيق • مصيرك السجن على كل حال • اعترافك بالسلب لا يؤثر في موقفك • وانكارك لا يبعد عنك ظلام السجون • انت اعترفت باعتدائك على الفتاة وبافتراسها ، وهذا يكفي لايصالك الى اعماق السجون •

وبكل هدوء • وبكل رصانة ، وبكل اطمئنان تمتم

شفيق : لا ياسيدي • لا •• ان التهمة لا تصل بي الى السجن • انا لم ارتكب جريمة ، لقد ارتكبت هفوة ، والهفوة تلك لم ارتكبها وحدي ، ولست وحدي مسؤولا عنها • لقد ارتكبتها مع المتهمة •• نحن الاثنين ارتكبنا الهفوة وعلى كل فأنا مستعد للتكفير عن هفوتي •• انا مستعد للزواج من سلمى ••

فوجم المحقق •• شفيق مجرم كبير يعرف كيف ينقذ نفسه •• اذ اصر على انكار التهمة الثانية ، واذا مضى في اعلان عزمه على الزواج من سلمى ، فهو سيبتعد عن السجن •• وكان المحقق متيقنا من الجريمة ، كان قد قرأ بحكمته وبفراسته ، وبذكائه الاسرار التي تكمن في صدر هذا المجرم الماثل امامه ، ولكن اليقين لا يكفي وهناك القانون ، القانون سيكون في جانب شفيق ان هو مضى في الانكار ، وان هو اقدم على الزواج من الفتاة التي اعتدى عليها ••

وابى المحقق ان يتوقف في التحقيق مع شفيق عند هذا الحد، أبى أن يحيل شفيقاً إلى القضاء لمقاضاته قبل ان ينتزع الاعتراف من فمه •• وعزم المحقق على المضي في التحقيق مع المجرم الضال حتى النهاية ••

وعزم شفيق ايضا على الاعتصام بالانكار حتى النهاية •• الاصرار على الانكار ينقذ شفيقا من السجن ،

ويدفع عنه التهمة ، ويعيد اليه سلمى الترك التي تريـــد الهرب من بين يديه • هو سيمضي في الانكار ، لن يعترف شفيق ، لا لن يعترف بالجريمة ، هو سيصر على الانكـــار وينجو من السجن ، ويتزوج من سلمى ••• وعندئذ بعد ان يتزوج منها ، وتصبح زوجته يبقى لكل حادث حديث •

٢٢

محاولة إنقاذ

وقف محامي الشركة على تفاصيل التحقيق مع شفيق وحمل تلك التفاصيل الى المدير قائلا له : شفيق وهبي اعترف بالاعتداء على سلمى ، الا انه انكر تهمة السلب والاحتيال .. هو يصرّ على انه لم يسلب الفتاة الثلاثين الفا . وارى ان نستمر في الدعوى ، وان يستمر المحقق في التحقيق معه ريثما يعترف بالتهمة المنسوبة اليه .

وصمت المدير النبيل ، واستغرق في التفكير ، فهو يريد ان ينقذ الفتاة البائسة ، وان يصون سمعتها وكرامتها وهي فتاة يتيمة ، لا اب لها ، ولا أم ، كل ما يهم المدير هو سعادة الفتاة البائسة .. اما المحامي ، فكان همه تحصيل اموال الشركة وتطبيق القانون ، والمحامي لا يفهم بسوى لغة القانون والشريعة والعدل .

وطال تفكير المدير ، وراح يدخن بنهم وهو مستغرق

في التفكير العميق •• واخيرا وبعد تفكير طويل ، التفت المدير الى محامي الشركة ليقول : قلت لي ان شفيقا اظهر استعداده للزواج من سلمى ؟ •

قال المحامي: أجل، فتساءل المدير بدهشة: هل يوافق على الزواج من سلمى؟.

قال المحامي : اجل ، فهو قد ابدى استعداده للزواج من الفتاة كي ينجو من السجن ، نحن سنوافق على زواجه من الفتاة ، لن نستطيع رفض طلبه الا اذا كانت الفتاة مستعدة لان تتنازل عن دعوى الاعتداء ، وتبقى دعوى الاحتيال والسلب ، ونحن نستطيع ان نلاحقه ، والمحقق سينتزع حتما الاعتراف من فمه ، فهو لن يستطيع ان يثبت مصدر الاموال الطائلة التي ينفقها ببذخ واسراف ••التهمة لاصقة به •• وهو لن يستطيع دفعها عنه ••

وعاد المدير الى التفكير ليقول : من المؤكد ان شفيقا لم ينفق المبلغ كله ، هو ما زال يحتفظ بقسم كبير من الآلاف الثلاثين ، علينا اولا ان نستعيد ما بقي معه من المال •• و ••

فتساءل المحامي: وثانياً؟

قال المدير : وعلينا ثانيا ان ننقذ الفتاة البائسة من الفضيحة والذل والعار ••

قال المحامي : ماذا تعني يا حضرة المدير ؟

قال المدير : انني سأسعى لزواج شفيق من سلمى .. اذا كان شفيق وهبي صادقا في ادعائه انه على استعداد للزواج من الفتاة فأنا سأعفو عنه ، والشركة ستتنازل عن دعواها .

فدهش المحامي وتمتم : ولكن من يضمن لنا ان شفيقا صادق في ادعائه ، وانه سيتزوج سلمى ؟

قال المدير : اسمع يا استاذ فؤاد .. هل استطيع ان اقابل شفيقا ؟ .. اريد ان اتحدث اليه شخصيا ، اريد ان اقف على نواياه ، اريد ان اتفاهم واياه .

قال المحامي : مقابلته ميسورة ، انا سأطلب اذنا من النيابة العامة بمقابلته ، والنيابه العامة لن تضن علينا بهذا الاذن .

قال المدير : اذن سنقابله صباح غد ، ارجو ان تطلب لي الاذن بمقابلته .

وقام المحامي باتخاذ التدابير اللازمة ، وباجراء المعاملات القانونية لمقابلة شفيق في سجنه .. وشخص مع المدير الى السجن يطلبان مقابلة المتهم .. وجيء بشفيق الى قاعة الاستقبال في السجن ، ووجم شفيق ، وخجل وهو يشاهد مدير الشركة ، واخذ يرتجف كأنه ورقة في مهب الرياح .. هذا الرجل كان مديره ، وكان يقف امامه بكل

احترام ، هو لم يتعود ان يرفع الرأس في وجه المدير الشهم النبيل ••• وتقدم المدير منه ليقول : لماذا اقدمت على هذه الجريمة المزدوجة يا شفيق ؟ •• الم تكفك جرائم المقامرة والاحتيال والسلب التي ارتكبتها في الماضي ، حتى تعمد الى الاعتداء على هذه الفتاة البائسة المسكينة ، وتحرضها على الاختلاس ثم تسلبها ما اختلسته من المال ؟ ••

واستطاع شفيق ان يستعيد جرأته بعد صمت قليل ، فالتفت الى المدير ليقول : انا لم احرضها على الاختلاس يا سيدي ••

فتمتم المدير : لقد اكتفيت اذن بالاعتداء عليها وبسلبها الثلاثين الف ليرة ؟ •• اليس كذلك ؟

قال شفيق محاولا دفع التهمة عنه : انا لم اسلبها المال يا سيدي •

قال المدير متسائلا : ولم تعتد عليها ايضا ؟ •• اليس كذلك ؟ ••

قال : انا لم ارغمها على الاستسلام الي، لا ، لم اعتد عليها ، لقد ارتكبنا هفوة يرتكبها اي فتاة وشاب يغمرهما الحب في ساعة غفلة ، ويعمي بصائرهما عن الهداية ، وانا اعلنت استعدادي للتكفير عن هذه الهفوة يا سيدي المدير •

فتقدم المدير منه ليقول بلطف وحنان : شفيق ! •• انا اعرفك تمام المعرفة ، اعرفك اكثر مما يعرفك اي انسان ،

اكثر مما تعرف انت نفسك •• الجريمة ، او بالاحرى الجرائم التي ارتكبتها حيال سلمى ليست الجرائم الاولى التي ارتكبتها في حياتك ، الا انني ارجو ان تكون الاخيرة يا بني •

توجم شفيق ، وارهف اذنيه لسماع كلام المدير ••

وتابع المدير كلامه ليقول : اسمع يا شفيق ، الانسان معرض لارتكاب الهفوات والمعاصي والشرور ، الا ان الله تعالى ، وهو الشفوق الرحيم ، مهد امامه سبيل التوبة ، ووعده بالغفران • الحكيم ، ليس هو الذي لا يخطىء ، بل الحكيم في الحياة هو ذاك الذي يعرف كيف يستفيد من رحمة الله ومن غفرانه • الحكيم يا شفيق هو ذاك الانسان الذي يصلح هفواته ويكفّر عن جرائمه ، ويرتد الى النور بعد المسير في طريق الظلام • وانا ما جئت اليك الان الا لأدعوك الى التوبة ، ما جئت اليك يا شفيق ، الا لأطلب اليك التفكير عن جرائمك ، جئت اساعدك على التكفير ، جئت امسك بيدك لاقودك في طريق الخير والنور والصلاح• انا على استعداد لمساعدتك يا بني ، ولكن بشروط • اذا حققتها ونفذت شروطي ، اتعهد لك باخراجك من السجن الان ، الان فورا •

فدهش شفيق •• أيكون المدير صادقا في ما يقول ؟ •• هل يقدم هذا الرجل على مساعدته ؟ •• هل يسعى لاخراجه

من هذا السجن البارد المظلم الكئيب ؟ •• ام تراه يريد استدارجه للاعتراف بجرائمه ؟ ••

وصمت شفيق ، وانصرف الى التفكير العميق ! وعاد المدير الى الكلام ليقول : أتريد ان تعود عن الطريق المظلم الرهيب الذي سرت وما زلت تسير فيه يا شفيق ؟

ودون تردد اجابه شفيق : كما تريد يا سيدي المدير •

لقد وجد شفيق نفسه صغيرا امام ذلك العملاق ،كان المدير عملاقا في نبله وكرمه وشهامته •• وكان شفيق قزما في مراوغته ، وخساسته ، وضعة نفسه ، ومكره وخبثه وخداعه •• وشعر شفيق بضعفه وبتفاهته وبحقارته حيال المدير النبيل ، ورأى نفسه مرغما على اجابة المدير الى طلبه فهمس :

كما تريد يا سعادة المدير •

وتمتم المدير : شروطي تنحصر في اعادة الثلاثين الف ليرة التي اخذتها من سلمى ، وفي ارتداعك عن المسير في هذا الطريق المظلم الذي تسير فيه ، وفي زواجك من سلمى، والعيش معها عيش صدق وامانة واخلاص • هل توافق على هذه الشروط ؟

واستغرق شفيق في الصمت الطويل. وبدا التأثر الشديد على محياه •• وطال صمته وطال تفكيره ، كان شفيق

يفكر بما يقول المدير •• بماذا عليه ان يجيب ؟ •• هل يوافق على شروطه ؟ هل يعترف ؟ •• هل يسلم زمامه الى هذا الرجل الشهم النبيل ؟ •

ولم يستطع شفيق ان يصل الى حل للمعضلة ، لم يستطع ان يحدد موقفه ، لم يستطع ان يجيب بكلمة ، ولا ان يفوه بحرف ••وعاد المدير الى الكلام ليقول متسائلا : ماذا تقول يا شفيق ؟ هل توافق على شروطي وتخرج الآن من السجن ؟ ••

يخرج من السجن ؟! أيكون المدير جادا في ما يقول ؟ هل يستطيع ان يخرج به من السجن ؟ •• ان شفيقا ليجيب المدير الى جميع مطاليبه وينزل عند كل شروطه ، شرط ان يخرج من هذا الظلام الدامس الذي يحيط به •

والتفت شفيق الى المدير ليقول بعد صمت قصير : انا على استعداد لأجابة جميع مطاليبك يا سيدي المدير ، انت في مقام والدي ، ولك ان تقودني الى حيث تريد :وان تفعل بي ما تريد ••

قال المدير ، وهو يكاد لا يصدق ما يسمع : اذن انت توافق على تنفيذ شروطي ؟ •

قال : اوافق يا سعادة المدير ، ولكن هل تستطيع يا سيدي ان تخرجني من السجن ؟ •

قال المدير : اجل ، استطيع ، عليك ان تنفذ كل مـــا ارسم لك ، واترك الباقي علي •

قال شفيق : واذا لم تستطع ذلك ؟ •• اذا ثبتت علي الجريمة بعد ان اعترف بسلب سلمى المال ! ماذا سيكــون موقفي ؟ وماذا سيحل بي ؟

فــأدرك المــديــر أن شـفـيقــاً يخشى أن يـغــدر بــه، وأن يستدرجه الى الاعتراف بالجريمة ، وان يستعيد منه المال ثم يتخلى عنه ، فاقترب منه ليمسك بيده ويقول : شفيق •• ثق انني صادق في وعدي ، انني اقسم لك بحياة اولادي ، انا لن اتخلى عنك ؛ ولكن بشرط ان ترتدع عــن ارتكاب المعاصي والشرور ، وان تبتعد عن الرذيلة والفسق والفجور وان تنقطع عن تبذير المال على الموائد الخضراء ••

وايقن شفيق ان المدير صادق في كلامه ، فعزم على الاعتراف له بكل شيء ، املا في الخروج من السجن ، كان شفيق يريد ان يخرج من السجن ، بأي ثمن ، مهما غلا ذلك الثمن وارتفع•• شفيق لا يهمه الان ، الا الخروج من السجن ، وبعد ان يخرج من السجن ، يبقى لكل حادث حديث ••

واستأنف المدير الكلام ليقول: عليك الآن ، وقبل كل شيء ان تعيد المبلغ الذي اخذته من سلمى ، عليك ان تعيد لنا الثلاثين الف ليرة يا ابني ، هذا هو الشرط الاول ،

وعندما يتم تنفيذ الشرط الاول ، نبدأ بتنفيـــذ الشرط الثاني .

قال شفيق بعد صمت قصير : الثلاثون الفا اصبحت خمسة وعشرين الفا يا سيدي ، لقد انفقت منها خمســـة آلاف ليــرة لبنانية ..

تدهش المحامي وهو يسمع كلام شفيق ، لقــد اعترف شفيق صراحة بالاختلاس ، المدير استطـــاع ان يقنعــه بالاعتراف ، بمقدرة المدير وبمكره وخبثه ودهائه .. لقد اصبح بيده دليل ساطع لمقاضاة شفيق واثبات الجريمة عليه.

وتمتم المدير : هل انفقت خمسة آلاف ليرة بمـــدة لا تزيد على شهر ؟

قال : اجل يــا سيدي ..

قال المدير : يا لك من شاب مبذر مسرف ، لا بأس ، ايــن هو المبلغ الان ؟ ..

قال : انه في غرفتي ، لقد خبأته في مكان امين فــي غرفتي الخاصة ، اذا خرجت من السجن استطعت ان اشخص معكم يا سيدي الى غرفتي واسلمكم المال .

وكاد المدير يوافق على اخراج شفيق من السجن قبل استلام المبلغ الا ان المحامي بادر شفيقا بقوله : لا يا شفيق نحن لن نستطيع اخراجك من السجن قبل استلام المبلغ .

قال شفيق : ولكن كيف تريدون ان اسلمكم المبلغ ، والمبلغ في غرفتي ، وانا سجين هنا ؟ •

قال المحامي : الامر سهل بسيط •• تسلمنا مفتـاح الغرفة ، وترشدنا الى مكان وجود المال ، ونحن نأخذه من مخبـأه •

فالتفت شفيق الى المدير ليقول : بماذا تأمر يا سيدي المديـر ؟

قال المدير : ارى ان الاستاذ فؤاد على حق ، ارشدنا الى غرفتك ، والى المكان الذي خبأت فيه المال ، ونحـن نكفل لك الخروج من السجن •

قال وكأنه يضع مصيره ، كل مصيره بين يدي المدير : انا اوافق على كل رأي يبديه سيدي المدير •

قال المحامي : حسنا ، قل لنا الان اين تقع غرفتك ؟

قال : غرفتي في شارع كليمنصو ، بنايـة عسـاف ، الطابق السابع على السطح ، وهذا هو مفتاح الغرفـة ، تفتحون الباب وتدخلون ، هناك سرير وخزانة ومقعـد وطاولة •• ترفعون الخزانة ، فتجدون وراءها في الحـائط كـوة صغيرة سدت بقطعة خشب ، المال في علبة نحاسية في الكـوة •••

وتسلم المحامي فؤاد المفتاح ، وهم بالخروج ، فمـا

كان من المدير الا ان استوقفه قائلا : مهلا يا استاذ فؤاد ، اريد ان اكمل حديثي مع شفيق ..

قال المدير هذا وعاد الى الكلام مع شفيق ليقـول : اسمع يا شفيق .. انا سأتوجه الان مع الاستاذ الى غرفتك ونأخذ المال! ثم تتقدم من النيابة العامة بطلب اسقاط دعوى سلمى عنك .. ونطلب اخلاء سبيلك ، والنيابة العامـة ستوافق على ذلك. ثمّ تتزوج من سلمى.

قال شفيق بدون تردد : اوافق يا سعادة المدير .

قال المدير : وبعدئذ تعدني بأن تسلك معها سبيـل الامانة والوفاء والاخلاص ، وبأن تنقطع عن المقامرة وعـن الجـري وراء النساء ، وبأن تنصرف الى العمل بكل جد ونشاط وضمير حي شريف .

قال شفيق : ولكنني كما تعلم يا سيدي ، لا اعمل عملا الان ... انني عاطل عن العمل .

قال : اطمئن ، بعد ان تتزوج من سلمى ، سأتـدبر امرك واجد لك عملا شريفا يؤمن لك ولزوجتك مـورد العيش الشريف .. « وحسب نواياكم ترزقون » يا ابني ، فلتكن نوايانا حسنة ، والرزق على الله ..

تمتم شفيق بكل ذل وانكسار : شكرا لك يا سيدي ، انني مدين لك بالحرية ، وبالتوبة وبالاصلاح ..

وخرج المدير والمحامي من قاعة الاستقبال في السجن ليستقلا سيارة المدير الانيقة الفخمة •• وطارت السيـارة بهما الى شارع كليمنصو •• وفيما السيارة تجتاز الطريق التفت المحامي الى المدير ليقول : الان اصبح باستطاعتنـا ان ندين شفيقا وان نثبت التهمة عليه ، وان نقاضيـه وان نلقي به في أعماق السجون . .

فابتسم المدير وهمس : لا يا استاذ فؤاد •• لقدوعدته بالعفو ، وانا سأعفو عنه •

فوجم المحامي وتمتم : اتكون جادا في ما تقول يا انيس بـك ؟

قال المدير : أيخيل اليك انني اردت التغرير بشفيق لحمله على الاعتراف ؟ لا يا استاذ فؤاد ،لا •• انا عندمـا وعدت شفيقا باسقاط الدعوى عنه وبمساعدته . كنـت صادقا في وعدي ، ان المحسن في الحياة ، ليس ذاك الذي يضع في يد البائس المعوز قطعة نقدية فحسب ، بل هـو ايضا ذلك الذي ينقذ نفسا بشرية من مهاوي الظلام ••

قال المحامي : ولكن شفيقا مجرم ، ويجب ان ينـال عقـابـه :

قال المدير : ليس بالعقاب وحده تكافح الجرائـم يا استاذ فؤاد ، ان العفو عند المقدرة كان ولا يزال مـن شيمة العرب ، والارشاد ينجح احيانا في تقويم النفـوس

الجانحة ، وفي اعادة ابناء الظلام الى رحاب النور • قد استطيع ان اعود بشفيق الى جادة الخير اذا سلكت معه مسلك الرفق والعطف والمحبة والحنان •• ثم لا تنس يا استاذ فؤاد ، ان في ارتداد شفيق الى الخير مصلحة لتلك الفتاة البائسة اليتيمة التي جرفها تيار الاقدار في مهاوي البؤس والذل والشقاء •

قال المحامي : والخمسة آلاف ليرة لبنانية التي انفقها شفيق من اصل الثلاثين الف ليرة على ملذاته وشهواته وسروره ؟؟ • من الذي سيتكبدها يا انيس بك ؟

نفث المدير دخان اللفافة الفاخرة في الفضاء وتمتم : الخمسة آلاف ليرة ستسجل في دفاتر الشركة على انها دفعت تعويضا للانسة سلمى عن عملها في شركتنا خلال السنين الطوال ؛ لسلمى مبلغ يوازي خمسة الاف ليرة بذمة الشركة، وعلينا أن نبرىء ذمة الشركة وننقد سلمى مالها. هذا المبلغ أنفقه عشيقها شفيق، وسلمى هي التي خسرت المبلغ، وأنفقته ثمن تهورها وبدل مسيرها في طريق الدموع.

وصمت المحامي •• ليس له ان يعترض على رأي المدير ••• ومضت السيارة بهما في شارع كليمنصو ••• وهناك في اول الشارع اوقف السائق السيارة نزولا عند طلب المدير وترجل منها ليسأل اصحاب الحوانيت عن بناية عساف : بناية عساف ؟ من يعرفها ؟ • من يدلنا عليها ؟ ••

وارشدوه الى تلك البناية ، انها هناك •• هناك الى اليمين. هذه البناية الشاهقة الصفراء ••

وعاد الى السيارة يجلس الى مقودها ويسير بها الى امام تلك البناية •• وامام بناية عساف اوقف السائق السيارة •• وترجل المدير ، وترجل المحامي منها •• والتفت المدير الى سائق سيارته ليقول : تعال معنا •

وسار الثلاثة ، ودخلوا الى البناية ، واستقلوا المصعد الى الطابق السابع •• وهناك على سطح البناية شاهدوا غرفة متواضعة صغيرة •• وتقدم المحامي من باب الغرفة يفتحه •• ودخلوا ••• واذا بهم في غرفة ضيقة ، فيها سرير ومقعد وطاولة وخزانة •• تماما كما قال شفيق ••• واشار المدير للسائق بازاحة الخزانة •• وازاحها •• واهتدوا الى الكوة الصغيرة في الحائط •• وتقدم المحامي من الكوة ورفع عنها القطعة الخشبية •• واهتدى الى العلبة النحاسية •• وتناول المحامي العلبة وفتحها على مرأى من المدير ، فاذا بالاوراق النقدية مكدسة في تلك العلبة ••• وجلس المحامي على المقعد اليتيم في الغرفة وراح يحصي ويعد تلك الاوراق ، وبلغت قيمتها خمسة وعشرين الف ليرة •• تماما كما قال شفيق •• ودفع المحامي بالمبلغ الى المدير قائلا : تفضل هذا هو المبلغ يا انيس بك •

وتناول المدير المبلغ ليقول : ارجوك يا استاذ انيس ان

تتقدم بطلب اسقاط الدعوى عن شفيق باسم موكلتك سلمى •• اريد ان يخرج شفيق من السجن ، وانني آمل ان يصلح العفو هذا الشاب ، وان يعيده الى الطريق المستقيم •

وسار المحامي وراء المدير ليقول : ان هذا النوع من البشر لا يرجى اصلاحه يا سيدي ، فالجريمة متمكنة في نفس شفيق ، هو لن يرتدع عن ارتكاب الجرائم ، الا اذا عوقب وكان العقاب شديدا ، ما كل نفس تتأثر بالعاطفة يا سيدي ، هناك نفوس لا ينجح فيها الا العقاب الصارم الشديد ••

قال المدير : لقد قيل : « افعل الحسنة والق بها في البحر » •• لن يضيع عمل الخير عند الله وان ضاع عند الناس ••

ودلفوا الى السيارة •• وطار السائق بالسيارة الى مكتب المحامي ، وهناك ترجل المحامي •• وتابعت السيارة سيرها الى دار المدير . . .

وهناك في الدار جلس المدير قرب سلمى والابتسامة تشع على شفتيه •• وهمس : سلمى ! •• لقد استعدنا خمسة وعشرين الف ليرة من شفيق ، وقد اظهر شفيق استعداده للتكفير عن هفوته بالزواج منك •• ما هو رأيك

يـا ابنتي ؟ .. أتوافقين على الزواج من شفيق ؟

وصمتت سلمى واستغرقت في التفكير والشـوق يعصف بها ، والحنين يغمر حنايا قلبها وروحها ، فهـي لا تزال تحب شفيقا بالرغم مما انزل بها شفيق من مصـائب وكوارث وويلات ، بالرغم من محاولته الفتك بها ، وبالرغم من تلـك الاخبار التي وصلت اليها عن" مآثره" في العـدو وراء النساء ، وفي التغرير بالفتيات .. شفيـــق ما زال الحبيب المفضل لديها ، ولكن ، ولكن هل توافق علـى الزواج منه ؟ ... منذ مدة قريبة كانت تعدو وراءه وترجوه ان يسرع بالزواج منها ، وكان المدير يحذرها منه ومـن الاتصال به .. اما الان فهي تتردد في الموافقة على الزواج منه ، في حين يطلب اليها المدير نفسه ان توافق على الزواج مـن شفيق ... يا لاحكام الاقدار الغريبة العجيبة التي لا تعترف بمنطق ، ولا تثبت على حال ، فأحكام الاقـدار تنقض نفسها ، اقدار تحكم اليوم بما نقضت امس، وتنقض اليوم ما حكمت به بالامس ..

واستأنف المدير الكلام بعد صمت قصير ليقول : ماذا تقولين يا سلمى ؟ هل توافقين على الزواج من شفيق ؟

وهمست سلمى بعد صمت قصير : ليس لي ان اوافق ولا ان ارفض يا سيدي ، وانت هو صاحب الكلمة الاولى

والاخيرة في تقرير مصيري ، لك ان تعلن رأيك يا سيدي ، وعلي ان اوافق على هذا الرأي دون اي اعتراض ..

واشعل المدير لفافة راح ينفث دخانها في الفضاء على مهل ، ثم التفت الى سلمى ليقول : اسمعي يا سلمى ، انا بمثابة والدك يا ابنتي ، وما يهم الوالد هو سعادة ابنته ، كل ما يهمني الان هو سعادتك .. سأوضح لك كل ما دار بيني وبين شفيق من حديث ولك وحدك ان تقرري مصيرك، انا لن ارغمك على الزواج من شفيق ، وليس للوالد ان يرغم ويكره ابنته على الزواج من شاب معين .. لقد عرضت على شفيق عروضا وافق عليها ، هذه العروض تنحصر في ان يعيد شفيق ما بقي معه من المال لقاء تنازلنا عن حقنا في الدعوى المقامة عليه .. وقد اعاد شفيق مبلغ خمسة وعشرين الف ليرة فبات من حقه ان يطالبنا بتنفيذ وعدنا .. وقد نفذت وعدي له فأشرت الى الاستاذ فؤاد بأن يسقط الدعوى باسمك عن شفيق .. وطلبت الى شفيق ان يعود عن السير في طريق الشرور والمعاصي والفسق والفجور ، وان يتزوج منك ويعيش معك عيش محبة وسلام واخلاص ووفاء ، فوعد بالنزول عند طلبي ، وهو كما لاح لي منه عازم على تنفيذ هذا الطلب .. ان شفيقا اعتدى عليك يا سلمى ، وانت لن تجدي شابا يتزوج منك بعد ان حصل ما حصل ، ليس هناك شاب في العالم يرضى بالزواج

من فتاة اعتدي عليها وسلمت نفسها لشاب غيره .. انا افضل زواجك من شفيق لاسباب عديدة اولها ضمان مستقبلك ، وآخرها دفع الفضيحة والعار عنك .. ولكن هل يستطيع شفيق ان يسلك معك سبيل الاخلاص والوفاء يا سلمى ؟ .. هل يسعدك شفيق ؟ هل يعود عن طريق الظلام ليسير في طريق النور ؟ هل يقلع عن شروره وآثامه وهفواته وهوسه ومجونه ؟ .. لست ادري ... لست ادري .

قالت سلمى : انا لن ابدي رأيا يا سيدي ، لك وحدك ان تأمر ، وعلي ان اطيع .

قال المدير : فلنتكل على الله ولنكمل تنفيذ الخطة المرسومة .. تزوجي من شفيق وحاولي ان تساعديه يا ابنتي على التخلص من الظلام الذي يعيش فيه .

قالت سلمى : ليكن ما تريد يا سيدي المدير ... ليكن ما تريد .

٢٣ نكبة صارعة

تزوجت سلمى من شفيق •• فقد نفذ مدير شـركة الاستيراد والتصدير اللبنانية الخطة المرسومة بكل دقـة وحزم واهتمام •• فأسقط المحامي الدعوى عن شفيق •• وخرج المتهم من السجن ليجد المديـر وسلمى بانتظاره •• وامسك المدير بيده واصعده الى سيارتـه الخاصـة ، واصطحبهمـا الـى داره ••

وهناك في الدار عقد اجتماع حضره المدير ، وسلمى وشفيق ، ونجلاء والمحامي فؤاد •• ووقف المدبر يقـول . اسمع يا شفيق •• الاتفاق المعقود بيننا ينص على ان تتزوج من سلمى ، وعلى ان تعيش معها عيش الازواج الاوفيـاء المخلصين ، هل انت على استعداد لان تنفذ الاتفاق ؟

نأحنى شفيق رأسه بكل ذل وانكسار وتمتم : اجـل يـا سعـادة المديـر •

قال المدير : انت الان لا تملك ليرة واحدة •• قصة الشركة التي تريد انشاءها •• وقصص الشعوذة والتدجيل

انجلت واضحة لسلمى ؛ لن تستطيع بعد اليوم ان تخدع سلمى بعد ان تفتحت عيناها على النور • اريدك يا ابني ان تسلك معها سبيل الصدق والامانة والصراحة والاخلاص ؛ وانا لن اتخلى عنك ما دمت تحسن معاملة سلمى وتخلص لها ، ان سلمى عندي في مقام ابنتي ، وانت ستكون في مقام ابني اذا سلكت معها سبيل العطف والحب والحنان • انا سأتدبر امرك ، سأجد لك وظيفة تؤمن من وراءها العيش الشريف السعيد • كان بودي ان اعيدك الى وظيفتك في شركتنا الا ان سجلك في شركة الاستيراد والتصدير لا يشجعني على اقتراح اعادتك الى العمل على مجلس الادارة ، لذلك فأنا سأتوسط لك عند احد اصدقائي مدراء الشركات وسأجد لك العمل • انت ستتزوج الان من سلمى ، وستذهب واياها لقضاء اسبوع في فنادق لبنان • ثم تعودان بعد اسبوع الي ، واكون قد تدبرت امرك •

ستقيم مع سلمى ومع شقيقتها نجلاء في دارهما وتكون نعم الزوج لسلمى ونعم الاخ لنجلاء •• هل توافق ياشفيق على اقتراحي ؟ •

وتمتم شفيق : كما تريد يا سيدي المدير ، كما تريد •

وتناول مدير الشركة عشر ورقات نقدية ، كل ورقة من فئة مئة ليرة دفع بها الى شفيق ليقول : خذ يا ابني ، هذه الف ليرة ، انها هدية مني لك ولعروسك ••

فأدمعت عينا سلمى وهي تلمس في المدير ذلك النبل ، وتلك الشهامة ، وذلك العطف والحنان والحنين •

وتناول شفيق الورقات العشر من يد المدير النبيل وهمس : شكرا لك يا انيس بك ، شكرا لك يا سيدي على ما غمرتني به من كرم ونبل وعاطفة ومحبة وحنان •

وتكلم المحامي الاستاذ فؤاد ليقول : لقد بذل انيس بك من اجلك يا شفيق ، ما لا يستطيع والد ان يبذله من اجل ابنه ، لقد بادلك الاساءة بالغفران ، والشر بالخير ، والمكر والخبث بالمحبة والعطف والحنان ،لو كان والدك على قيد الحياة لما عاملك بما يعاملك هذا الرجل النبيل ، عليك الان ان تستفيق من الكابوس الذي يسيطر عليك ، ان الله تعالى يمنح المخطىء الشرير فرصة التوبة ، ويمهد امامه سبيل الخير ليسير فيه ، فاذا ما ضيّع الشرير هذه الفرصة هلك الى الابد •• هذه الفرصة سانحة لك الان • عليك ان تغتنمها يا شفيق •• ما مضى قد مضى ، وعليك الان ان تخرج من الماضي القاتم السواد بالعبرة والعظة ، لتسير مجدّداً في طريق البر والخير والصلاح . . . وإذا ضيعت هذه الفرصة ، فأنت لن تجد فرصة اخرى تتيح لك التخلص من ماضيك القذر الموبوء ، اسمع مني يا شفيق وعد الى رشدك ، واسلك مع هذه الفتاة السبيل الذي مهده امامك سعادة المدير •

تمتم شفيق : لن اعود الى الماضي ايها الاستاذ وقد ذقت مرارته واكتويت بناره ، الطريق الذي رسمه لي سيدي المدير هو طريقي اليوم وغدا وبعد غد ..

وامسك المدير بيد سلمى وبيد شفيق ، وسار بهما الى حيث عقد زفافهما .. وقبلهما قبلات والدية وتمنى لهما السعادة والطمأنينة والسلام .. وانتقل العروسان السعيدان الى فنادق لبنان ، يقضيان في كل فندق منها ليلة هانئة باسمة سعيدة .. وانقضى الاسبوع على سرعة وعجلة واندفاع ، والعروسان غارقان في هنائهما وسعادتهما ونشوتهما ..

وعادا بعد انقضاء الاسبوع الى المدير .. واستقبلهما المدير بالترحيب والعناق ، والتفت الى شفيق ليقول : لقد وفقت الى ايجاد وظيفة لك في شركة الاعمال المصرفية يا ابني ، ستكون موظفا في هذه الشركة بمرتب اربعمئة ليرة لبنانية ، انا تعهدت لزميلي مدير الشركة بأنك ستكون نعم الموظف المخلص لعمله ، الامين لرسالته ، واريدك ان تثبت له صحة تعهدي ، خذ يا شفيق هذه بطاقة باسمي ، احملها الى مدير شركة الاعمال المصرفية السيد نعيم عساف . ستتسلم العمل فورا ..

وحمل شفيق بطاقة انيس بك الى مدير شركة الاعمال

المصرفية ، ورحب مدير الشركة به وقال له : ان انيس بك صديقي المخلص الوفي ، وانا لا استطيع ان ارد له طلبا ، هو يريدك موظفا في شركتنا وستكون كما يريد • ستتسلم دائرة الديون العقارية في الشركة ، عليك ان تتسلم الاموال المستحقة من المدينين يـا ابني ، وان تدقـق في السندات وفي الحسابات وان تحصي الاموال وتسلمها لامين الصندوق انه عمل شاق يحتاج الى امانة وصدق واخلاص ، وزميلي انيس بك اشاد بأمانتك وباخلاصك وبصدقك •

قال شفيق وهو ذاك المتحدث اللبق الطلق اللسان : سأثبت لكم يا سيدي صحة كلام انيس بك ، وسأبرهـن لسعادتكم عن مقدرتي في تحمل المسؤولية الكبرى التي تفضلتم وشرفتموني بتحملها ، ارجو ان انال رضاكـم يـا سعـادة المديـر •

قال المدير : ان شاء الله ••

وتسلم شفيق العمل في شركة الاعمال المصرفية •• ولاح منه انه ذلك الموظف المخلص الوفي الامين ، لاح منه انه تخلص من الماضي الموبوء الذي عاشه طيلة سني حياته ، وسار في الطريق القويم ، طريق البر والخير والصلاح •• فكـان يشـخص في سـاعـة مبكـرة إلى عمـله ليقـوم بـذلـك العمل بكل امانة واهتمام ، ونعمت زوجته سلمى بعطفـه وبحنانه وبحبه ، وخيّل اليها انها ضمنت السعادة ، وان

الأيام بدأت تبتسم لها بعد ذلك التجهم الطويل . وعاشت سلمى قرب زوجها وشقيقتها نجلاء عيشا هنيئا مطمئنا سعيدا .

وكان مدير شركة الاستيراد والتصدير يغمر تلك الاسرة الهانئة المطمئنة بعطفه وبحنانه ، فهو لم يتخلَّ عن سلمى ، ولا هو اغفل امر شفيق ، فقد اخذ انيس بك يسعى لترقية شفيق لدى زميله مدير شركة الاعمال المصرفية ، ووفق في مسعاه ، فرقي وزيد مرتبه ونعم بالراحة والطمأنينة والسلام ..

وكان شفيق مخلصا في عمله لسببين ، الاول : رغبته في دوام تلك النعمة التي هبطت عليه من السماء ، فهو لم يكن يحلم يوما بالوصول الى وظيفة تؤمن له العيش الرغيد بعد ان ساءت سمعته ، وبعد ان تمرغ في اوحال الشرور ... والثاني : خوفه من انيس بك ، ومن العودة الى السجن الذي خرج منه باعجوبة من اعاجيب السماء ... وسلمى اطمأنت الى مستقبلها والى سعادتها ، لاسيما وهناك ذلك الرجل النبيل ، انيس بك يحافظ على سعادتها محافظته على سعادة ابنته .. ما دام انيس بك هناك ، فلا خوف على تلك السعادة من الذبول ..

ومضت الايام وسلمى وشقيقتها نجلاء تنعمان بالسكينة والسعادة والهدوء ، وخيل لسلمى ان الايام

صفت لها ، والايام لم تكن يوما لتصفو لانسان ••• فقد استفاقت سلمى بعد سنة واحدة من زواجها على كارثة رهيبة ، كارثة مروعة تشكل خطرا على سعادتها الباسمة الخضراء •• فقد وقع انيس بك ، مدير شركة الاستيراد والتصدير فريسة داء وبيل ، اصيب بنوبة قلبية شديدة ، ونقل الى المستشفى ليعالج معالجة سريعة شاقة •• وقال الاطباء : انيس بك مصاب « بالذبحة القلبية » وحياته في خطر ••

وذعرت سلمى . . وهرولت مع شقيقتها إلى المستشفى لتجد هناك زوجة المدير وأولاده يبكون والقلق يطل من عيونهم . . وشاركتهم البكاء بدموع صادقة حرى . . إلا أن البكاء لم يكن يوماً ليدفع الخطر عن البشر، ولا ليرد العافية للمريض، ولا الحياة للميت . . ولم تنجع عقاقير الأطباء في معالجة المدير النبيل، ولا أفادته دموع الأقارب والأهل والأصدقاء، فقضى نحبه مأسوفاً على خصاله الحميدة، وعلى أخلاقه الكريمة، وعلى نبله وشهامته وعزة نفسه، وشيع جثمان المدير النبيل في مأتم حافل سار فيه الوزراء والنواب ورجال العلم والأدب والصحافة والاقتصاد والمال . .

وسار موكب الجنازة في الطريق الى المقبرة •• وسارت

سلمى بين المشيعين وهي تبكي بكاء مرا ، وتذرف الدموع الغزيرة القانية الاحمرار .. وعندما عاد المشيعون ، وعاد الاهل والاقارب والاصدقاء من المقبرة .. جثت سلمى فوق الضريح الذي ضم جثة ذلك الرجل الكريم ، الذي كان لها ابا محبا حنونا ، واجهشت بالبكاء .. ولم تعد الى دارها الا والشمس قد قاربت المغيب .. عادت لتجلس وحدها في غرفتها على حزن واسى ودموع .. لقد خسرت بموت المدير أبا وصديقا ومساعدا .. كانت سلمى تبكي المدير ، وكأنها تعلم ان خسارتها بفقد ذلك الاب الحنون ، هي خسارتها بسعادتها الباسمة الهانئة الوارفة الظلال ..

٢٤ | التوبة الكاذبة

الامراض الاجتماعية والاوبئة النفسية هي كالامراض الجسدية ، منها ما هو قابل للشفاء ، ومنها ما عز ويعز على الطب معالجته وشفاؤه .. والمقامرة كالسرطان ، تفتك بالنفس ، كما يفتك ذلك الداء الوبيل بالجسد .

ويقف الطب حائرا عن كبح جماحه وعن قهره ، وعن انقاذ البشرية المعذبة من براثنه الناتئة المخضبة بالدم .

وشفيق ، وهو المصاب بهذا الداء الفاتك الوبيل ، انغمس في دائه يأبى الابتعاد عنه ، واستشرى الداء في نفسه ..

وعاد شفيق الى سيرته السابقة ، الى المقامرة ، والى السهر ، والى السكر ، والى العدو وراء الجميلات من النساء .. كل ذلك وزوجته البائسة غافلة عنه ، لا تعلم بأمر النكسة التي أصيب بها زوجها .. وشفيق ــ حرسه الله ــ

لم يعد ليأبه لزوجته ، ولا ليخاف أحدا في هـــذه الحياة .
الذي كان يحمي سلمى ، والذي كان يخافـــه شفيق ، كان انيس بك ، مدير شركة الاستيراد والتصديـــر اللبنانيـــة ، والمدير رحل عن هذه الفانية ، ولم يعـــد لشفيق ان يخشى غضبه ، ولا ثورته ، ولا انتقامه ، والاموات لا يغضبون ، ولا يثورون ، ولا ينتقمون ..

وقد نسي شفيق أن الارواح الصالحة تشعـــر وتحس وتتألم وتفرح ، وأنها دائما تناصر الضعيف المظلوم ، علـــى الظالم القوي .. نسي شفيق اذ هناك تلك القوة الهائلـــة الغامرة الكون من أقصاه الى أقصاه ، الساهرة أبـــدا على أبناء البشر ، الناظـــرة الى الصالح بعـــين المحبـــة والعطف والحنان ، والى المجرم الشرير بعين العدالة الرهيبة .

وعاد شفيق الى طريق الظلام ينغمس فيه وهو لا يلوي على شيء .. وكان يقضي نهاره في العمل في شركة الاعمال المصرفية .. في العمل ؟.. لا .. فهو يقضي ذلك النهـــار بتدبير المؤامرات ، وتصميم الخطط التي تصل به الى المال .. المال ، المال فهو بحاجة أبدا الـــى المال ، لتبذيره علـــى موائد القمار ، والمال للانفاق على عشيقاته الكثيرات ، والمال لشراء الخمر والمخدرات ، والمال لبذلـــه في سبيل التهتـــك والفسق والفجور ..

على شفيق ان يصل الى المال ، لا فرق لديه في طريق

الخير يسلكه أو في طريق الشر ، الطريق لا يهم ، المهم هو الوصول •• يجب ان يصل الى المال بأي وسيلة كانت •• والوسائل كثيرة لدى شفيق ، ان الوصول الى المال سهل ميسور أمام المجرم الشرير ، أما الصالح البار ، الذي يسلك طريق الخير والبر والصلاح ، فالوصول الى المال أمامه شاق ومرهق ، طويل وبعيد ••

ما أصعب الوصول الى المال عن طريق الخير ، وما أيسر الوصول اليه عن طريق الشر والاجرام ••

ويقضي شفيق ليله في أندية القمار ، وفي دور بنات الهوى ، وفي الملاهي والمراقص والمحاشش والمواخير •• فالمال موفور لديه ، وعليه أن ينعم بملذات هذه الحياة وبأفراحها وبهنائها وبسعادتها ••

وفيما كان شفيق يبذر المال على ملذاته وشهواته ، كان يحبس يده عن زوجته •• وعرفت سلمى مر البؤس والفاقة والشقاء ، فالفاقة عادت اليها بالسلامة •• ما كادت تنأى وتبعد عنها، حتى اطلت عليها مجدّداً بوجهها الأسود الكالح العبوس . .

ووثبت سلمى الى زوجها شفيق تطلب اليه القيام باعالتها ، فزأر شفيق وتمتم : لقد سئمت العيش معك ومع شقيقتك ، أنا لست مجبرا على اعالتكما ، فأنتما والحمد

لله ، بألف صحة وعافية ، تستطيعان ان تعملا وأن تحصلا على لقمة الخبز بعرق الجبين ..

ووجمت سلمى .. ماذا يقول شفيق ؟.. أيتنكر لها الآن ، وهو الذي كان يعدو وراءها لسنين قريبة خلت ؟.. وتقدمت منه هامسة : أتهون لديك زوجتك يا شفيق ؟.. ألست في نظرك سلمى الحبيبة التي كنت تفرش طريقها بالورود والزهور والرياحين؟ .

تأفف شفيق وتبرم وهمس : أنا لست قادرا على اعالتك ، ولا على اعالة أختك .. ما أتقاضاه مرتبا من عملي ، لا يكاد يكفي ثمنا لثيابي ولتبغي ولزيوت سيارتي.

فبكت سلمى وتمتمت : أتكون ثيابك وتبغك وزيوت سيارتك أفضل من سلمى ؟.. لا بأس .. أنا سأعمل .. سأعود الى العمل وسترى أن سلمى تستطيع أن تحصل على لقمة الخبز .. سأعول نفسي وأعول أختي وأعولك أنت أيضا .

فلمعت الابتسامة على شفتيه ، واقترب منها هامسا : هكذا تتكلم النساء النابهات ، العصر اليوم هو عصر المرأة، والعهد عهدها ، لقد باتت المرأة في عهدنا هذا تجاري الرجل في كل اعماله . قولي يا سلمى ، ماذا ستعملين ؟..

ومسحت سلمى دموعها وتمتمت : سأعود الى العمل في

شركة الاستيراد والتصدير اللبنانية •

نفث شفيق دخان لفافته الفاخـرة في الفضاء وتمتم : أنت لن تستطيعي أن تحققي هذه الرغبة يا عزيزتي • الذي كان يعطف عليك في تلك الشركة رحل عن هـذا العالم • أنيس بك مات ، والمدير الجديد لا تعرفينه فكيف ستعودين اذن الى العمل في شركة الاستيراد والتصدير ؟••

قالت : سأبحث عن عمل في أي شركة ، في أي محل ، في أي مؤسسة ، لن أعجز عن ايجاد العمل •

وعاد الى الاقتراب منها ليقول : اسمعي يـا سلمـى ، اللواتي يبحثن عن الاعمال كثيرات ، وكلهن مـن المثقفات حاملات الشهادات العالية ، لن تستطيعي مجاراتهن في البحث ولا في الجد ، ولا في التوفيق •

قالت : سأظل أبحث عن العمل حتى أجده •

قال : أنت لن تستطيعي العثور علـى عمل الا اذا ساعدك زوجك الحبيب ، أنا سأبحث لك عن عمل ، وسأجد هذا العمل ، اطمئني يا حبيبتي ، اطمئني يا سلمى • زوجك مجبر على الاهتمام بك • هو سيجد لك العمل المريح ، لن يدعك تتعبين نفسك وتجهدينها في البحث عن العمل •

وصمتت سلمى ، وانصرفت الـى التفكير العميـق تنغمس فيه •• ما هو هذا العمل الذي يريد شفيق البحث

عنه ؟.. وهل تستطيع أن تقوم بذلـك العمل ؟.. ليست تدري ، فهي مع شفيق تسير أبدا في ظلام . لا تعرف الى أين تسير ، ولا الى أين سينتهي بها المسير .

وانصرف شفيق وقد غمر الارتياح قلبه ، الحمد لله فهو قد وقع على امرأة تساعد عصابته في تهريب المخدرات. منذ أمد وهو يبحث عن امرأة جميلـة تستطيع ان تمـد للعصابة الكريمة يـد المساعدة ، فالعصابة بـدون امـرأة كالتربة القاحلة ، لا تعطي ولا تنتج ولا تفيد ...

وشفيق ، حرس الله حياته الغالية ، كان رئيس عصابة لتهريب المخدرات ، وكانت عصابتـه تـدر عليـه الارباح الطائلة ، وكان باستطاعته ان يتخلى عن وظيفته المتواضعة في شركة الاعمال المصرفية ، لا سيمـا ومرتبـه في الشركة لا يوازي النذر القليل من أرباحه في صفقـة صغيرة تقـوم بها عصابته الكريمة .

كان بوسع شفيق أن يتخلى عن وظيفته ، الا أنه رأى ان يستمر في عمله في شركة الاعمال المصرفيـة ، ليختبىء وراء تلك الوظيفة اذا ما اكتشف أمـر العصابة يوما .. فالاخ شفيق يحسب حساب المستقبل ، وهو يريد أن يأمن شر الايام وغدر الاقدار ، وقد بلي يوما بذلك الشر وبذاك الغدر ، يوم اعتقل بتهمة سلب سلمـى ثلاثين ألف ليرة ،

يومذاك حاول دفع التهمة عنه ، الا أن المحقق جابهه بالواقع وسأله ، أنت عاطل عن العمل •• من أين تحصل على المال الوفير لانفاقه ببذخ واسراف ؟•• ولم يستطع شفيق يومذاك أن يرد على السؤال •• أما الآن فاذا قدر له ، لا سمح الله ، ان يقع في يد المحقق ، واذا سأله المحقق : « من أين تحصل على المال ؟•• فهو سيرد عليه فورا : أنا موظف في شركة الاعمال المصرفية ، ومرتبي يزيد عن حاجتي » ••

وضحك شفيق في سره ، وهذه الافكار تدور في رأسه •• من أين للسلطات أن تكتشف امر العصابة ، والعصابة لا تعمل الا في الظلام الدامس المدلهم ؟•• على كل فالحذر ضروري ، والوقاية لا تضر ، وقد قيل : « درهم وقاية ، خير من قنطار علاج » •••

واطمأن شفيق كل الاطمئنان وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد •• وانصرف الى رسم خطة اشراك زوجته سلمى في أعمال العصابة •• على سلمى أن تعمل في العصابة وان تسهم في تهريب المخدرات دون أن تعلم أنها تعمل في عصابة، ودون أن تشعر بأنها تقوم بتهريب المخدرات •• ولكن كيف سيتم له ذلك ؟•

هذا ما يجب على شفيق ان يبحث عنه •• واسغرق شفيق في التفكير ، فراح يدخن ويفكر •• وطال تفكيره

وهو مقطب الحاجبين عابس الوجه ، ودخان التبغ يعقد حوله أعمدة كثيفة بيضاء •• وآخيرا انبسطت أسارير وجهه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة الفوز والنصر •• الحمد لله ، ثم الحمد لله ، لقد اهتدى شفيق أخيرا الى حل للمعضلة الصعبة الشاقة •• ونام شفيق على حرير واطمئنان ، فالخطة مضمونة الفوز مؤكدة النجاح •

وفي اليوم التالي وثب شفيق الى زوجته سلمى والابتسامة تشع على شفتيه •• وأمسك بيدها هامسا في أذنها : سلمى !•• اطمئني يا حبيبتي ، لقد وصلت الى ايجاد عمل لك ، عمل مريح لا يتطلب أي جهد ولا أي تعب ولا أي عناء •••

وهمست سلمى بعدم اكتراث : ما هو هذا العمل ؟•

فأمسك شفيق بيدها ليقول : اسمعي يا حبيبتي ، هنالك أحد عملاء الشركة التي أعمل فيها بحاجة الى فتاة ذكية نشيطة مجتهدة تقوم بمهمة الاتصال بينه وبين عميله في تركيا •• اللواتي تقدمن لهذه الوظيفة كثيرات ، الا أنني استطعت أن أقنع هذا الصديق بأن تكوني أنت تلك الموظفة ••

تظهرت الدهشة جلية في عيني سلمى وتمتمت : لم أفهم ماذا تعني يا شفيق ؟•

قال : أعني أنك ستكونين الصلة بين العميل في بيروت ، والعميل في تركيا •

قالت : وكيف أستطيع ان اكون صلة بين لبنان وتركيا، وأنا هنا ، في بيروت ؟•

وتقدم شفيق يمسك بيدها ليقول : أنت ستسافرين مرة أو مرتين في الشهر الى تركيا ، ستتنشقين الهواء ، وتطلعين على خفايا البلاد التركية ، وتشاهدين جمال قصورها الاثرية • ليتني أستطيع أن أرافقك يا حبيبتي الى تلك البلاد ، أنا منذ أمد بعيد أتوق الى السفر ، الا أن الايام لم تجد علي بتحقيق هذه الامنية • لا بأس فسعادتك هي سعادتي يا حبيبتي ، وهناؤك هو هنائي •

وعادت سلمى الى التمتمة بدهشة ووجوم : ولكن هل أستطيع أن أقوم بهذه المهمة الشاقة يا شفيق ؟••

قال : اطمئني فالمهمة سهلة وليست شاقة كما تتوهمين، أنت ستسافرين من هنا الى انقره ، وهناك تتصلين بعميل التاجر اللبناني وتسلمينه طردا صغيرا ثم تعودين •• وتتقاضين عن كل رحلة تقومين بها خمسمائة ليرة لبنانية ، اذا قمت برحلتين في الشهر تقاضيت ألف ليرة لبنانية • أما نفقات السفر ، فالتاجر اللبناني هو الذي سيقوم بها •• انه مرتب ضخم ، أليس كذلك يا حبيبتي ؟

قالت : أخشى أن أعجز عن القيام بهذه المهمة يا شفيق، فأنا كما تعلم لم أتعود السفر .

وعاد شفيق يمسك بيدها ليقول : جربي .. ستسافرين في مطلع الاسبوع القادم الى أنقره ، وتحملين معك طـردا صغيرا تخفينه في حقيبة ثيابك ، وعندما تصلين الـى أنقره ، تشخصين توا الى فندق ازاس وتحلين فيه .. وبعد وصولك الى الفندق بساعات قليلة سيزورك رجـل متوسط العمـر ويخاطبك بالفرنسية ويقول لك : « كيف الحال في بيروت» يجب أن تحفظي هذه الكلمات القليلة جيدا « كيف الحال في بيروت » .. هذه الكلمات هي كلمات السر التي تثبت لك أن ذلك الرجل هـو عميل التاجر البيروتي ، وعندئـذ تستطيعين أن تسلميه الطرد .. ثم يعطيك رسالة ، قد يكون فيها مبلغ كبير من المال ، أو أي شيء ثمين آخر فتخفينها في حقيبة ثيابك ، وتحافظين عليها محافظة شديدة .. وتعودين الى لبنان .. ان المهمة سهلة جدا كما اتضح لـك ، أليس كذلك يا حبيبتي ؟.

ولم تجب سلمى بحرف ، بل هي انصرفت الى التفكير .. يبدو أن هناك أسرارا وراء هذه الرحلة.. لماذا لا يطلعها التاجر البيروتي على اسم عميله في أنقره ؟.. ولماذا يعتمـد كلمات السر في هذه المهمة ؟.. ولماذا ينقدها ذلـك المرتب الضخم لقاء هذا العمل ؟.. ولماذا لا يرسل الطرد بالبريـد

المضمون وذلك لا يكلفه سوى نذر قليل من المال ؟..

جميع هذه الاسئلـة دارت في رأس سلمـى دون ان تستطيع ان تجيب على سؤال واحد منها .

وترددت سلمى في القيام بهذه المهمة الغامضة ، الا أن شفيقا راح يشجعها على قبول العرض المغري العائد عليها بالمال الوفير .. وطالت محاولة الاقناع .. قال شفيق وهو يمضي في المحاولة : أنت لـن تقومي بأى عمـل شاق يا حبيبتي ، وستظلين حرة غير مقيدة بدوام العمل، ولست مجبرة على الذهاب كل يوم الى عملك . رحلة ، أو رحلتان الى تركيا ، وتتدفق الاموال بين يديك ، انـي كما ترين أعمل طيلة الشهر ، كل يوم ، بجهد وجد وتعب وعناء ، ولا أتقاضى خمسمئة ليرة لبنانية . نحن بحاجة الـى المـال يا حبيبتي . أنا لا أستطيع أن أقوم وحدي بنفقاتنا ، وعليك أن تساعديني يا سلمى .

ومضت سلمى في صمتها وفي تفكيرها .. وراح شفيق يدخن بنهم وجشع وتفكير . واستأنف الكلام بعد صمت قصير ليقول: ماذا تقولين يا حبيبتي؟ .

والتفتت سلمى اليه لتقول : أنا خائفة يـا شفيق مـن القيام بهذه المهمة ، ان قلبي غير مرتاح اليها .

فاقترب شفيق منها ليطوقها بذراعيه ويشدها الى صدره

هامسا في أذنها : لماذا تخافين يا حبيبتي ؟•• مــاذا يخيفك يا سلمى ؟•• انها رحلة ممتعة هانئة ، ليتنــــي أستطيــع القيام بها أنا ؟••

قالت : لا أعلم لماذا أخاف هذه المهمة ، أنا غير مرتاحة لها يا حبيبي •

قال وهو لا ينفك يشدها الى صدره : أيخيل اليك أن حبيبك شفيقا يدفع بك الى الخطر ؟•• لا يــا سلمى • لا يا حبيبتي ، أنا لو علمت أن هناك ذرة صغيرة من الخطر لما شجعتك على القيام بهذه المهمة • انـنـــي لأحافظ علــى سلامتك وعلى حياتك اكثر مما تحافظين عليها أنت •

قالت : أنا سأنزل عند طلبك يـ شفيق ، سأقوم بهذه المهمة ، ولكن ، ولكن لي عندك شرط •

قال : ما هو شرطك ؟

قالت : لن أسافر وحدي •

وخيل اليه أنها تريده أن يسافر معهــا فقال : ولكنني كما تعلمين لا أستطيع ترك عملي في الشركة •

قالت : لا ، أنا لا أريدك أن تسافر معي •

قـــال : وماذا تريدين اذن ؟

قالت : أريد أن اصطحب معي أختي نجلاء •

فارتسمت ابتسامة مكر وخبث ودهاء على شفتي شفيق وهمس : وأنا ؟•• من سيهتم بأمري اذا سافرت نجلاء معك الى أنقره ؟•• من سيطهو طعامي ويغسل ثيابي ويقوم بتنظيف الدار يا حبيبتي ؟•• أيهون لديك حبيبك شفيق؟• أتتركينه وحده هنا ، لا من يهتم به ، ولا من يلتفت اليه ؟•

وعادت سلمى الى الصمت تنغمس فيه ، والى التفكير تستغرق في مجاهله ، شفيق على حق ، يجب أن تظل نجلاء قربه تهتم بأمره وتسهر على راحته •• ستسافر وحدها اذن، فتقوم بالمهمة الملقاة على عاتقها خير قيام وتعود بالسلامة الى بيروت ، وتتقاضى المئات الخمس •• وتمتمت سلمى : لا بأس سأسافر وحدي يا حبيبي ، ولتظل نجلاء هنا قربك لتسهر على راحتك ••

وارتاح شفيق كل الارتياح ، الحمد لله ، لقد وفق في مهمته ، واستطاع أن يقنع سلمى بالسفر • لم يعد أمامه الآن الا أن يهيىء لها « البضاعة » ويقوم بمعاملات السفر ••• والتفت الى سلمى ليقول : سأتصل الآن فورا بالتاجر البيروتي ، وأعلن له موافقتك على السفر ، سيكون كل شيء جاهزاً خلال اسبوع ••

وانصرف شفيق الى تهيئة « البضاعة » والى انهاء

معاملات السفر •• فهيأ كمية الحشيش التـي يريد تهريبها بواسطة زوجته الحسناء الى تركيا ••

كانت مهمة سلمى تنحصـر في تهريب الحشيش مـن لبنان الى تركيا ، وتهريب الافيون والكوكايين مـن تركيا الى لبنان ••

وقبل أن ينصرم الاسبوع ، وثب شفيق الـى زوجته قائلا : لقد تم كل شيء يا سلمى •• الطائرة ستقلع بك غدا من مطار بيروت الدولي الى أنقره • خذي يا حبيبتي ، هذا هو الطرد الذي ستحملينه الى عميل التاجر الكبير في انقره، عليك ان تخفيه في حقيبة ثيابك •• وهذا هـو جـواز سفرك •• وهذه هي بطاقة السفر في الطائرة ••

وتناولت سلمى الطرد من يد زوجها فاذا بـه ثقيـل الوزن •• وتمتمت : على ماذا يحتوي هذا الطرد يا شفيق؟

وهز شفيق كتفيه وزم شفتيـه وهمس : لست أدري ، قد يكون فيه ذهب ، أو ماس ، أو أي معدن آخر ، أنا لم أحاول معرفة ما في داخل هذا الطرد ، مالنا وله . المهم هو أن نوصله الى صاحبه ، ونتقاضى أجرتنا ••

ووضعت سلمى الطرد على المنضدة ، وتناولت جـواز السفر من يد شفيق •• ودهشت سلمى وهـي تقرأ اسمها على الجواز « الآنسة سلمى التـرك » •• والتفتت الـى

شفيق لتقول : الجواز يحمل اسم « الآنسة سلمى الترك » يا شفيق . . أنا لا أدعى الآنسة سلمى الترك الآن. إنني السيدة سلمى عقيلة السيد شفيق وهبي .

فأطلق شفيق ابتسامة صفراء.وهمس : نحن لم نسجل زواجنا بعد في الدوائر الرسمية ، أنت ما زلت في سجلات الاحصاء الآنسة سلمى الترك . ويبدو أن هذا من حظنا ، لان التاجر البيروتي الكبير لا يريد ان يستخدم امرأة متزوجة ، فهو يفضل استخدام آنسة غير متزوجة ، لا تكون مسؤولة أمام زوجها ، ولا تكون مسؤولة عن اولادها .

وجازت الحيلة عليها ..ولم تعلم سلمى أن شفيقا تعمد اغفال أمر تسجيل زواجهما في دوائر الاحصاء ، لم تعلم ان شفيقا يحسب دائما حساب المستقبل ، فهو يخشى ان تقع سلمى في يد العدالة ، وعندئذ ، اذا اكتشف أمر سلمى ، واذا وقعت في قبضة العدالة ، فهو سيظل بعيدا عن كل شبهة ، فالمعتقلة عندئذ تكون الآنسة سلمى الترك ، لا السيدة سلمى زوجة شفيق وهبي ، وانصرفت سلمى الى الاستعداد للسفر .. ومع صباح اليوم التالي كانت سلمى تستقل سيارة تاكسي وتطير مع حقيبتها الى المطار .. وأبى شفيق ان يرافقها الى المطار، فهو قد ودعها في الدار وزودها ببعض النصائح الثمينة : انتبهي الى صحتك يا حبيبتي ،

وحافظي على الطرد •• لا تنسي اسم الفندق الذي ستحلين فيه • اسمه فندق ازاس ••• كلمات السر التي سيخاطبك بها باللغة الفرنسية عميل التاجر الكبير في أنقره هي : « كيف الحال في بيروت » اياك أن تنسيها •• أنا لن أستطيع مرافقتك يا حبيبتي الى المطار بسبب العمل •• فأنا مجبر على أن أكون في عملي في تمام الساعة الثامنة •

وهناك في المطار لم تثر سلمى اهتمام رجال الامن ، لم يكن منظرها البريء يوحي بأنها مهربة ، تحمل في حقيبتها كمية من الحشيش •• واحترم رجال الجمارك في المطار حرمة المرأة ولم يمعنوا في تفتيش حقيبة ثيابها الخاصة •• وصعدت سلمى الى الطائرة •• وطارت الطائرة بها الى تركيا ••

وهناك في مطار أنقره حطت الطائرة بها •• وكما حصل في مطار بيروت الدولي حصل في مطار أنقره •• ترجلت سلمى من الطائرة، ومرت بالدوائر الجمركية وبدوائر الامن دون ان تثير ريبة ، ولا اهتمام رجال الجمارك ورجال الامن •• واستقلت سيارة تاكسي وتمتمت في اذن السائق : الى فندق ازاس ••

وسارت السيارة بها في شوارع أنقره الفسيحة الارجاء الى الفندق الفخم الانيق •• وتقدمت من كاتب الفندق لتقول : أريد غرفة انيقة يا سيدي •

قال الكاتب : أرجو أن تسمحي لـي بجواز سفـرك لاسجل اسمك في سجل الفندق يا سيدتي .

وقدمت سلمى للكاتب جواز السفر .. ومـا أن اطلع الكاتب على الجواز حتى رفع نظره الى سلمـى ليقـول : الآنسة سلمى الترك ؟.. هناك غرفة في الفنـدق محجوزة باسمك منذ أمس ، انهـا الغرفة رقـم ٨٧ .. تفضلي . سيقودك الخادم الى الطابق الثامن ، الى الغرفة رقم ٨٧ ..

ودهشت سلمى .. من هو ذاك الذي حجز لها الغرفة في الفندق قبل أن تصل الى أنقره ؟.. ومن هو ذاك الذي علم بقدومها ؟.. يبدو أن التاجر البيروتي الكبير الـذي تعمل لحسابه ، رجل نبيل يهتم بأمور الموظفين لديه ..

وشكرت سلمى الكاتب وسارت وراء الخـادم الـى المصعد .. وحمل الخادم الحقيبة ، وصعدا معا الى الطابق الثامن .. وهناك سار الحاجب امامها حاملا الحقيبة في ممر ضيق طويل الى الغرفة رقم ٨٧ .. وفتح الخادم أمامها باب الغرفة فدخلت ، ودخل الخادم وراءها .. وألقـى الخادم بالحقيبة في الغرفة.وتمتم : هل هناك خدمة أستطيع أن أقوم بها لسيدتي ؟

قالت سلمى باللغة الفرنسية التـي تجيدهـا : لا .. شكرا .. خذ ، هذه لك .

قالت هذا ووضعت في يده قطعة نقدية أشرق لها وجه الخادم الامين .. وخرج الخادم ، وفتحت سلمى الحقيبة ، لتخرج منها ثياب النوم وتنزع عنها ثياب السفر ، ثم ترتدي ثياب النوم وتستلقي في السرير وتستغرق في نـوم هادىء عميق ، فالرحلة الطويلة الشاقة أتعبتها وانهكت قواها .

وطال رقاد سلمى .. ولم تستفق الا علـى رنين جرس الهاتف المتواصل يمزق سمعها .. واستوت في السريـر ، ومدت يدها الى الهاتف الجاثم على المنضدة البيضاء قـرب سريرها ، ورفعت السماعة الى اذنها وهمست آلـو .. من ؟.

قال الصوت : هنا الادارة ايتهـا الآنسة سلمى ، في الصالون رجل يريد مقابلتك .

قالت : من هو ؟

قال : لقد أبى أن يبوح باسمه ، يقول أنك تعرفينه ، هل تريدين مقابلته أم لا ؟..

وكادت سلمى تقول لا ، الا أنها تذكرت التاجر الكبير في بيروت ، وعميله في أنقره .. من يدري قد يكون هـذا الرجل القائم على انتظارها في الصالون ، هـو عميل التاجر البيروتي الذي تحمل له الطرد الثقيل الـوزن ، وهمست انني قادمة اليه ..

قالت هذا ، وألقت بالسماعة ، ثم وثبت من السرير لترتدي ثيابها على عجل ، ثم تخرج من الغرفة ، وتسير في الممر الضيق الطويل الى المصعد ، وتدخل الى المصعد ليهبط بها الى الطابق الاول من الفندق •• وسارت الى الصالون ، كان هناك في الصالون عدد من النساء والرجال، ولم يكن باستطاعتها أن تعرف من هو ذاك الرجل الذي ينتظرها بين اولئك الرجال •• ووقفت تنظر الى الجميع بعين شاردة حيرى •• وفجأة رن في آذنها صوت « كيف الحال في بيروت ؟ »

وتذكرت فجأة تلك الكلمات ، هذه هي كلمات السر•• والتفتت الى الوراء لتشاهد رجلا في العقد الخامس من العمر ، خط الشيب لمتيه ، الا أنه ما زال يحتفظ بقسط وافر من الشباب •• وابتسم الرجل لها •• وشجعتها ابتسامته على الكلام فهمست باللغة الفرنسية « نهارك سعيد » •

وتقدم ذلك الرجل منها ليقول : الآنسة سلمى الترك؟• أنا الرجل الذي تنتظرينه •

قالت : الطرد معي في الغرفة •

وهمس الرجل : لا ترفعي صوتك ، تكلمي بصوت منخفض ، أنا لن أستلم منك الطرد الآن ، دعيه معك وتعالي نشرب القهوة ••

قال الرجل هذا وسار أمامها الى مقعد طويل رجراج فجلس وجلست سلمى قربه •• وقال الرجل : أرجو أن تطلبي من الخادم أن يحضر لنا فنجاني قهوة ، أنا ضيفك الآن ، ولا يجوز لي أن أطلب القهوة •

فنادت سلمى الخادم اليها وطلبت اليه ان يحضر لهما فنجاني قهوة •• وذهب الخادم ليأتيهما بالقهوة بعد قليل•• وراحا يرشفان القهوة ويتحدثان •• وتجاذبا أحاديث عادية، كان يحدثها عن الطقس وعن الازياء وهو يتلفت حوله من حين الى آخر ، وكأنه يخشى شيئا ••

وانقضت نصف ساعة •• وتمتم الرجل : الطرد الذي تحملينه لي معك من بيروت سيظل معك الآن ، غدا صباحا سيأتي الى هنا شاب في مقتبل العمر ويطلب مقابلتك ، سيقول لك : أين العطر ؟ لا تتحدثي اليه بكلمة ، بل سلميه الطرد وعودي الى غرفتك • ولا تخرجي من الفندق لأنني سأعود الى الاتصال بك..ونهض الرجل يصافحها ويقول « الى اللقاء ».وخرج من القاعة بسرعة ••

ووقفت سلمى على دهشة ووجوم • ما هي هذه الالغاز والاسرار التي تحيط بها ؟•• لماذا لم يستلم الرجل منها الطرد ؟• ولماذا كان يتلفت حوله وهو يتحدث اليها؟•• ولماذا كان يبدو عليه القلق والاضطراب ؟•• ثم لماذا يريد ان يحتجزها في الفندق ؟••

كل هذه الاسرار الغامضة حيرتها واقلقتها وأثارت هواجسها وقلقها واضطرابها .. وعادت الى غرفتها لتستلقي في سريرها وتنصرف الى التدخين ... وحان موعد العشاء .. فخرجت من غرفتها في الفندق لتشخص الى غرفة الطعام .. وتناولت العشاء ثم مرت بمكتبة الفندق ، فاشترت بعض الصحف والمجلات والقصص ، وعادت الى غرفتها لتنزع عنها ثيابها ، وتستلقي في السرير وتنصرف الى المطالعة ..

ومضت الساعات الاولى من الليل وهي مستلقية في السرير تطالع وتدخن .. وبدأ النعاس يداعب اجفانها ، فألقت بالكتاب من يدها ، واطفأت النور ، واستغرقت في نوم عميق .. ودهمتها الاحلام المرعبة ، فشاهدت نفسها جالسة فوق فوهة بركان ، وكان ذلك البركان يقذف الحمم ، وكان الدخان يتصاعد حولها فيحجب عنها الضياء .. لم تكن ترى سوى ظلام دامس مدلهم كثيف .. وذعرت في الحلم ذعرا شديدا ، واشتد بها الذعر ، وهي تشاهد البركان يقذف بها مع الحمم فتتدحرج فوق الصخور .. وأخذت تصرخ وتولول .

واستفاقت فجأة لتجد نفسها ممسكة بالوسادة وهي تئن أنينا متواصلا .. وكان النور يغمر الغرفة ، ورمقت ساعتها بنظرة سريعة فاذا بالساعة تشير الى الثامنة من

الصباح •• ونهضت من السرير •• وقرعت الجرس ، فأقبل بعد قليل الخادم لينحنـــي أمامهـــا هامسا : بماذا تأمـــر سيدتي ••

قالت : الي بفنجان قهوة ••

وذهب الخادم •• وانصرفت سلمى الى غسل وجهها والى تسريح شعرها ، واذا بالخادم يعود بعد قليل حامـــلا لها القهوة •• وخرجت الى شرفة الغرفة تجلس علـــى مقعد صغير ، ترشف قهوتها وتدخن وتمتع نظرها بمشاهد قصور انقره ، وحدائقها وبناياتها وشوارعها •• كانت غرفتها مـــن الفندق في الدور الثامن كـــان باستطاعتها ان تستعـــرض العاصمة التركية وأن تتمتع بجمالهـــا الشرقي الرفيـــع •• وطالت جلستها على الشرفة •• وعجبت بما تشاهد عيناها من فتنة وروعة وجمال ••

وعادت الى الغرفة لتنزع عنهـــا ثياب النـــوم وترتدي ثيابها •• واذا بجرس الهاتف يـــرن في أذنيهـــا •• ورفعت السماعة هامسة : آلو •• من ؟••

قال الصوت : هنا الادارة يا سيدتي •• أمامي الآن شاب يريد مقابلتك •• يقول أنـــه يريـــد الصعود اليك لمقابلتك في غرفتك ، هل تسمحين بذلك ؟••

ووجمت سلمى • ماذا ؟•• هل تسمح لشاب غريب

لا تعرفه بأن يدخل الى غرفتها ؟.. ليست تدري .. ولكن .. ولكن هي تنتظر حضور هذا الشاب . من المؤكد أنه آت لاستلام الطرد ، وهي تريد أن تتخلص من هذا الطرد الذي حملته معها من بيروت دون أن تدري ماذا يحتوي .
وهمست سلمى : فليتفضل .. أنا بانتظاره ..

وألقت السماعة من يدها .. وجلست على المقعد وهي قلقة مضطربة حيرى .. لماذا هي قلقة ؟.. لماذا تحتار ؟.. ليست تدري .. ليست تدري .. وما هي لحظات حتى طرق باب الغرفة فقالت : تفضل ..

وفتح الباب .. ودخل منه شاب في مقتبل العمر ، يخفي رأسه تحت قبعة ، ويخفي عينيه وراء نظارتين سوداوين .. ودون أن يحييها همس « أين العطر ؟ » ..

فوثبت سلمى الى الحقيبة تفتحها وتخرج منها الطرد وتدفع به الى الشاب ..

وانحنى الشاب أمامها بكل احترام .. ثم خرج دون أن ينبس بحرف ..

وتنفست سلمى الصعداء وقد تخلصت من ذلك الطرد، كان كالعبء الثقيل على عاتقها ، الحمد لله .. لقد تخلصت منه .. ولكن متى تستطيع العودة الى بيروت .. فالرجل، ابن الخمسين عميل التاجر البيروتي أشار عليها بضرورة

البقاء في الفندق ريثما يعود اليها •• ولكن متـى سيعود اليها ؟•• ليست تدري ••

وخرجت من الغرفة لتشخص الى غرفة الطعام فتتناول طعامها ثم تعود الى غرفتها لتنصرف الى المطالعة•• وسئمت الاقامة في تلك الغرفة •• وودت لـو أنها تستطيع الخروج من تلك الغرفة ، ، أو بالاحرى هي تمنت لـو أنها تستطيع الخروج من الفندق •• ليت ابن الخمسين يعـود اليهـا ويطلق سراحها ، فهي مسجونة في تلـك الغرفة ، لا تستطيع الخروج ، ولا تستطيع التصرف كما تشتهي وتروم ••

وطالت اقامتها في الغرفة •• وعند الظهر تناولت طعـام الغداء في قاعة الطعام في الفندق ، وعادت الـى غرفتها لتنصرف الى المطالعة •• وفي الساعة السابعة من المساء رن جرس الهاتف في غرفتها •• وأمسكت بالسماعة ترفعها الى اذنها وتهمس : من ؟••

قال الكاتب : هنا الادارة •• في الصالون رجل يريد مقابلتك •

قالت : انني قادمة اليه •

قالت هذا وأسرعت بالخروج من الغرفة لتدلف الـى قاعة الاستقبال •• واذا بها وجها لوجه أمام ذلـك الرجل ابن الخمسين •• ووقف الرجل يصافحها ••

وجلس فجلست قربه •• وأشعل لفافة ليقول : أطلبي فنجاني قهوة ••

ونزلت سلمى عند طلبه ، وجاءها الخـــادم بالقهـوة فجلسا يدخنان ويرشفانها •• وتكلم الرجل بصوت خافت قال : ستسافرين الليلة عائدة الى بيروت ، يجب أن تكوني في المطار الساعة الحادية عشرة أي بعد أربـع ساعات •• ستجدين في المطار الشاب الـــذي تسلم منـك الطرد ، سيسلمك علبة حلوى •• تحملين هذه العلبة الـى السيد شفيق وهبي •• سيتظاهر الشاب بأنه خطيبك جاء لوداعك في المطار •• وسيعانقك •

فأجفلت سلمى •• يعانقها ؟•• هل تسمح لشاب غـير زوجها بأن يعانقها ••

فابتسم الرجل.وهمس : اطمئني ، معانقته اياك ستكون تمثيلا •• العمل يتطلب التضحية ، يجب ان يعانقك وعليك أن تتظاهري بالاسف والالم لفراقه ، وأن تمسحي دموعك وتقولي له : الى اللقاء يا حبيبي ••

ومضت سلمى في التفكير •• هذه المهمة شاقة ، هـي امرأة شريفة وزوجة مخلصة ، لا تسمـح لغير زوجها بـأن يلمس يدها •• ولكن •• ولكن العمـل يتطلب هـذا •• وعليها أن تقوم بعملها على أكمل وجه •• ونهض ابـــن

الخمسين يودعها ويتمم : رافقتك السلامة •• وخرج من الفندق ••

وأسرعت سلمى بالعودة الى غرفتها وقد اطمأنت بعض الاطمئنان •• الحمد لله • لقد أطلق سراحها •• هي ستعود الى بيروت وترتاح من هذه المشقات والصعاب والاعباء الثقيلة الوطء •• وجمعت ثيابها وألقت بها في الحقيبة •• ثم عادت الى الخروج من الغرفة لتدلف الى ادارة الفندق ووقفت أمام الكاتب تقول سأسافر الليلة ، أرجو ان تقدم لي فاتورة الحساب •

فابتسم الكاتب وتمتم : حسابك مدفوع أيتها الآنسة سلمى ، تستطيعين أن تسافري ساعة تريدين •

وارتسمت الدهشة في عينيها وسألته : من هو الذي دفع الحساب ؟

قال الكاتب : خطيبك أيتها الآنسة سلمى ••

وكادت تصرخ به : أنا ليس لي خطيب ، أنا امرأة متزوجة ، الا أنها تذكرت نصائح ابن الخمسين وتذكرت كلامه : « سيعانقك الشاب في المطار وكأنه خطيبك •• العمل يتطلب التضحية •• »

وصمتت •• وقفلت عائدة الى غرفتها وقلبها على تجهم وعبوس وانقباض •• ورمقت الساعة المشدودة الى

معصمها بنظرة سريعة .. ما زال أمامها ثـلاث ساعات .. هي ستقضي الساعات الثـلاث بالمطالعـة .. واستلقت في السرير ، وانصرفت الى مطالعة بعض المجـلات والصحف ، الا أنها لم تستطع أن تفقه معنى ما تقرأ ، كان القلق يستبد بها.وكان الاضطراب يهزهـــا ، وكانت الهواجس تحـوم حولها .. لماذا ؟.. ليست تدري لماذا ؟..

وحان موعد العشاء فرأت ان تتناول قليلا مـن الطعام قبل أن تخرج من الفندق ، وخرجت مـن غرفتها وشخصت الى غرفة الطعام .. وتناولت العشاء دون شهية ، ثم عادت الى غرفتها وبدأت تستعد للخروج من الفندق لتشخص الى

المطار تنفيذا لاوامر ابـــن الخمسين ، الغامض المكتنــف بالاحاجي والاسرار ٠

* * *

مطار أنقره في تركيـــا يعــج بالجماهير ٠٠ فهنــاك القادمون والمسافرون ، والمودعون والمستقبلون ٠٠ وصوت المذيع يتعالى عبر مكبرات الصوت معلنا حينا عــن قدوم طائرة ، وحينا عن اقلاع طائرة ٠٠ ووصلت سلمى الى المطار قادمة في سيارة تاكسي.وأسرع حمالو المطار اليها يحملون حقيبتها ويسيرون أمامهــا ٠٠ وسارت سلمــى وراءهم ، وراحت تبحث عن ذلك الشاب الذي تسلم منها الطــرد ٠٠ أين هو ؟٠ هي لا تشاهده بين الجماهير ٠

وسارت ، سارت على غير هدى ، سارت وسط تلك الجموع المحتشدة في المطار ، كما يسير القارب وسط يــم هائج متمرد غضوب ٠٠ هي لا تعلم شيئا ٠٠ لا تعلم في أي طائرة ستسافر ٠٠ ولا تعلم ماذا عليها أن تفعل ، ولا تعلم من يجب أن تراجع في أمر سفرها ٠٠ ووقفت سلمى علــى وجوم وتفكير ٠٠ ماذا عليها أن تفعل ؟ هــل تعــود الــى الفندق ؟٠٠ هل تظل في وقفتها هناك ؟ هل تتقدم ؟٠٠ هل تتراجع ؟ ليست تدري ٠٠ ليست تدري ٠٠ وفجأة سمعت صوتا يناديها : سلمى !٠٠

والتفتت لتجد نفسها أمام ذلك الشاب وجها لوجه ٠٠ كان الشاب كما شاهدته في غرفتها في الفنــدق ، يرتــدي

القبعة ، ويضع على عينيه النظارتين السوداوين ؛ وهو يحمل بيده علبة حلوى ..

وتمتمت سلمى عفوا ودون انتباه : جئت ...

فتقدم منها يمسك بيدها ، ويدفع اليها ببطاقة السفر هامسا : تسافرين في طائرة شركة طيران الشرق الاوسط ، وهذه هي البطاقة ، بعد ساعة تقلع الطائرة .. سنقضي هذه الساعة معا .. تعالي ، تعالي نجلس في بار المطار ..

وسار نحو البار فسارت وراءه .. والتفتت سلمى الى الوراء عفوا ، فشاهدت رجلين يسيران وراءهما .. وأمسك الشاب بيدها وهمس : لا تلتفتي الى الوراء .. سيري معي ..

وسارت معه .. وشخصا الى البار .. ولاحظت سلمى أن الرجلين ما زالا يتتبعان خطواتهما فاضطربت .. ولاح من الشاب أنه مضطرب أيضا .. ووصلا الى البار.. وجلس على مقعد جلدي رجراج ، وجلست سلمى قربه .. وكان الرجلان قد دخلا وراءهما أيضا الى البار وجلسا وراءهما .. ووضع الشاب علبة الحلوى أمامه على الطاولة، ثم أخرج محفظته من جيبه وفتحها .. وكان في المحفظة مرآة راح الشاب يحدق بها ليشاهد الرجلين الجالسين وراءهما .. واشتد الاضطراب بالشاب .. وهمس في أذن

سلمى : بعد قليل تأخذين هـــذه العلبة وتقفين لتودعيني وتعانقيني وتسيري الى قاعة المسافرين .

ولم تجب سلمى بحرف .. وأشعل الشاب لفافة لـــه ولفافة لسلمى وراح يتحدث اليها باللغة الفرنسية وبصوت عال قال : أرجو ألا يطول غيابك يا حبيبتي ، ستكون أيامي باردة كالثلج ، تافهة لا طعم لها ولا لون وأنا بعيد عنك ..

واحتارت سلمى بماذا تجيب .. واكتفت بالابتسامـة تطلقها صفراء بلون وجهها .. وجاء الخادم ينحني أمامهما فتمتم الشاب : هات فنجاني قهوة .

وذهب الخادم ليعود بعد قليل حامــلا لهما القهوة .. وراحا يرشفان القهوة ويتحدثان .. وانتهما مـــن رشف القهوة ، فغمز الشاب سلمى بعينه وكأنه يقول لها : انهضي .. ونهضت سلمى .. وتناولت علبة الحلوى بيدهـا .. ووقف الشاب ، وفتح لها ذراعيه وعانقها متمتما : الى اللقاء القريب يا حبيبتي ، الى اللقاء ..

وهمست سلمى : الى اللقاء .. وقبل أن تخطو خطوة واحدة ، كان الرجلان الجالسان وراءهما قد وقفا وشهــر مسدسيهما وصرخا بالشاب باللغة الفرنسية : بول فاريم !.. ارفع يديك ..

وذعرت سلمى وهي تشاهـــد المسدسين في يـدي

الرجلين •• ووقف الشاب على ذعر ••

وتكلم أحد الرجلين قال : نحن من رجال الشرطة • اياك ان تبدي حركة •• ارفع يديك ••

ولم يرفع الشاب يديه ، بل هو رفع يدا واحدة ممسكة بمسدس •• وتراجع الى الوراء ليطلق النار بسرعة على الرجلين ••

وبادله الشرطيان الرصاص بالمثل •• وعلا أزيز الرصاص •• ودب الذعر في قلوب الجميع ، فأخذ المسافرون والقادمون والمستقبلون والمودعون يهربون •• ووقفت سلمى قرب ذلك الشاب بول فاريم ترتجف من الخوف والذعر •• والرصاص يتساقط حولها كهطول الامطار ••

٢٥ الزنبقة الصريع

دافع المهرب بول فاريم عـن نفسه دفاع المستميت ، فراح يطلق الرصاص على مفتشي الامـن بكـامل قساوة ووحشية واستبسال .. فهو يعلم أي مصير سيكون مصيره اذا وقع في أيديهما .. اذا خانته الشجاعة وتخلـى الحظ عنه ووقع في الشـرك المنصوب له ، فـان مصيره سيكون السجن الطويل . عليه اذن أن يدافع عن حريته . عليه أن يصرع هذين المفتشين الطامعين في اعتقاله .. لا ، بول فاريم لن يستسلم لهما ، ولن يمد لهمـا يديـه ليضعا في يديـه السلاسل والقيود .. وموقف بول فاريم ذاك ، لـم يكـن الموقف الاول في تاريخ حياته الاجرامية ، فهو قد وقف مثل هذا الموقف الخطر الرهيب مرارا عديدة .. وفي كل مـرة كان ينجو من الفخ المنصوب أمامه بأعجوبة خارقة ، الحظ

لم يتخل عنه ، والشجاعة لم تخنه مـرة واحدة •• وهـو سينجو الآن كما نجا في كل مرة ••

واستبسل مفتشا الامن في مطاردة الشقي ، فلم يكن رصاصه المنهال حولهما ليخيفهما ، ولا ليقعد بهما عن المضي في مهاجمته •• واستأسد المفتشان في الهجوم ، واستبسل المهرب الشقي في الدفاع •• وكادت الرصاصات القليلة أن تنفذ من مسدس بول فاريم السريع الطلقات •• وأدرك أنه سيقع في قبضة المفتشين اذا نفذ الرصاص من مسدسه قبل أن يتمكن من الهرب ••

عليه اذن أن يجد طريقا للهرب قبل ان ينفذ الرصاص من مسدسه الكبير •• وتلفت المهرب حولـه علـى سرعة واندفاع باحثا عن سبيل للهـــرب •• وشاهـد الصبيـة الحسناء ، سلمى الترك ، لا تزال واقفة وراءه وعلبة الحلوى في يدها والهلع يطل من عينيها وهي حائرة لا تعلـم مـاذا عليها أن تفعل •• وبأسرع من لمح البصر كان بول فاريـم يقفز الى الوراء ، الى وراء سلمى •• وأصبحت سلمى أمامه هدفا للرصاص المتساقط حولها بكثرة وسرعة واندفاع •• وأمسك المهرب بكتف سلمى يتقي بها رصاص المفتشين وقد خيل اليه أن المفتشين سينقطعان عن اطلاق الرصاص خشية أن يصيبا الفتاة ، ولكن الرصاص ظـل ينهمـر حولـه ، والمفتشان أدركا ما يرمي اليه المهرب الكبير ، وهمـا ليسا

بغريبين عن حيل المهربين وعن مكرهم وخبثهم وخداعهم ، أدركا أن بول فاريم يحاول الهرب ، وأنه يريد أن يتخذ من شريكته الفتاة المهربة ستارا ، أو بالاحرى حصنا يتقي به رصاصهم ليتمكن من الفرار ..

ومضى المفتشان في اطلاق الرصاص على المهرب الكبير محاولين جهدهما عدم اصابة الفتاة ، الا أن محاولتهما لم تتكلل بالنجاح ، فقد اصيبت سلمى برصاصة استقرت في رأسها فهوت على الارض تتخبط بدمائها ، ووقعت علبة « الحلوى » من يدها قربها ..

وذعر بول فاريم وهو يشاهد الفتاة تخر صريعا قربه.. وأطلق ساقيه للريح بعد أن خسر السور الذي كان يحميه محاولا الهرب .. واذا بالرصاص يلاحقه ليثقب ظهره ويلقي به في الارض والدماء تنزف منه .. ووثب المفتشان الى الفتاة ، فاذا بها تلفظ أنفاسها .. وانتقلا الى المهرب ، فاذا به يعاني الآلام المبرحة والدماء تنزف بكثرة من جراحه العديدة ..

وما هي الا دقائق قليلة حتى كانت سيارة الاسعاف تنطلق الى مطار أنقره لتنقل الجريحين الى المستشفى الحكومي .. وتناول المفتشان علبة الحلوى ولحقا في سيارتهما بالجريحين الى المستشفى ..

وهناك في المستشفى انصرف الاطباء الـى معالجـة سلمى وبول •• ووثب المفتشان الـى الاطباء بسألانهم : ماذا ؟•• هل هناك من خطر على حياتهما ؟•

ورد كبير الاطباء : هناك خطر شديد على حياة الفتاة ، أما الشاب فالخطر غير شديد عليه ، ونحن جادون في محاولة الانقاذ •

وتبادل المفتشان نظرات سريعة وهمس أحدهما ــ وهو مفتش أمن أميركي تابع لمنظمة البوليس الدولي ــ في أذن المفتش الثاني التركي : نريد أن يظل الاثنان على قيد الحياة كي ، نستطيع انتزاع ما في صدريهما من أسرار •

قال المفتش التركي : يجب ان نستمع فـورا الـى افادتهما •

قال المفتش الاميركي : لا تحاول المستحيل ، فالاطباء لن يسمحوا لنا بالتحقيق مع متهمين على فراش الاحتضار ، علينا أن ننتظر ريثما تنتهي معالجة الاطباء لهما ••

وانتظرا •• انتظرا زهـاء ساعتين •• وبعـد ساعتين خرج الاطباء من غرفة الجراحة والاسف باد على وجوههم •• ووثب الاميركي اليهم متمتما : ماذا •• هل وفقتم فـي انقاذ حياتهما ؟•

قال كبير الاطباء : انني لآسف أن أعلن لـك مـوت

المرأة الحسناء ، أما الشاب فقد وفقنا في انقــاذ حياته ، الا أنه سيعيش العمر مشوها ، فقد اضطررنا الـى قطع يــده اليمنى التي حطمها الرصاص تحطيما كليا ونخر عظامها نخرا.

قال المفتش الاميركي : هل نستطيع ان نطرح عليــه بعض الاسئلة ؟

قال الطبيب : هــو مـا زال تحت تأثير التخديـر ، ستستطيعان أن تتحدثا اليه بعد ثلاث ساعات •

قال المفتش : نريد أن نفتش جيوب المــرأة القتيــل وحقيبتها التي كانت بيدها •

قال الطبيب : كل ما كان مـع المرأة القتيل هــو في الادارة ، تفضلا الى ادارة المستشفى واستلما كل اغراضها وحقائبها ••

وشخص المفتشان الـى ادارة المستشفى ؛ وهنـاك تسلما حقيبة ثياب سلمى ومحفظتها ، وفتحا الحقيبة ، فلم يجدا فيها سوى ثياب سلمى •• وفتشا في المحفظة فوجــدا جواز السفر وهو باسم « الآنسة سلمى الترك » •

اذن المراة القتيل ليست متزوجة هــي ، آنســة •• ووجدا صورتين ، صورة فتــاة تشبه الفتاة القتيل ، هــي صورة شقيقتها نجلاء ، وصورة شاب تلوح علـى محيــاه علائم المكر والخبث والدهاء ــ هو زوجها شفيق وهبي ــ

كما وجدا أيضا بعض ادوات الزينة ، قلم « روج » وعلبه بودرة ، ومشطا ومرآة ومنديلا ، وبعض الاوراق النقديـة اللبنانية •

اذن الآنسة سلمى الترك لبنانية ، جواز سفرها لبناني، وهي تحمل النقد اللبناني ••

وصادر المفتشان الحقيبـة والمحفظة ، وعادا الـى الاتصال بكبير الاطباء ، وسأل المفتش الاميركي الطبيب : هل القتيلة عذراء أم امرأة ؟

قال كبير الاطباء : أنا منصرف الآن الى وضع التقرير الطبي ، القتيل امرأة وليست عذراء ••

وحمل المفتشان الحقيبة والمحفظةوعلبة الحلوى وأسرعا بالعودة الى مديرية الشرطة •• وهناك في المديرية ، فتحـا علبة الحلوى •• وكانت العلبة ملأى بالحلويات التركية ••

وراح المفتش الاميركي يفتش العلبـة تفتيشا دقيقـا وأفرغ بعض ما فيها ليجد في داخلها بين الحلوى ، علبة من نحاس ، وفتح تلك العلبة النحاسية ، فاذا بها تحتوي على كمية كبيرة من الكوكايين •••

وتبادل المفتشان نظرة سريعة ، ولمعت الابتسامة على الشفاه • لقد وفقا في مصادرة كمية من المخدرات ، واعتقلا مهربا كبيرا بعد مطاردة عنيفة ••

وتمتم المفتش الاميركي : لم يخطىء ظننا أيهـا الزميل العزيز ، لقد كان بول فاريم مهربا كبيرا... نحن ، البوليس الدولي ، نطارده ونراقبه منذ أمد بعيد . وقد لحقت به أنا كما تعلم ، من فرنسا ، الى ايطاليا ، الى تركيا . وهنـا في تركيا تمكنت بمساعدتكم من اعتقاله ، ولكن لم نعتقله الا بعد أن صرعنا شريكته ، على كل فنحن سنقف منـه علـى أسرار هامة وسنتمكن من اعتقال جميع شركائه .

وتمتم المفتش التركي : الحقيقة أيها الزميل العزيـز « تجوي » هي أن المهربين الدوليين يعملون بتكتم شديد ، وقد أصبح لهم وسائلهم الغريبة في تهريب المخدرات ، وهي وسائل ما زلنا نجهل اكثرها حتى الآن .

قال المفتش « تجوي سيتراك » : ما دام هناك بوليس دولي تتعاون مع المنظمة تحت رايته ، فلن يستطيع المهربون أن يواصلوا نشاطهم .. علينا الآن أن نحقـق مـع المهرب بول فاريم ، لقد انقضت الساعات الثلاث التـي حددهـا الطبيب . هيا بنا الى المستشفى ..

وعاد المفتشان الى المستشفى الحكومي ، واستأذنا من كبير الاطباء بالدخول الى غرفة المهرب الجريـح للاستماع الى افادته ، الا ان كبير الاطباء لم يسمح لهما بالتحقيق مع الجريح قال: الجريح ما يزال يعاني الآلام المبرحة الآن ، وليس من الانسانية أن ترهقا اعصابه باسئلتكما المحرجة .

قال المفتش تجوي : أنا يا سيدي أحد أعضاء منظمة الشرطة الدولية ، وقد جئت منذ اسبوع الى بلادكم مقتفيا أثر هذا المهرب ، وأريد العودة الى مقر اعمالي كي ارفع تقريري لرؤسائي ، ولا استطيع البقاء في تركيا طويلا • أرجو أن تسمح لنا بالاستماع الى افادة الجريح الآن •

قال الطبيب التركي : ان الطبيب ينظر بعين الانسانية، وهي غير النظرة التي ينظر بها الشرطي يا سيدي ، الطب لا يسمح بإرهاق جريح موجوع ايا كان هذا الجريح الموجوع ، أنا لا أستطيع الآن أن أسمح لكما بالتحقيق مع هذا الجريح • ولكن اذا شئتما أن تدخلا الى غرفته كزائرين للاطمئنان على صحته ، فأنا على استعداد للسماح لكما بذلك •

قال المفتش التركي : لا بأس • سندخل الآن عليه فنطمئن الى سلامته ، ونعود غدا للتحقيق معه •

قال الطبيب : ستقودكما المرضة الى غرفته ، ولكن أرجوكما ألا تطرحا عليه أي سؤال الآن ، ان أعصابه الواهية لا تتحمل الارهاق الآن •• ونادى الطبيب المرضة اليه ليقول : رافقي المفتشين الى غرفة بول فاريم •

وسارت المرضة أمام المفتشين الى غرفة بول ، ودخل المفتشان وراء المرضة الى غرفة الجريح •• وكان بول مستلقيا في السرير ، وهو مقطوع اليد ، يئن أنينا متواصلا

مؤلما •• وأدرك المفتشان أن الطبيب علــى حــق ، وأنــه لا يجوز ارهاق الجريح بالاسئلة المحرجة وهو على تلــك الحال •• وخرجا من الغرفة ليعودا الــى مديرية الشرطــة وينصرفان الى وضع تقريرهما بما حدث ••

وسمحت السلطات بدفن جثة سلمى الترك ، سلمــى البائسة التي سارت في طريق الدموع حتــى النهاية ، انــه الطريق الممهد أمام كل فتاة تشذ عن طريق الصواب ••

هناك طرقات وسبل عديدة أمام الفتاة ، وكــل طريق يصل بالفتاة الى مكان ، طريق الخير يصل بها الى الصلاح، وطريق السـلام يصل بها الى السعادة ، وطريق الشر يصل بها الى الشقاء ، وطريق الدموع يصل بها الــى القبر •• وعلى الفتاة ان تختار الطريق الذي تريد •• يــوم ربطت سلمى مصيرها بمصير ذلك المجرم الشريــر شفيق وهبــي اختارت لنفسها طريق الدموع • وطريــق الدمــوع كانت نهايته عند باب الضريح •

يا لها من فتاة بائسة منكودة الحظ ، لم تسعد يوما واحدا في حياتها ، لقد قضت حياتها القصيرة علــى هــذه الارض الفانية بالشقاء والتعاسة والبؤس والعذاب والدموع

•• وكأن الله عز وجل أشفق عليها وقد تعبت من المسير الطويل في طريق الدموع المحفوف بالاشواك والصخور والوحول فأراد أن يختصر طريقها ويخفف من عذابها ، ويكفكف من دموعها ، فوضع النهاية الدامية لحياتها القصيرة على هذه الارض الفانية الغبراء ••

٢٦ عصابة دولية

انصرف المفتش الاميركي تجوي سيتراك وزميله المفتش التركي الى التحقيق مع المهرب الدولي بول فاريم .. وكان بول لا يزال في المستشفى ، كان مستلقيا في سريره الناصع البياض ، مقطب الحاجبين ، يجيب على اسئلة المفتش تجوي بكل مكر وخبث ودهاء ، في حين كان المفتش التركي يدون الاسئلة والاجوبة باهتمام كلي ..

وسأل المفتش تجوي المهرب بول فاريم : من هم شركاؤك في عصابة التهريب يا بول ؟

فتمتم بول فاريم بلا مبالاة وباقتضاب : انا لست مهربا وليس لي شركاء .

فابتسم المفتش الاميركي وتمتم : انت لن تستطيع

الانكار بعد ان صادرنا علبة الحلوى مــن شريكتك فــي في العصابة وعثرنا فيها على الكوكايين ، الاعتراف يخفف من وطأة الجريمة ويحمل اليك عطف القضاة .

قال بول بعد صمت قصير : العلبة لم تكن لي ، انها للفتاة التي كانت تحملها .

فاتسعت الابتسامة على شفتي تجوي وتمتم : لقـــد اعترفت لنا الانسة سلمى الترك بكل شيء ، الانكـــار لن يفيدك شيئا يا بول ..

كان المفتش تجوي يريد ان يوهم المهرب بأن رفيقته لا تزال على قيد الحياة ، وانها افشت اسرار العصابة كلها كي يستطيع انتزاع الاسرار من صدر المهرب الجريح .. ووفق في المحاولة ، فظهر الاضطراب على وجه المهرب المقطــوع اليد ، وانغمس في صمت عميق بارد كئيب .

وعاد المفتش تجوي الى الكلام ليقول : الانسة سلمى تقول انك سلمتها علبة الحلوى ، وانك انت الذي اخفيت في علبة الحلوى علبة الكوكايين ، فماذا تقول انت ؟

قال : الانسة سلمى تكذب ، هذا غير صحيح .

قال المفتش : ومن هو اذن ذاك الذي سلمها علبـة الحلوى ؟

قال : لست ادري •

قال المفتش : ولكن الانسة سلمى كانت برفقتك في المطار ، وقد رأيناك جالسا واياها تتحدثان •

قال : هذا صحيح •

قال المفتش : كيف تفسر وجودك في المطار معها ؟

قال : الانسة سلمى صديقتي منذ امد بعيد ، وقد التقيت بها في المطار عفوا •

قال المفتش : اسمع يا بول ، انكارك لن يفيدك شيئا بعد ان اعترفت لنا سلمى بكل شيء ، انا اعرفك منذ امد بعيد ، وانني اطاردك منذ شهور بعيدة •

قال المفتش تجوي هذا واخرج مفكرته من جيبه وفتحها ليقرأ فيها :

في العاشر من شهر اذار •• الساعة الثامنة صباحا كنت في مقهى « سان شارل » في باريس •• كنت تجلس مع المهرب الدولي موزيل ••

وفي الثاني عشر من نيسان ، كنت في فندق « مارتيني » في روما وقد اجتمعت برئيس عصابة التهريب البيرتو زوماسي ••

وفي الرابع من شهر ايار كنت هنا في انقره ..

واعاد المفتش المفكرة الى جيبه ، والتفت الى بول ليقول له : لقد اقتفيت اثرك من باريس الى روما الى انقره ووقفت على جميع اتصالاتك وعلى جميع اعمالك .. جميع الذين اتصلت بهم في رحلتك هذه اعتقلوا واعترفوا بكل ما لديهم من اسرار .. وكلهم اجمع على انك تقوم بصفقات تهريب ضخمة ، وتهرب اصناف المخدرات من بلد الى بلد .. كنت اريد ان اعتقلك بالجرم المشهود ، وها قد تم لي الان ما اردت ، فاعتقلتك وانت تقوم بتهريب كمية من الكوكايين بواسطة سلمى الترك .. نصيحتي إليك ان تعترف يا بول .. اعترافك كما قلت لك يخفف من وطأة الجريمة .

فدهش بول وهو يسمع كلام المفتش الاميركي ، كل ما قاله المفتش صحيح ، فهو قد اجتمع في باريس بالمهرب الدولي موزيل ، اجتمع به في مقهى « سان شارل » في العاشر من شهر اذار الساعة الثامنة صباحا .. وفي فندق « مارتيني » في روما اجتمع بالمهرب الكبير البيرتو زوماسي .. كيف استطاع هذا المفتش اللعين ان يقتفي اثره دون ان يشعر به ؟ .. ليس يدري ..

وادرك بول ان لا مناص له من الاعتراف ، فالمفتش

الاميركي واقف على جميع اسراره .. وسلمى فضحته كما يقول هذا المفتش فهي قد اعترفت بكل شيء .. اعتصامه بالنكران لن يجديه نفعا ، ليس أمامه إلا الاعتراف..

واعترف بول بكل شيء .. اعترف باسماء شركائه في العصابة .. لماذا يدخل وحده الى السجن ويظـل افـراد العصابة في مأمن من كل شر ؟ .. لا ، بول لن يدخل وحده الى السجن ، لقد ضحى بالكثير من اجل العصابة ، وها ان يده قطعت وهو الان طريح الفراش في المستشفى ، وسيخرج من المستشفى ليذهب توا الى السجن .. لن يذهب وحده الى السجن ، فليذهب معه جميع افراد العصابة ، ان امـر العصابة فضح الآن، وليس ثمة أي مجال للإنقاذ، هو سيعترف كما اعترف الجميع، ويريح نفسه من عناء التحقيق المتعب الشاق الطويل.

واعترف بول بكل شيء .. اعترف ان مركز العصابة الرئيسي هو في باريس ، وان للعصابة فروعـاً في اليونان وايطاليا وتركيا وليبيا .. وبعض الدول العربيه .. و .. ولبنان . وادلى باسماء بعض افراد العصابة .. وكان اسم شفيق وهبي بين تلك الاسماء

واطمأن المفتش تجوي وقد وفق في المهمة المنتـدب للقيام بها خير توفيق .. وعاد مع زميله المفتش التركي الى

مديرية الشرطة ليطلعا مدير الشرطة على افادة بول فاريم ••
وارتاح مدير الشرطة التركي •• منذ امد بعيد ورجاله يطاردون المهربين ، الا انهم لم يستطيعوا ان يتوصلوا الى ما توصل اليه هذا المفتش الاميركي ، العامل في منظمة البوليس الدولي ـ الانتربول ـ •• وجمع مدير الشرطة رجاله وامرهم باعتقال جميع الذين وردت اسماءهم في افادة المهرب بول ••

وشن رجال الشرطة حملة شعواء على المهربين ، واعتقلوا الكثيرين منهم ، وانصرفوا الى التحقيق معهم تمهيدا لاحالتهم الى القضاء ••

وعاد المفتش تجوي الى الاجتماع بمدير الشرطة ليقول : علينا الان ان نتابع مطاردة افراد هذه العصابة الخطرة في جميع البلدان •

قال المدير : يجب ان نبرق الى زملائنا في لبنان ، فنطلعهم على مقتل الفتاة اللبنانية سلمى الترك ، ونطلب اليهم اعتقال المهرب اللبناني شفيق وهبي •

فابتسم المفتش تجوي وهمس : لا يا سيدي لا يجوز ان نودع البرق او البريد مثل هذه الاسرار الهامة ، اذ مهمتي لم تنته بعد ، فأنا مكلف بزيارة لبنان ايضا ، سأسافر غدا الى لبنان لاتابع القيام بهذه المهمة الشاقة المتعبة •

قال المدير : فليأخذ الله بيدك ، وليسدد خطواتك في طريق التوفيق والنجاح ••

قال تجوي : شكرا يا سيدي ، وكل ما ارجوه منكم هو ان تطلعوا منظمة البوليس الدولي على التحقيقات التي تقومون بها هنا مع المهربين ••

قال المدير : اطمئن •• تقريرنا سيصل الى المنظمة الدولية خلال ثلاثة ايام •

وشكر تجوي المدير على مساعدته •• وخرج من مكتبه ليسرع الى البريد يودعه تقريره حول مطاردة بول فاريم واعتقاله ، ومقتل سلمى الترك واعتقال جميع افراد العصابة في تركيا •• وقال في نهاية التقرير : « انا سأغادر انقره غدا الى بيروت لمتابعة القيام بالواجب المفروض » •

* * *

شفيق وهبي يقيم على قلق وحيرة واضطراب ، سلمى لم تعد حتى الان وقد مضى على مغادرتها بيروت زهاء اسبوعين ، كان عليها ان تعود بعد يومين او بعد ثلاثة ايام من سفرها •

لماذا تأخرت سلمى في العودة ؟ ماذا اصابها ؟ ماذا اصابها ؟ ماذا حل بها ؟ •• ايكون امرها قد اكتشف ؟ اتكون قد اعتقلت ؟ وهب انها اعتقلت في تركيا ، ماذا سيكون ؟ • ماذا سيكون ؟

اذا اعتقلت ، فرجال الامن سيحققون معها تحقيقـــا دقيقا ، وسيقفون منها على كل شيء •• هي ستقول لهم : انا زوجة شفيق وهبي الموظف في شركة الاعمال المصرفية وسيبرق رجال الشرطة في تركيا الى زملائهم في لبنـــان ويطلعونهم على قصة اعتقال سلمى وعلى افادتها واقوالها •• وبعدئذ ماذا سيكون ؟ ماذا ؟ •• سيثب رجال الشرطة في بيروت اليه ويعتقلونه ويزجونه في اعماق السجون ••

واشتد القلق بشفيق وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد •• وراح يفكر مجدّداً بما يجب عليه ان يفعل •• مـــاذا عليه ان يفعل الان ؟ • هل يهرب ؟ والى اين سيهرب ؟ هل يظل في عمله وفي داره ؟ هل ينتقل من تلك الدار الى دار أخرى؟. هل يبحث عن عمل في غير الشركة المصرفية؟ هل يسافر؟ ليس يدري، ليس يدري . .

وطافت الافكار المقلقة السوداء في رأسه •• وعجـــز عن الجواب على سؤال واحد من تلك الاسئلة التي تمخر عباب تفكيره.واقام شفيق على حمم ولهب ونار بانتظـــــار مفاجأة مؤلمة رهيبة ••

كان يعلم شفيق ان هناك مفاجأة مخيفة تنتظره ،ولكن ما هي تلك المفاجأة ؟ •• ليس يدري • وطال انتظار شفيق، وطال مع الانتظار القلق والاضطراب •• ولم يكن ليستقر

على حال .. وكان يخرج في الصباح الى عمله وهو شارد الذهن .. وبعد انتهاء العمل يعود الى الدار ، وتكون نجلاء قد هيأت (للصهر العزيز) الطعام فيتناول الغداء معها ، ثم يخرج من الدار ليزور بعض الزملاء المهربين ، ويتباحث معهم في امور العصابة وفي قضية تأخر عودة سلمى .. وفي المساء يشخص كعادته الى الملاهي والنوادي والمراقص والمواخير فيجتمع بعشيقاته من بنات الليل ، ويسكر ويقامر ويجشش معهن .. ولا يعود الى الدار الا في ساعة متأخرة من الليل .. وتكون نجلاء قد استسلمت للنوم العميق .

واذا بالمفاجأة التي ينتظرها شفيق تبزغ ، فقد اتصل به احد زملائه المهربين هاتفيا ذات يوم ليقول : شفيق يجب ان اراك لأمر مهم ..

قال شفيق : سأراك كالعادة في المساء .

قال الزميل الكريم : لا ، يجب ان اراك الان .

قال شفيق : انا الان في عملي بالشركة ، ولا استطيع الخروج من الشركة قبل الساعة الثانية بعد الظهر .

قال الزميل : سأنتظرك اذن في المقهى على شاطىء البحر في الساعة الثانية ، الامر مهم كما قلت لك .

واشتد القلق بشفيق،وزميله يطلب الاجتماع به ويقول ان الامر مهم .. وما دقت الساعة الثانية من بعد الظهرحتى كان شفيق يخرج من مكاتب شركة الاعمال المصرفيــــة ويشخص الى ذلك المقهى المتواضع الجاثم علــــى شاطىء البحر ، حيث يجتمع عادة مع الزملاء الاعزاء الكرام .

٢٧ النبأ المخيف

جلس شفيق قرب زميله في التهريب يرهف اذنيه لما يقول الزميل العزيز .. ووجم شفيق وهو يسمع ما ينطق به ذلك الزميل ، وكانا يجلسان في ذلك المقهى الوضيع الجاثم على شاطىء البحر الساجي ، المنبسط الامواج ، كأنه صفحة من فضاء واسع رحيب ..

وتمتم شفيق بذعر : ماذا تقول : رجال الامن اكتشفوا الامر ؟

قال المهرب الكريم : هذه هي الحقيقة ، لقد دهم رجال الامن زميلنا الفرنسي بول فاريم في المطار ، واصيبت سلمى برصاصة في رأسها قضت عليها ، وسحق الرصاص ذراع بول وحطمها

قال شفيق والقلق والذعر يطلان من عينيـــه : اذن قتلـت سلمى ؟

قال المهرب : اجل قتلت .

قال شفيق : انها لخسارة فادحة ، كنت سأعتمد عليها في تهريب المخدرات الى تركيا والى فرنسا ، والى ايطاليـا والى سائر انحاء العالم . كنت اريد ان اجعل منها مهربـة ماهرة ، نصدر ونستورد بواسطتها انواع المخدرات ، لقد خسرنا وسيلة ناجحة للتهريب .. يا لها من خسارة ، يا لها من خســارة ..

بهذه الكلمات رثى شفيق زوجته سلمى ، هو لم يأسف لخسارة تلك الزوجة البائسة المخلصة الوفية التي ضحت بكل شيء ، حتى وبحياتها من اجله ، لا ، لم يأسف على سلمى ، بل هو اسف ، لانه خسر بموت سلمى وسيلة ناجحة مـن وسائل التهريب ..

وهمس الزميل العزيز : اسمع يا شفيق ، علينا ان نكون حذرين ، بعد ان وقع زملاؤنا في تركيا بالفخ ، من المؤكد ان رجال الامن في تركيا اطلعوا على جواز سفر سلمـــى وعلموا انها زوجتك ، وهم سيعلمون زملاءهـم في لبنان ، وسيعمد رجال الامن الى هنا الى مراقبتك ، وربما عمدوا الى اعتقالك .

ولمعت ابتسامة زاهرة زاهية على شفتي شفيق فقال : أهذا ما يخيفك ؟

قال الزميل الكريم : اجل •• هذا ما يخيفني ، وهذا ما يجب ان يخيفك ايضا ، ويخيف كل واحد من افراد العصابة ••

واتسعت الابتسامة على شفتي شفيق.وتمتم : اطمئن ، شفيق وهبي ليس بالشاب الساذج كي يقع مثل هذه الوقعة السوداء ، صديقك شفيق يتخذ كل حيطة ، وينظر الى البعيد • أيخيل اليك انني من البلاهة عند حد ارسل فيه زوجتي الى تركيا محملة بالمخدرات ، لتعود الي محملة بالمخدرات ؟

فارتسمت الدهشة على شفتي المهرب وتمتم : ماذا تعني؟.. أليست زوجتك هي تلك المرأة التي صرعت في مطار أنقرة؟..

فاوماً شفيق برأسه هامسا : هي بعينها •

قال المهرب : الا تكون سلمى زوجتك ؟

وتمتم شفيق : بل هي زوجتي ••

قال المهرب : لم افهم شيئا ••

فربت شفيق على كتف زميله وهمس : اسمع يا اخي

العزيز ، سلمى الترك زوجتي ، تحمل جواز سفر باسم الانسة سلمى الترك ، انا صحيح تزوجت من سلمى الا انني لم اسجل هذا الزواج في سجلات الاحصاء ، بسلمى في نظر الدولة ، وفي نظر القانون لا تزال فتاة عزباء .

وعرفت شفتا المهرب الكريم اخيرا الابتسام وتمتم : يا لك من شاب بعيد النظر ، عميق التفكير ، واسع الدهاء . دهاؤك انقذنا جميعا ، وابعد الخطر عنا .

قال شفيق : المهم الان هو ان نجد خليفة لسلمى ، علينا ان نجد امرأة تحل في العصابة محل سلمى ، اين هي هذه المرأة ؟ .. اين هي ؟

قال المهرب : النساء كثيرات ، أنعجز عن الوقوع على امرأة تحل من عصابتنا محل زوجتك الراحلة ؟

قال شفيق : اريد امرأة مثل سلمى .. امرأة بلهاء ، طوع ايدينا تحمل البضاعة وتسافر بها دون ان تعلم ماذا تحمل ، ولا لماذا تسافر . اين سنجد هذه المرأة ؟ ..اين ..

وساد الصمت بين الرفيقين العزيزين ، وطال صمتهما . واخيرا ، بعد صمت طويل ، رفع شفيق نظره الى الرفيق العزيز وتمتم : لقد وجدتها .. هي قربي وانا ابحث عنها بعيدا عني . وجدتها ، وجدتها .

وتمتم الرفيق : من هي ؟

قال شفيق : هات سيكارة ..

وقدم له الزميل لفافة فاخرة راح ينفث دخانها في الفضاء والابتسامة تغمر شفتيه .. وعاد المهرب الى السؤال من هي ؟ من هي تلك التي تستطيع ان تقوم بالدور الخطير الذي كانت تقوم به سلمى ؟

فتمتم شفيق : هي اختها .. اختها نجلاء .

قال المهرب : هل تستطيع نجلاء ان تقوم بالمهمة الخطرة ؟

قال : المهمة الخطرة تحتاج الى امرأة بلهاء ، لا الى امرأة ذكية، فالمرأة الساذجة لا تلفت أولاً رجال الأمن اليها . وهي ثانيا ، تقوم بالمهمة دون ان تعلم بماذا تقوم. نجلا ستكون خليفة اختها سلمى . انا سأعمل منذ اليوم ، منذ هذه الساعة على اعداد نجلاء للقيام بالمهمة ، نجلاء ستسافر الى روما . علينا الآن ان نصرف النظر عن تصدير المخدرات الى تركيا . يجب ان نوجه انظارنا الى روما بعد ان اكتشف امر العصابة في انقره .

قال المهرب : ولكن علينا ان نسرع العمل يا شفيق ، انت تعلم اننا كلنا بحاجة الى المال ، وسنقع قريبا في ازمة مالية خانقة ، بعد ان انقطع عنا مورد تركيا . كنا نأمل ان

تتقاضى مبالغ طائلة من المال بعد عودة سلمى من رحلتها الى انقره الا ان سلمى خيبت الامال ، هي لن تعود ،ونحن لن نتقاضى ليرة واحدة .. علينا الان ان نسرع في العمل لنعوض ما فاتنا من الارباح وندفع عنا الازمة الخانقة التي بدأت تطل علينا بوجهها القاتم المكفهر العبوس .

ونفث شفيق دخان اللفافة في الفضاء وتمتم : اطمئن كل شيء سيسير كما نشتهي ونريد .

قال شفيق هذا . ونهض ليودع صديقه العزيز ، على امل اللقاء القريب .. وسار شفيق ، وخرج من المقهى وهو يفكر : ماذا عليه ان يفعل الان ؟ .. هل يطلع نجلاء على قصة مصرع اختها ؟ لا ، هو لن يطلعها على شيء .. ولكن اذا لم تعلم نجلاء بموت اختها اليوم فهي ستعلم غدا . واذا لم تعلم ذلك غدا فهي ستعلم بعد غد .. فليطلعها على مصرع اختها الان ، يجب ان تعلم نجلاء ان اختها سلمى رحلت عن هذا العالم الفاني ولم يعد لها في هذه الحياة من معين ولا نسيب ، الا صهرها العزيز شفيق وهبي ..

واطمأن شفيق وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد .. واسرع بالعودة الى الدار وهو يتظاهر بالحزن والاسى وسكب الدموع .. ودخل شفيق الى الدار فاذا بنجلاء تثب اليه عاتبة : لماذا تأخرت في العودة ياصهري العزيز ؟ .. انا ما زلت انتظرك لتناول الغداء.

ومسح شفيق دمعة مزيفة ترفرقت في مقلتيـــه وهمس : لن اتناول طعام الغداء يا نجلاء . انا لن آكل ، لــن اذوق طعاما ..

فوجمت نجلاء وهي تشاهد صهرها في تلك الحال ، واقتربت منه هامسة بوجل وذعر وقلق واضطراب : شفيق : .. ما بك ؟ ما بك يا شفيق ؟

وتظاهر شفيق بعميق الاسى ، وبعيد الالم وغزيـــر الدمع.وتمتم : لا شيء .. لا شيء .

قالت بسؤال ملحاح : ولكنني ارى الدموع تموج في عينيك ، هذه هي المرة الاولى التي اراك فيها تبكي ، هل هناك مصاب نزل بنا ؟

ولم يجب شفيق بحرف ، بل هو اخرج منديله من جيبه وراح يمسح دموعه المزيفة .

واشتد الذعر بنجلاء.واقتربت مــن صهرها لتقول : أتكون سلمى في خطر ؟.فكأن قلبها انذرها بالمصاب الاليم .. وخيل اليها ان شفيقا سينفي المصاب وسيقول فورا : لا، سلمى بألف خير.الا ان شفيقا خيب الامل . فهو لم ينطق بحرف ، بــل مضى في صمته البارد الموجــع الكئيب ... وايقنت نجلاء ان هناك مصابا حل بشقيقتها سلمى وهـــي تشاهد شفيقا يعتصم بصمته .. فهدرت : قل لي ما بهـــا

سلمى ؟ .. ما بها اختي ؟ هل هي مريضة ؟ هل نزل بهـا مكـروه ؟

وانسكبت الدموع المزيفة الخادعة على وجنتي شفيق .. واجهش بالبكاء .. وقام شفيق .. بتمثيل دوره علـى احسن وجه ، فهو يجيد التمثيل ويتقنه ، كل الاجادة وكل الاتقان ..واشتد الذعر بنجلاء وعادت الى الاقتراب مـن شفيق لتمسك بكتفه وتشدها متسائلة بذعر وخوف وألم : ما بها سلمى ؟ ما بها ؟ .. ماذا حل بها ؟ قل لي ما بها اختي؟ هل ؟ ... هل ؟ .. هل ماتت ؟

فاستأنف شفيق مسح تلك الدموع التمساحية وهمس : عوضنا الله بسلامتك يا عزيزتي نجلاء ..

واغمي على نجلاء .. وسقطت على الارض بلا وعي وبـلا حراك .

وعندما استفاقت نجلاء واستعادت رشدها وجـدت نفسها ملقاة على سريرها وصهرها العزيـز بقربهـا يحـاول اسعافها بالمنعشات وبالكحول .. وانفجرت الفتاة البائسة بالبكاء . واخذت تولول وتنادي اختها بأعـذب وبأرق الالفاظ : يا حبيبتي يا سلمى .. يا روح اختك .. يا ليتني مت انا قبل ان اسمع نبأ موتك يا اختي . وراح شفيـق يواسيها محاولا تهدئة خاطرها ، الا ان خاطرها ما كـان

ليعرف الهدوء •• ووثبت من السرير كالمجنونة وهي تولول:
اين هي سلمى ؟ •• اين جثتها ؟ •• اريد ان اراها • اريد ان ارافقها الى القبر ، اريد ان ارى اختي ، اريد ان اتودع منها ، اين هي ؟ •• اين هي ؟ •

فأمسك شفيق بها هامسا هدئي روعك يا نجلاء •فلنكن دائما اكبر من المصيبة مهما كبرت وعظمت • تعالي تعالي يا عزيزتي • عودي الى سريرك • خففي عنك •

وحاولت نجلاء الافلات من يده وهي تزأر : اريد اختي اريد سلمى •• اريد ان ارى سلمى •• اين هي جثتها ؟ رحماك خذني اليها •

وتمتم شفيق : سلمى ليست هنا ، جثتها ليست في بيروت ، ولا في لبنان • اجلسي اجلسي وامسحي دمعك لاخبرك كل شيء ••

وجلست نجلاء وهي تنتف شعرها وتلطم وجهها وتنادي اختها •• وجلس شفيق قربها ليمسك بيدها ويتمتم: نجلاء • تذرعي بالصبر يا حبيبتي •• مصيبتك بفقد اختك لا تقل ولا تصغر عن مصيبتي بفقد زوجتي •• عندما ابلغت نبأ المصاب بكيت اكثر مما بكيت انت ، ولطمت وجهي اكثر مما لطمت وجهك ، وندبت حظي التعس المنكود اكثر منك ، ولكن ما حيلتنا وقد حل بنا

هذا المصاب ؟ •• هل نستطيع ان نقف في وجه القدر ؟ هل نعترض على حكم الله ؟ •• هل نستطيع ان نعيد لسلمى الحياة بدموعنا وآهاتنا ولوعاتنا ؟ ••

قالت وهي تمسح دموعها الغزيرة : كيف ماتت سلمى ؟ ماذا اصابها ؟ •• هل وجدت من يجرعها كأس ماء وهي تلفظ انفاسها ؟

قال : سلمى ماتت بحادث اصطدام في انقره ، لقد سافرت اختك يا عزيزتي الى تركيا كما تعلمين ، وهناك اصيبت بجراح ثخينة في حادث اصطدام فقضت نحبها مأسوفا على صباها وعلى جمالها وعلى خصالها الحميدة •

واستأنف شفيق ارسال الاهات والانين : آه يا حبيبتي يا سلمى ، من لي بعدك يا زوجتي المخلصة الوفية ، ليتني مت قبل ان تصابي بخدش ، يا حبيبتي يا سلمى يا روح زوجك ، يا حياته ومهجته ونور عينيه •• واستغرق في البكاء ، وكان موفقا في تمثيله ، حتى ان نجلاء ، وهي بحاجة الى عزاء ومواساة ، اخذت تعزيه وتواسيه محاولة التخفيف من مصابه الموجع الاليم•••

وكانت الكارثة ، كارثة موت سلمى ، ثقيلة الوطءعلى قلب نجلاء • فقد اصبحت نجلاء وحيدة في هذه الحياة • لا اب ، ولا ام ولا اخت •• حتى ولا عم •• عمها عبد الله الذي هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية منذ امد بعيد

توفاه الله •• لقد اصطاد الموت اهل نجلاء الواحد بعد الاخر ، ولم يترك لها قريبا ولا نسيبا •• لماذا اغفل الموت امرها هي ؟ لماذا لم يأخذها عزرائيل قبل ان يأخذ سلمى الى العالم الخالد ؟ ليتها ماتت هي قبل ان تموت سلمى ، اذن لأراحت قلبها من هذا العذاب الاليم الذي يعصر ذلك القلب الطاهر النبيل •

وكانت نجلاء تقضي ايامها ولياليها في البكاء وفي سكب الدموع •• وراح صهرها الكريم يحاول التخفيف من مصابها ، فأخذ يغدق عليها العطف والحب والحنين ويغمرها بالهدايا ، الا ان نجلاء لم تكن لترتاح إليه •

كانت نجلاء تخافه وترهبه وتحذر شره وهي تعلم انه خطر ، وقد وقفت على ما فعل بأختها في الماضي وعلى ما انزل بها من مصائب وكوارث وعذاب ••

وكانت نجلاء تنظر الى شفيق نظرتها الى عدو لدود ، وكانت في سرها تحمله مسؤولية مصرع اختها سلمى ، لولاه لما سافرت سلمى الى تركيا ، ولما قضت نحبها هناك • هو السبب في كل ما جرى لاختها سلمى • هي تكرهه وتبغضه وتحتقره ، وتتمنى لو انها تستطيع ان تطرده من تلك الدار التي تعيش فيها واياه تحت سقف واحد ••
وبدأت نجلاء تفكر جديا في الانفصال عن صهرها •

هي لن تقيم واياه في دار واحدة بعد ان انزل باختها سلسلة من المصائب والكوارث كان آخرها الموت .. ولكن شفيقا ينفق عليها ، فهو الذي يدفع بدل ايجار الدار ، وهو الذي يبتاع كل ما يحتاجان اليه من طعام وثياب وسلع واغراض .. اذا ابتعد شفيق عنها فهي ستتعرض لشظف العيش ولمر الحياة ، وربما تعرضت للفاقة وللفقر وللجوع .

وانصرفت نجلاء الى التفكير ، ماذا عليها ان تفعل ؟ هل تستمر في العيش قرب شفيق ؟ .. لا ، هي لا تستطيع ان تراه ، لا تستطيع ان « تتصبح » به صباح كل يوم . ولا تستطيع ان « تتمسى » به في المساء .. ماذا ستفعل اذن ؟.. هل ستدعوه الى الانقطاع عن الحضور الى دارها: .. واذا رفض ؟ اذا رفض فستضطر الى ان تخرج هي من تلك الدار ولا تعود اليها .. واذا خرجت من تلك الدار ، الدار التي عاشت فيها مع امها ومع اختها ردحا من الزمن ، اذا خرجت من تلك الدار فأين ستقيم ؟ .. والى من تلجأ ، وهي لا تملك شيئا من حطام هذه الدنيا الفانية ؟ ..

وتألمت نجلاء وقد وصلت بتفكيرها الى هذا الحد ، وبكت وقد خيل اليها انها ستعجز عن الابتعاد عن شفيق .. وعادت الى التفكير العميق تنغمس فيه ، يجب ان تضع حدا لعلاقتها بشفيق . هي لن تعيش قربه ، لن تظل معه في دار

واحدة، يجب أن تبتعد عنه، وفي الابتعاد عنه ابتعاد عن الشر والمصائب والكوارث والويلات . .

وطال تفكيرها •• وبعد تفكير طويل اهتدت الى الحل •• هي ستبحث عن عمل الان ، وعندما تجد العمل ، عندما تؤمن عيشها وتصبح قادرة على القيام بأعباء الحياة عند ذاك تثب الى شفيق وتعلن له رغبتها في الابتعاد عنه • ولـه ان يختار ، اما ان يخرج هو من الدار ، واما ان تحمل اثـاث الدار واغراضها وتخرج هي •• واطمأنت بعض الاطمئـنـان وقد وصلت بتفكيرها الى هذا الحد • وعزمت على البحث عن عمل • هي ستبحث عن اي عمل تستطيع بواسطته ان تؤمن نفقاتها ، وعلى الله الاتكال ••

وفي المساء اقبل شفيق في ساعة مبكرة الى الدار على غير عادته ، وكان يحمل اليها الحلوى والاثمار وشهـي الطعام ، كعادته ، ورحبت به •

وابتسم لها قائلا : كيف حالك اليوم يا نجلاء ؟ انـي لشديد القلق عليك ، اريدك يا عزيزتي مرتاحة البال مطمئنة الخـاطر •

قالت : الحمد لله والشكر له تعالى ••

فألقى شفيق بالاغراض من يده وجلس علـى المقعـد

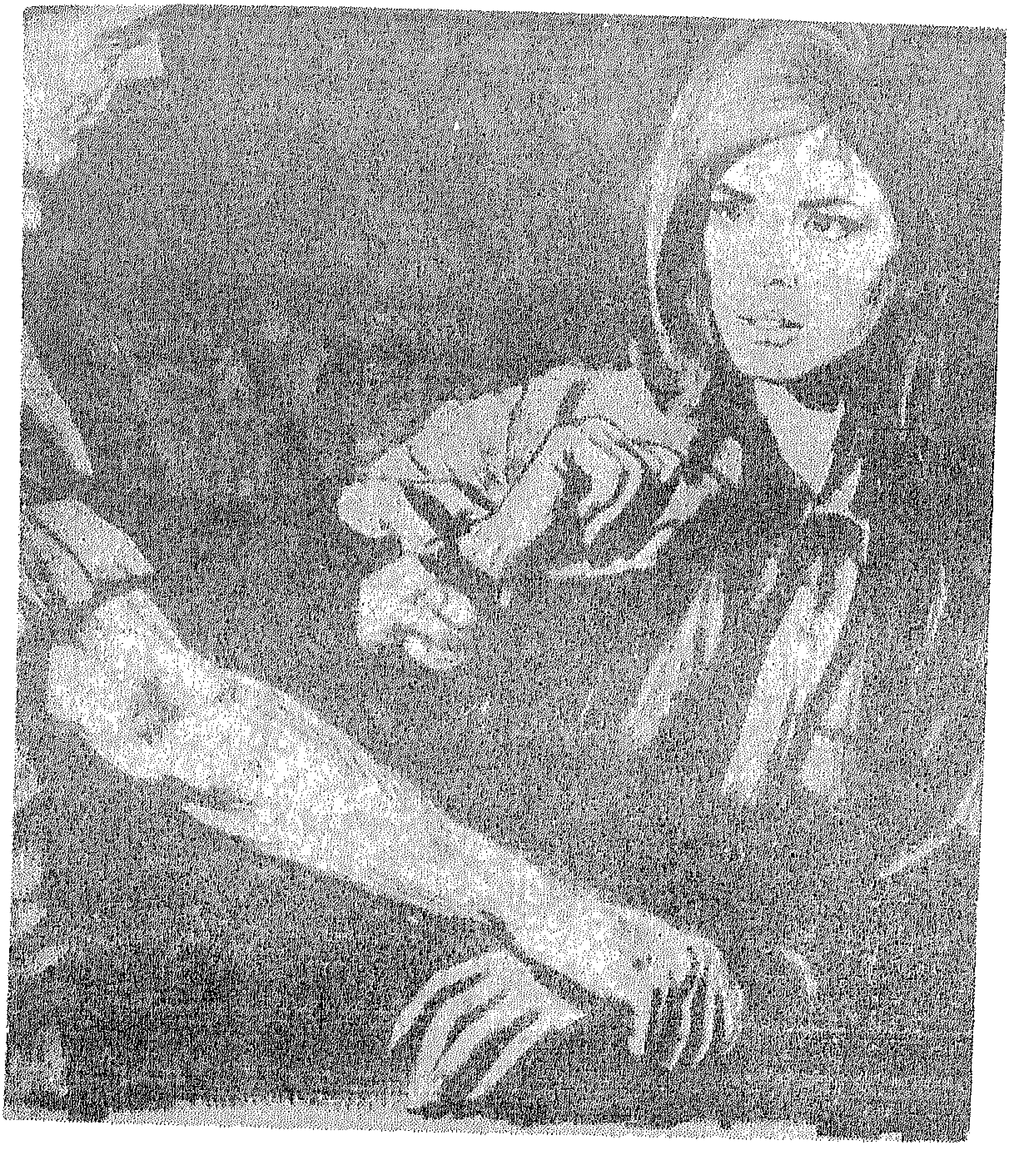

ودعاها الى الجلوس قربه : تعالي ، تعالي يا نجلاء اجلسي هنا ، هنا قربي ••

ونزلت نجلاء عند طلبه ، وجلست هناك قربه ••• واخرج علبة التبغ من جيبه وقدم لها لفافة : خذي ، دخني يا عزيزتي.فقالت : انا لا ادخن يا صهري وانت تعلم انني لا ادخن •

—:التدخين يطرد الهواجس ويريح الافكار المتعبة • خذي •• خذي لفافة وجربي ••

واصرت نجلاء على الرفض ، وحاول شفيق ارغامها على التدخين فاقترب منها مازحا ، محاولا ان يلقي باللفافة بين شفتيها الا ان نجلاء ابتعدت عنه بصد وحزم ونفور •

هذه نجلاء ، غير اختها سلمى ، كان شفيق يستطيع ان يرغم سلمى على تنفيذ كل ما يبتغي ويريد ، اما نجلاء ، فيبدو انه عاجز عن ارغامها على النزول عند ارادته السامية وابت نجلاء ان تدخن •

وتمتم :أهكذا تأبين ان تسايري صهرك الذي يحبك، بتدخين لفافة ؟

قالت : قلت لك انا لا ادخن ، ولا اريد ان اعتاد على التدخين •

قال : لا بأس سأدخن وحدي ••

قال هذا واشعل لفافته وراح ينفث دخانها بصمت وتفكير .. وصمتت ايضا نجلاء .. وساد الصمت أرجاء الغرفة .. واشرفت لفافة التبغ بين اصابع شفيق على لفظ انفاسها وهو ما زال في صمته وتفكيره ...

وجنحت نجلاء بتفكيرها الى بعيد .. الى المستقبل المجهول .. الى العمل .. يجب ان تبحث منذ صباح الغد عن عمل ، وان تبتعد عن شفيق ..

وجنح شفيق بتفكيره ايضا الى بعيد . الى محاولة الاستيلاء على هذه الفتاة المتمردة .. يجب ان يستولي على نجلاء كما استولى من قبل على شقيقتها سلمى ، عليه ان يستولي على قلبها وعلى جسدها ، وعلى تفكيرها ، يمد سلطانه عليها ويدفعها الى العمل لحساب عصابته الكريمه .

لقد قرر الاستيلاء على هذه الفتاة المتمردة الحسناء ، وعندما يقرر شفيق ينفذ قراره فورا .. ليس هناك فتاة في العالم تستطيع ان تقف في وجه شفيق ، ولا هناك فتاة تستطيع ان تتمرد عليه وان تقول : لا .. عندما يقول شفيق : نعم ..

اللواتي مد شفيق سلطانه عليهن كثيرات ، ونجلاء ليست الاولى ، ولن تكون الاخيرة بين اللواتي اذلهن شفيق ، وبين اللواتي غدر بهن وحطم كبرياءهن ،واخضعهن لسلطانه ولارادته ولمشيئته .

ولكن •• ولكن لماذا تتمرد نجلاء عليه ؟ •• ولمـاذا تبدي له الصد والتمرد والنفور ؟ •• أيكون ثمـة شاب في قلبها ؟ •• اتراها تحب ؟ •• تحب ؟ •• ولمعت هــذه الكلمة في رأسه كالبرق الخاطف •• وشعر شفيق بالغيرة العمياء تعصف بقلبه الاسود الشرير •• اتتجرأ نجلاء على ان تحب شابا غيره ؟ •• ومن هو هذا الشقي الذي يتجرأ على ان يسلبه نجلاء ؟ •• اذا صحت ظنونه ، واذا كـانت نجلاء قد عرفت الحب ، وشغفت بهوى شاب ، اي شاب ، فالويل لها ولحبيبها من غضب شفيق ، ومن ثورته ومـن حقده ومن انتقامه •• ماذا عليه ان يفعل الان ؟ •• عليه ان يقطع على نجلاء الطريق ، طريق الحب والهوى والغرام ، والزواج ، والفرار من بين يديه •

وألقى شفيق باللفافة المحتضرة من يده ، والتفت الى نجلاء ليقول : انا جائع يا نجلاء • اتهيئين لي العشاء ؟

فنهضت نجلاء واتجهت الى المطبخ لتهـيء العشـاء لصهرها ••

واستأنف شفيق التفكير · كيف سيقطع طريـق الحب والزواج على نجلاء ؟ كيف ؟•• الامر سهل ميسور•• ما له الا ان يعتدي على نجلاء ويفترسها ، تماما كما اعتدى على اختها سلمى وافترسها ، وبعدئذ بعد ان تصبح زهرة ذابلة

ذاوية ممرغة بالوحول ، لن تجد من يتنشق شذاها ، ولا من يلتفت الى عبيرها • سترى نجلاء نفسها وقد فتك شفيق بعفافها وهتك شرفها ، ستجد عندئذ نفسها مرغمة على الانقياد اليه ، ستصبح كالنعجة في يد الجزار ، ستغدو كالعصفور السجين وقد اطبق عليه القفص ••

اطمأن شفيق وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد ، وارتاح كل الارتياح • الخطة ستكون موفقة مضمونة النجاح ، يجب ان يعتدي عليها • ولكن متى ؟ •• متى ؟•• ساعة يريد • فهو يقيم واياها في دار واحدة • غرفة نومها لا تبعد عن غرفة نومه سوى خطوات قليلة ، ما عليه الا ان يسير تلك الخطوات بكل حذر ويتسلل الى غرفتها و ••• وينتهي كل شيء •• عليه ان ينفذ الخطة المرسومة بسرعة ، ليس له ان يؤجل التنفيذ الى الغد ، وقد قيل : لا تؤجل للغد ما تستطيع فعله اليوم • وشفيق يستطيع ان ينفذالخطة اليوم ، الليلة ، فلماذا يؤجل التنفيذ الى الغد ؟ ••

الليلة سينفذ شفيق خطته وينتهي من امر نجلاء •• وبعد اسابيع قليلة ستغادر نجلاء بيروت في طريقها الى روما حاملة كمية من المخدرات ، ستكون نجلاء مهربة ماهرة ، والعصابة ستجني من وراءها الارباح الطائلة ، وشفيق يجني من وراءها الملذات الدنسة• فهي فتاة رائعة الحسن والجمال

وشفيق حرس الله عينيه من انصار الشباب والحسن والجمال ..

واذا بنجلاء تقطع عليه حبل تفكيره فتناديه : شفيق .. العشاء جاهز ..

ونهض شفيق والابتسامة تشع على شفتيه ، ودخل الى غرفة الطعام .. وجلس الى المائدة .. ودعا نجلاء للجلوس قربه فجلست ، والتفت اليها ليقول : اين الخمر ؟ اليس لدينا خمر ؟ .. ويسكي ؟ .. نبيذ ؟ .. عرق ؟ ..

نهضت نجلاء دون ان تنبس بحرف ، واحضرت زجاجة الويسكي ووضعتها امامه .. وصب شفيق كأسين . كأسا له ،وكأسا لنجلاء .. وقدم لها الكأس ،فأبت نجلاء ان تشرب الخمر ، وأصر شفيق عليها فرفضت ، وتظاهر بالغضب فلم تأبه له .. ونهض ليقول : انا ان كنت ادعوك لاحتساء الخمر فما ذلك الا لأخفف عنك وطأة الالم والاسى والشجن . ان الخمر يذهب بكل ما في الصدر من شجن واسى وهموم، قال هذا ، وتناول الكأس وتقدم منها ليقول ، وقد تحول الغضب في عينيه الى لطف وحنان : خذي ، خذي ، اشربي يا حبيبتي نجلاء ، اشربي جرعة واحدة ، جرعة واحدة فقط اكراما لصهرك الحبيب .

وأبت نجلاء ان تجرع الجرعة وقالت : انا لا استطيع ان اشم رائحة الخمر ، فكيف استطيع ان اجرعها ؟ .

قال : جربي ، ان طعمها لذيذ ، تذوقيها فتدركي ان صهرك لم يخدعك .

واعتصمت نجلاء في موقفها . لا ، هي لن تنزل عند طلب صهرها ، لن تجرع الخمر ، لا تريد ان تصبح سكيرة ، ولا تريد ان تسير في طريق الضلال وقد كانت ولا تزال تسير في طريق النور .

وعاد شفيق الى الاقتراب منها ليضع الكأس على شفتيها ويهمس في اذنها : نجلاء ! .. يجب ان تشربي خمراً لتنسي حزنك واساك ، الخمر وحده يساعدك على النسيان يا عزيزتي .. اشربي ، اشربي .. ولم تستطع نجلاء المقاومة ، لم تستطع ان تدفع الكأس عنها وقد اصبحت تلك الكأس على ثغرها ، ورأت ان ترشف رشفة واحدة لتخلص من إلحاح صهرها واصراره ، وجرعت الجرعة .

واحست بالنار تكوي امعاءها ، وانتابتها نوبة من سعال شديد ، واحمرت عيناها وسكبتا الدمع ..

واسرع شفيق الى الماء يسعفها بها .. وتمتمت وقد ارتاحت قليلا : الم اقل لك انني لا اقوى على الشراب ؟

قال وهو يمسك يدها برفق وحنان : الجرعة الاولى تعطي دائما مثل هذه النتيجة ، اما الجرعة الثانية فستبدو لك لذيذة رائعة ، خذي ، خذي اشربي جرعة ثانية .

وأبت نجلاء ان تجرع الجرعة الثانية ووقفت لتقول : انا تعبة ، لا استطيع الجلوس هنا ، اريد ان ارتاح ، اريد ان استلقي في سريري ، ان انام ..تصبح على خير يا شفيق.

قالت هذا وهمت بالدخول الى غرفتها .. ولحق شفيق بها وهو يتمتم : ما بك يا نجلاء ؟ ما بك ؟ لقد اقلقت خاطري عليك ، انني لأخشى ان اكون قد اسأت اليك في ارغامك على رشف جرعة الخمر .

قالت وهي تسير الى غرفتها : لا ، لا ، اطمئن انا بألف خير .

وسار وراءها .. ودخلت الى غرفتها ، فدخل معها الى تلك الغرفة .. وجلست نجلاء على السرير .. وجلس شفيق قربها ليمسك بيدها الباردة هامسا : ما بك ؟ .. ماذا اصابك يا نجلاء ؟ .. ان يدك باردة كالثلج ، انا سأهيىء لك فنجان شاي .. استريحي ، نامي يا عزيزتي نجلاء ، صحتك قبل كل شيء ..

قال هذا وخرج من الغرفة ليدخل توا الى المطبخ وينصرف الى تهيئة الشاي لنجلاء وهو مطمئن كل الاطمئنان الى سير خطته المرسومة في طريق النجاح .

ونهضت نجلاء وقد خرج شفيق من الغرفة ، تنزع عنها ثيابها لترتدي ثياب النوم ثم تندس في سريرها محاولة

النوم •• واذا بشفيق يعود اليها حاملا لها الشاي •

وحاولت نجلاء ان ترفض تناول الشاي ، وقالت : لـمَ اتعبت نفسك يا شفيق ؟ انا مرتاحة الان ، واريد ان انام •

فتقدم لها الشاي وقال : اشربي الشاي ونامي ، خذي •• اشربي • وارغمها على النزول عند ارادته هذه المـرة ، ورأت نجلاء نفسها مضطرة الى تناول فنجان الشاي من يده بعد ان اتعب نفسه في تهيئته وفي حمله اليها ، واستوت في السرير وبدأت ترشف الشاي بسرعة • فهي تريد ان تنتهي من رشفه وتنام •

وجلس شفيق قربها على السرير ، وراح يمازحهاويروي لها الاخبار المضحكة ، الا انها لم تستطع ان تضحك ، ومن الاخبار المضحكة ، انتقل الى رواية الاخبار الفاسقة ،يرويها لها بكل قحة •• ومضت نجلاء في رشف الشاي ، وهيتود لو انها تستطيع جرع كل ما في ذلك الفنجان دفعة واحدة لتخلص منه ومن شفيق ، وتستسلم للرقاد •• وانتهـــت اخيرا من رشف الشاي • ووضعت الفنجــان الفارغ على المنضدة الجاثمة قرب سريرها ••

ومد شفيق يده الى رأسها يجس صدغها هامسا : هل ارتحت الان ؟ ••

قالت : اجل لقد ارتحت والحمد لله • تصبح على خير

يا شفيق . انا سأنام الان .

قالت هذا وكأنها تدعوه الخروج من غرفتها .. ولكن شفيقا لم يخرج ، بل هو عاد الى الاقتراب منها لينحني على جبينها ويطبع عليه قبلة حارة .

ودهشت نجلاء ، ووجمت .. لماذا يقبلها شفيق ؟ أيكون قد اشفق عليها وهو يشاهدها متعبة ؟ اتكون قبلته قبلة اخوية ؟ .. قبلة اشفاق ؟ ام تراه يضمر لها في قلبه الشر ؟ ما هو نوع تلك القبلة ؟ ليست تدري .. ليست تدري .

ورأت ان تقطع عليه الطريق وان تحول بينه وبين اعادة تقبيلها فرفعت اللحاف الى فوق رأسها وهمست : تصبح على خير .. تصبح على خير .

وحمل شفيق فنجان الشاي الفارغ وخرج من الغرفة وهو يهمس : تصبحين على خير يا نجلاء .

وحاولت نجلاء النوم الا انها لم تستطع الى النوم سبيلا ، كل ما حصل معها الليلة اقلقها ، تصرفات شفيق معها الليلة كانت غير عادية ، فهو قد حاول ارغامها على التدخين ، ثم ارغمها على ارتشاف الخمر ، ثم احاطها باهتمامه وبعنايته.وهيأ لها الشاي بيده وحمله بنفسه .. ثم .. ثم واخيرا قبّلها في جبينها .. ماذا تعني هذه التصرفات التي لم تعهدها من قبل ؟ .. ليست تدري ..

واستغرقت نجلاء في تفكيرها البارد الموجع الرهيب ، ماذا عليها ان تفعل ؟ •• هل تخشى شر شفيق وترهب جانبه وتتخذ لنفسها الحيطة منه ؟ ام تراها تطمئن اليه ؟ •• ليست تدري •• كل ما تعرفه هو انها تكره هذا الشاب الذي اساء الى شقيقتها سلمى والذي كان سبب كل مانزل بها وبشقيقتها الراحلة من مصائب وآلام وكوارث وعذاب •• وطال تفكير نجلاء وهي مستلقية في سريرها •• وقر رأيها اخيرا على ان تنفذ الخطة التي كانت قد رسمتها •

وخطتها تلك تنحصر في البحث عن عمل ، يجب ان تجد عملا ، اي عمل يقيها الفاقة والعوز ، وعندئذ ، عندما تجد العمل ستبتعد عن شفيق وتأمن شر الخطر المحدق بها في اقامتها واياه تحت سقف بيت واحد • هي ستبدأ البحث عن العمل ، في صباح غد سترتدي ثيابها وتخرج من الدار لتبحث عن العمل المرتجى المنشود •

× × ×

شفيق مستلق في سريره البارد المهجور ، يدخن ويفكر بقلق ووجل واضطراب •• عليه ان ينفذ خطته المرسومة الليلة ، الليلة يجب ان يفترس نجلاء •• لماذا خرج من غرفتها ؟ لماذا ارتجف وهو يقبلها ؟ •• لماذا اكتفى بتقبيلها في جبينها ولم يقبلها في خدها او في عنقها او ثغرها ؟•• لماذا

جبن حيالها وهو الذي لم يجبن حيال امرأة في حياتـــه ؟٠٠ أتكون نجلاء اشد بأسا ، واقوى ارادة ، واصلب عودا من شقيقتها سلمى ؟ ٠٠ لقد استطاع شفيق ان يسيطر علـــى سلمى ، وان يعتدي عليها ، وان يسلبها اعز ما تملك الفتاة. فلماذا يعجز عن السيطرة على شقيقتها نجلاء الان ؟

يعجز ؟ ٠٠ وهل يعترف شفيق بالعجز وهو الـــذي لم يعرف العجز ، ولا التقهقر ولا الفشل يوما في مشاريعـــــه الغرامية ، وفي اعماله الاجرامية ؟ ٠٠ لا ، شفيق لا يفشل ، هو سينفذ تلك الخطة التي رسمها بحذافيرها ، سيعتـــدي على نجلاء كما اعتدى على سلمى ، وسيمد سلطانه على هذه كما مد سلطانه على تلك ، وستنفذ نجلاء جميـــــع اوامره السامية كما نفذت تلك الاوامر اختها سلمى من قبلها ٠٠ عليه ان يبدأ بتنفيذ الخطة المرسومة الليلة ، قبل ان تفلت النعجة من الحظيرة ، ويصبح عاجزا عن اللحاق بها ، وعن ادراكها واعادتها الى تلك الحظيرة ٠٠

ولكن ٠٠ ولكن كيف سيعتدي عليها، وكيف سيدخل الى غرفتها بعد ان خرج منها ؟٠٠ الا يعلم كيف ؟٠٠ ما لـــه الا ان يقفز من سريره ويسير على مهل بكل حذر ويتسلل الى غرفة سلمى ٠٠ وعندما يصل الى غرفتها ينتهي كــــل شيء وبكل سهولة ودون اي عناء ٠٠ هي ستكون تحت

رحمته ، لن تستطيع الافلات من يده ، ستكون في يده كالنعجة في يد الجزار ..

ولكن اذا قاومت ؟.. اذا دافعت عن نفسها ؟.. اذا استبسلت في الدفاع ؟ .. اذا صرخت ؟ .. واذا استنجدت واذا ولولت ؟ .. ماذا سيكون موقفه ؟ ..

صحيح ! ماذا سيكون موقفه اذا حاولت التمرد ؟ اذا حصل هذا ، فهو سيعرف كيف يتدبر امره معها ، عند ذاك سيكون لكل حدث حديث .. على كل هو لن يدعها تتمرد ولن يترك لها مجال الدفاع والمقاومة والصراخ والعويل والاستنجاد ، فهو خبير في استمالة النساء اليه . ليس هناك امرأة استطاعت ان تقاوم شفيقا، ونجلاء ليست سوى امرأة، مثلها مثل غيرها ..

اذن عليه ان يبدأ تنفيذ الخطة وعلى الاقدار ، التي لم تخنه مرة واحدة الاتكال .. ماذا ينتظر ؟ .. فليبدأ الان التنفيذ . الان قبل ان يفوت الاوان .

ورمق شفيق الساعة المشدودة الى معصمه فاذا بها تشير الى انتصاف الليل . الساعة الان الثانية عشرة .. والكل نيام في محلة المزرعة . اذا خطر لنجلاء ان تستنجد ، فلن يسمع استنجادها احد ، والكلّ نيام ..

والقى شفيق باللفافة من يده ، ووثب من السرير ،

وارتدى الروب دي شامبر وسار بكل حذر نحو غـرفـة نجلاء •• وكان الباب ، باب الغرفة مفتوحا•• وتسلل شفيق الى غرفة نجلاء بكل حذر ، وكان النور الاحمر الواهـي الضئيل يغمر تلك الغرفة ، ويلقي على وجه نجلاء وشاحا من رونق وفتنة وجمال • وارتسمت على شفتي شفيق ابتسامة شبيهة « بتكشيرة » الذئب وقد رأى النعجة البريئة امامه •• وبكل حذر ، وإتئاد تقدم من سرير نجلاء والامل يغمر روحه ، ويداعب قلبه الدنس القذر الشرير •

٢٨ النعجة والذئب

استفاقت نجلاء من نومها على ذعر وقلق واضطراب .. وشاهدت شفيقا يجلس قربها على السرير ويده تداعب جبينها لترتفع اصابعه الدنسة الى خصلات شعرها تعبث بها، وبريق الفسق والفجور يبزغ من عينيه ..

واستوت نجلاء في السرير ، وقد اشتد الذعر بها .. وحاولت ان تتلفظ بكلمة ، الا انها عجزت عن النطق بحرف، وقد عقد الخوف لسانها ، فكأنها قرأت في عيني شفيق مـــا يجول بخاطره ..

ولمس شفيق ذعرها وقلقها واضطرابها ، فرأى ان يحد من وطأة ذعرها قال: هل أنت بخير ؟ .. انني قلــق الخاطر عليك . لم استطع ان انام قبل ان اطمئن الى سلامتك ..

فاطمأنت نجلاء قليلا وهي تراه يبتعد عنها ويخاطبها بلطف وحنان. فقالت : الحمد لله انا بالف خير .. وكأنها تقول له : انا بخير ما دمت انت بعيدا عني .

قال وهو يمسك بيدها : يدك محمومة ، هل هناك ما يؤلمك ؟

قالت : لا ، لا ، ابدا ، قلت لك انا بألف خير .

قال : سأظل قربك ، وسأنام الليلة هنا في هذه الغرفة ، كي اطمئن الى سلامتك ، لا اريد ان ابتعد عنك يا عزيزتي نجلاء الا وقد ارتحت الى سلامتك .

قالت : لا ، عد الى غرفتك واطمئن ، فانا بخير والحمد لله .

وابى شفيق ان ينزل عند طلبها ، ابى ان يعود الى غرفته ، وهل خرج من تلك الغرفة ليعود اليها دون ان ينفذ الخطة المرسومة ؟ .. لا ، والف لا . هو لن يعود الى غرفته الا وقد نال من نجلاء كل ما يبتغي ويريد ..

واستانف الاقتراب منها ليقول : نجلاء ، لقد جفاني النوم ، وابتعد الكرى عن وسادتي ، انا لا اعلم ما بي ، كلما وضعت رأسي على الوسادة وثب طيفك الحبيب الي ليحوم حول تلك الوسادة ويحول بيني وبين الرقاد ، لم استطع النوم ، لم استطع الرقاد ، لم استطع ان اجذب الكرى الى عيني يا نجلاء .

وعاد الذعر ليرتسم في عيني نجلاء وهي تسمع كلام « الصهر العزيز » . شفيق بدأ بالقاء الشرك في طريقها ، ترى هل تستطيع ــ وهي الفتاة البائسة الضعيفة اليتيمة الوحيدة ــ ان تنجو من الوقوع في الشرك ؟.

وتابع شفيق كلامه فقال : نجلاء ، انني ارى فيك صورة اختك الراحلة ، لهف قلبي عليها ، كلما نظرت الى وجهك ، رأيت في هذا الوجه الباش الجميل وجه سلمى ، وتذكرت حبها واخلاصها ووفاءها .

واثار شفيق في قلبها الذكريات المؤلمة الداميه ، ذكريات اختها الحبيبة سلمى ، فأدمعت عيناها .. لقد تمكن الخبيث من اثارة عاطفتها وحنينها .. واغتنم شفيق الفرصة السانحة فعاد الى الاقتراب منها ليمسك بيدها ويهمس في اذنها : نجلاء .. لقد خسرنا ، انا وانت ، سلمى . وخسرنا بها الاخت والزوجة المحبة المخلصة الوفية ، انا لم يعد لي سواك يا نجلاء بعد ان خسرت سلمى الحبيبة ، وانت ايضا لم يعد لك سواي . نحن يجب ان نعيش معا وان نظل معا مدى العمر .

ووجمت نجلاء .. ماذا يقول شفيق ؟ ماذا يعني كلامه ؟ .. كيف يريد ان يظل معها مدى العمر ؟ .. هل يفكر بالزواج منها ؟ .. ولكنها لا تحبه ؟ هي لاتريد ان تربط مصيرها بمصيره ، ولا تريد ان تمثل معه الدور الذي

قامت بتمثيله شقيقتها الراحلة البائسة .

سلمى سارت مع شفيق في طريق الدموع ، وهي لا تريد ان تسلك هـذا الطريق .

ومضى شفيق في الكلام ليقول : انا كنت احب سلمى حبا هائلا شديدا يا نجلاء ، وانت تعلمين ذلك ، ويبدو ان حبي لسلمى انتقل اليك ، فقد بت اشعر بحنين عميق ،وشوق مديد اليك ، لا اعلم ما هو نوع هذا الحنين ، ولا ما هو شكل ذلك الشوق يا نجلاء ، اتراني احبك ؟ .. لست ادري ، لست ادري ..

واشتد الوجوم بنجلاء وقد وقفت على نوايا شفيق وعلى مآربه .. واخذت ترتجف كأنها ورقة في مهب الرياح العاصفة العاتية الهوجاء . ورأت ان تضع حدا لمآرب شفيق وان تقطع عليه الطريق فهمست بعد صمت قصير : شفيق ، طريقك هو غير طريقي ، انا لن اسير في الطريق الوعرالبعيد الشاق الذي سارت فيه اختي سلمى ، لقد اتخذت قرارا يا شفيق بالابتعاد عنك ، انا لن اقيم معك في هذه الدار طويلا . اما ان ترحل انت عنها ، واما ان ارحل انا .

فوجم شفيق ونجلاء تعلن له قرارها الحازم.ودهش .. يا لها من مجنونة بلهاء ، أيخيل اليها انها تستطيع ان تتخذ القرارات ، وان تنفذها دون ان يكون له رأي في اتخاذ

القرار وفي تنفيذه ؟ انها لمجنونة ان تكن تفكر بهذا ..

وساد الصمت برهة بينهما ..

واستأنف شفيق الكلام بعد صمت قصير ليقول بكل مكر وخبث ودهاء : انا احترم كل مقرراتك يا نجلاء . لك ان تقرري وعلي ان انفذ . امر ؟ ماذا تريدين ؟ هل تريدين ان ارحل انا عن هذه الدار وادعك تعيشين وحدك فيها ؟.. سأرحل اذا شئت .. هل تريدين ان ترحلي انت ؟ .. مع الف سلامة .

فدهشت نجلاء وهي تسمع كلام شفيق .. هي لم تكن لتنتظر من شفيق مثل هذا الجواب ، ولم تكن تعلم ان شفيقا يحمل في حنايا صدره مثل هذا القلب الطاهر الشريف النبيل. لقد خيل اليها ان شفيقا سيمنعها من تنفيذ الخطة التي رسمتها ، وسيحول بينها وبين الحرية التي تتمناها وتنشدها.

لقد اساءت الظن به ، مسكين صهرها شفيق فهو نبيل شهم شريف .. وعادت نجلاء الى الكلام لتقول : الحقيقة يا شفيق هي انني اريد ان اعمل . اريد ان اكسب خبزي بعرق جبيني ، لا اريد ان اكون عالة على احد .

فامسك شفيق بيدها الباردة على جوى ونار ليقول : ايخيل اليك يا نجلاء انني اتبرم بك، وانني سأحجم يوما عن الانفاق عليك ؟ .. مجنونة .. لا تعلمين كم يحبك شفيق ،

وكم يحن اليك وكم يعطف عليك ، لو تعلمين هذا لما كنت تنطقين بمثل هذا الكلام . انا يا نجلاء على استعداد لان ابذل من اجلك مالي وراحتي وسعادتي وقلبي .

وعاد القلق يستبد بقلب نجلاء وهي تسمع كلام شفيق المفعم بالعاطفة والحنان . هي تخشى تلك العاطفة ، تخاف ان تتحول عاطفة شفيق الى نار لاهبة محرقة فتحرقها وتذريها رمادا في الفضاء .. وهمست : شفيق .. لقد عزمت على ان اعمل ، اريد ان اكسب خبزي بعرق جبيني كما قلت لك .

قال وهو لا يزال يمسك بيدها : وماذا ستعملين يا نجلاء ؟ ماذا ستشتغلين ؟

قالت وهي تسحب يدها من يده : سأبحث عن عمل ، عن اي عمل ، واعمل كما كانت تعمل اختي سلمى واحصل على لقمة الخبز بشرف واباء .

فابتسم شفيق وقال : اذا كنت تصرين على العمل فدعيني ابحث لك انا عن عمل . اطمئني يا نجلاء . صهرك لن يتخلى عنك يا حبيبتي ، سيظل قربك ، يرعاك ويحنو عليك ويسدد خطواتك في طريق الفوز والنجاح ..

قالت : شكرا لك يا شفيق .. شكرا .

وعاد شفيق الى الاقتراب منها ، فالجو ملائم الان

لألقاء الشرك ؛ يجب ان ينال منها كل ما يريد ، فهماوحدهما الان في الغرفة ، والفجر أشرف على البزوغ •• والجيـــران نيام ، والهدوء يشمل ذلك الشارع الطويل الفسيح الارجاء، ونجلاء بدأت تركن وتطمئن اليه ولقد اوهمها بأنه يحبها وبأنه يعطف عليها وانه سيمهد امامها طريق المستقبل الزاهـــر الجميل •• لقد مهد السبيل للوصول اليها وعليـــه الان ان يصـــل ••

وشاهدت نجلاء وميض الفسق والرذيلة والفجور يلمع في عينيه ، فتحول الوجوم في قلبها الى ذعر، وحاولت الابتعاد عنه ، الا ان شفيقا حال بينها وبين الابتعاد ، فوثب اليهـــا يطوقها بذراعيه ، وقد خيل اليه انها ستلقي بنفسها علـــى صدره ، الا انه كان على خطأ ، فالثمرة لم تكن قد نضجت، كما خيل اليه، ونجلاء لم تندفع اليه ، بل هي حاولت التملص من بين ذراعيه ، والخوف يستبد بهـــا والذعـــر يطـــل من عينيها ••

فقال وهو يشدها الى صدره بقوة وجنون : نجلاء •• انا احبك يا نجلاء ، احبك واتفانى في حبك ، انني علـــى استعداد للتضحية بقلبي وبروحي ، وبحياتي من اجلك •

وعادت نجلاء الى محاولة الافلات من بين يديه ••• وتمتمت بخوف وذعر وارتجاف : ابتعد •• ابتعد عني ••

ابتعد ، الا ان شفيقا لم يبتعد ، بل هو اطبق عليها محاولا تقبيلها ، واشتد الذعر بالفتاة ، وعزمت على الدفاع عن نفسها دفاع المستميت ، هي لن تستسلم ، لن تلقي سلاحها ، لن ترفع الراية البيضاء . لا ، لن ينال شفيق منها مأربه الدنيء الا وقد اصبحت جثة هامدة .

واستبسلت نجلاء في الدفاع .وحاولت الوثوب من السرير الا انها عجزت ، وراحت تضرب صدر شفيق بقبضتها ، ثم انهالت عليه بالصفع ..

وادرك شفيق انه حاول قطف الثمرة قبل نضوجها ،وانه استعجل تنفيذ الخطة المرسومة ، كان عليه ان يتريث ريثما تنضج الثمرة اليانعة ، ويحين موعد القطاف .. اما الان وقد سار الخطوة الاولى في طريق التنفيذ ، فماذا عليه ان يفعل ؟.. هل يمضي في المسير ، ويسير الخطوات التالية ؟ ام يتوقف عن المسير عند هذا الحد ؟ .. وكان عليه ان يجيب على السؤال بسرعة ، كان عليه ان يحدد موقفه بعجل ، وراح يفكر بسرعة وهو ممسك بذراعي نجلاء ، ونجلاء تنهال عليه بالصفع واللطم محاولة الافلات من بين يديه .

واخيرا لجأت نجلاء الى الصراخ والى الاستنجاد : الي

•• اسرعوا الي ايها الجيران •• اسرعوا الي ، الذئب يكاد يفتك بي ، يكاد يفترسني •

وذعر شفيق وهو يسمع نداء نجلاء واستنجادهـــا ! ، وخشي ان يصل صوتها الى الجيران فيسرعوا وتكـــون الفضيحة •• وابتعد شفيق عنها قليلا والغضب يستبد بـه والثورة الجامحة تعصف بين حناياه ، لقد فشلت خطته ، لم يكتب لها النجاح ، هذه هي المرة الاولى التـــي يعرف فيها شفيق الفشل مع امرأة ، الويل ثم الويل لنجلاء من غضب شفيق ، ومن ثورته ، ومن انتقامه الرهيب المخيف •

ووثبت نجلاء من السرير وقد ابتعد عنها شفيـــق • وصرخت به : اخرج من غرفتي ايها الذئب •• اخرج مـــن غرفتي ، اخرج •• اخرج •• اخرج •

ودون ان ينبس شفيق بحرف واحد خرج من الغرفة والغضب يهزه هزا •• ولم يدخل شفيق الى غرفته ، بل هو اتجه الى ابواب ونوافذ الدار يوصدها كلها •

نجلاء لن تخرج من هذه الدار بعد اليوم ، لن تطـأ قدماها عتبة تلك الدار الا وقد نال منها كل ما يبتغي ويريد هو لن يستطيع ترويضها ، لن يستطيع ارغامها على تنفيـــذ اوامره ، لن يستطيع ان يرغمها على العمل معه في العصابة ، الا وقد حطم كبرياءها واذلها ، وتنشق شذاها ، وألقى بها

في الوحول زهرة ذابلة ، لا عطر فيها ولا شذا ولا عبير .

واطمأن شفيق بعض الاطمئنان وقد اقفل النوافذ واوصد الابواب واخفى المفاتيح .. ودخل الى غرفته ليداوي الخدوش التي اصابته من اظافر نجلاء ، ثم يستلقي في سريره ، فيشعل لفافة وينصرف الى التفكير ..

وطال تفكيره .. وراح يرسم في رأسه خطة جديدة ، بعد ان باءت خطته السابقة بالفشل الذريع .. وانتهى من رسم الخطة الجديدة ، وخيوط الفجر البعيد تتسلل من بين ثنايا دفتي النافذة الى الغرفة .. واطمأن شفيق وقد انتهى من رسم الخطة ، والخطة تلك مضمونة النجاح .. هو سيخدر نجلاء ، سيدس لها المخدر في الطعام ، وعندما يفعل المخدر فعله في رأسها وتفقد رشدها ، ينال منها كل ما يريد دون ان يلقى منها اي مقاومة .. هذه فتاة متمردة شرسة ، جموح ، وعليه ان يروضها ، وان يحطمها ، وان يذلها ، لتصبح آلة مطيعة بين يديه.. وألقى شفيق باللفافة المحتضرة من يده وقد بدأ النعاس يداعب اجفانه واستغرق في نوم هادىء عميق ..

ولم يستيقظ شفيق صباح اليوم التالي الا على صوت نجلاء تناديه وتصرخ به : اين مفتاح الدار ؟ شفيق ،انهض افتح لي الباب .. اريد ان اخرج .

واستيقظ شفيق ، واستوى في سريره يفرك عينيه

والنعاس يستبد به •• ورفع يده الى جبهته هامسا : اوه رأسي يؤلمني •• لا اعلم ما بي ، لا اعلم ما بي يا نجلاء •

وتمتمت نجلاء : اعطني مفتاح الدار •• اريد ان اخرج اريد ان اخرج •

قال : مهلا ، ارجوك ان تهيئي لي فنجان قهوة •• آخ •• آخ يا راسي •• آخ •

وصمتت نجلاء ووقفت حيرى لا تعلم مـاذا عليها ان تفعل ؟ هل تستجيب لطلب شفيق ؟ هل تهيء له القهوة ، ام تصر على الخروج من الدار ؟ هي تريد ان تخرج من تلـك الدار لتبحث عن عمل يقيها الفاقة والفقـر والجوع ويكفيها «شره» الخطر الداهم الشديد ••

ولكن ، هل يجوز لها ان تتخلى عنه وهـو مريض ، والصداع يؤلمه ، والحمى تنتابه ؟ لا ، عاطفة الرحمة تهيـب بها الى نجدته ، ستهيء له فنجان القهوة ، ثم تخرج مـن الدار لتبحث عن عمل يقيها الفاقة والفقر واجوع ويكفيهـا شر « صهرها العزيز » ••

ودون ان تنبس بحرف اتجهت نجلاء الى المطبخ لتهيء فنجاني قهوة ، فنجانا لها ، وفنجانا لصهرها ، فهي لم تتناول قهوة الصباح بعد • ستشرب القهوة وتخرج من الدار •

وهيأت القهوة •• وحملت الفنجانين الى غرفة شفيق وقدمت له فنجانا •• وهمت بالخروج بالفنجان الاخر مـن

الغرفة ، الا ان شفيقا التفت اليها ليقول : نجلاء •• اجلسي اجلسي هنا ، على هذا المقعد ، اريد ان اتحدث اليك قليلا •

وابت نجلاء ان تجلس ، وظلت واقفة •• وتمتمت : قل ماذا تريد ؟

قال : اجلسي •• ارجوك ان تجلسي قليلا •

وجلست •• جلست على مقعد بعيد عن سريره • ووضعت فنجان القهوة من يدها على المنضدة وهمست قل •• ماذا تريد ؟

قال : نجلاء •• ارجو ان تنسي ما بدر مني حيالك ليلة امس •••

قالت : نسيت •• وكل ما اطلبه منك هو ان تبتعد عني ، اريد ان اعيش وحيدة ، لا اريد ان اعيش مع احد •

قال : سيكون لك ما تريدين ، انا سأبتعد عنك ، وسأحمل معي حبك حتى القبر •

قالت : انا لا اعرف الحب ، ولا اريد ان اتعرف اليه ارجوك يا شفيق وألح في الرجاء ان تتركني وشأني ، لقد جنيت على اختي سلمى ، وكانت سلمى ضحيتك ، وانا لااريد ان اكون ضحيتك مثل سلمى •

فتظاهر « التمساح » بالبكاء ، ومسح دمعة مزيفة ترقرقت في مقلتيه وهمس : انت تظلمينني يا نجلاء ، انا لم اجن على سلمى ، انت تعلمين انني كنت احب سلمى ،وكنت

اتفاني في حبها ، الا ان الاقدار سلبتني اياها ، وسأظـل اعيش بذكراها حتى الموت ••

قالت : ما لنا ولهذا الحديث الان ، ارجوك ان تفتح الباب • اريد ان اخرج •

قال : أيخيل اليك انني اوصد الابواب في وجهك ؟ لا يا نجلاء ، لا ، انا لن اقف في سبيلك ، لن احول دون ابتعادك بالرغم من ان هذا الابتعاد يؤلمني ويقـضّ مضجعي •

واذا به يتظاهر بالتعب فجأة ، واتتابته نوبة سعـال مزيفة • والتفت الى نجلاء ليقول وقد انتهت نوبة السعال : ارجوك ان تحضري لي كأس ماء •

فنهضت نجلاء وخرجت من الغرفة الى المطبخ تـاركة فنجان القهوة على المنضدة •• واذا بشفيق يثب من السرير فجأة ، ويسرع الى درج خزانته ليخرج منه علبة صغيرة•• وفتح العلبة وتناول منها قليلا من رشاش ابيض ألقى به في فنجان نجلاء ، ثم اسرع بالعودة الى السرير ••

وعادت نجلاء بعد قليل حاملة له كأس ماء •• وتناول الكأس من يدها وعينه على فنجان القهوة • ترى هـل تشرب نجلاء ما في الفنجان من قهوة ممزوجة بالمخدر ؟

وهمس وهو يتناول الكأس من يد نجلاء : سلمـت يداك يا نجلاء•••وجرع كأس الماء وعينه لا تنفك تلتهـم الفنجان •• وجلست نجلاء على المقعد •• وتناولت فنجان القهوة ترشفه على مهل ••

وراح شفيق يتحدث اليها بلطف وحنان ، ويطلب اليها ان تسامحه على ما بدر منه حيالها ليلة امس •• ولم تأبـه نجلاء لحديثه.كانت تعلم انه كاذب ، وانه منافق وانه محتال كان همها ان تنتهي من رشف القهوة وان تتناول مفتـــاح الباب من شفيق وتخرج من تلك الدار •

وانتهت نجلاء من رشف القهوة •• وشعرت بالنعاس يداعب اجفانها •• وسرت رعشة غريبة في دمها لـم تعهدها من قبل ••

وهمّت بالوقوف ، الا انها شعرت بعياء شديـد •• وجاهدت النفس في الوقوف •• واستطاعت ان تقف بعد جهد كبير ••

وراح شفيق يراقبها باهتمام كلي •• وسارت بعنـاء وعياء ، واطمأن شفيق ، وطفت على شفتيه ابتسامة هـدوء واطمئنان وهو يشاهدها تتهادى في سيرها •• الحمد لله ، يبدو ان المخدر القوي سرى في دمها ••

واتجهت نجلاء الى غرفتها لترتمي على سريرها وتغيب في عالم سحيق بعيد مجهول القرار •

٢٩ الذئب في الفخ

رئيس فرقة مكافحة المخدرات في بيروت جالس في مكتبه مع مندوب منظمة البوليس الدولي المفتش « تجوي ستراك » يتباحثان في امر شديد الخطورة .. واقفل الرئيس باب مكتبه ، وطلب من الحاجب الاّ يسمح لاحد بالدخول عليه ، ريثما تنتهي زيارة المفتش الدولي ..

ومضى رئيس الفرقة والمفتش في حديثهما وهما يرشفان القهوة ويدخنان ، وقال المفتش : انا يا سيدي الرئيس لبناني الاصل ، ووالدي من لبنان ، الا انني ولدت في الديار الاميركية ، وانخرطت في سلك الشرطة ، ثم انتدبتني الحكومة الاميركية لأمثلها في منظمة البوليس الدولي ..

انني اطارد الان عصابة خطرة تقوم بتهريب المخدرات بين الدول العربية وتركيا واليونان وايطاليا وفرنسا .

طاردت احد افراد هذه العصابة « بول فاريم » من فرنسا الى ايطاليا ، الى تركيا •• وفي كل بلد كنت اجد من رجال الشرطة كل مساعدة • وفي انقره هاجمت مع احــد رجال الشرطة الاتراك « بول فاريم » في المطار •• واشتبكنا معه في معركة بالرصاص ، فقتلت شريكته او عشيقته لســت ادري ، واعتقلنا بول ناريم بعد ان اصبناه برصاصات عدّة ادت الى بتر يده •• تبين لنا ان الفتاة القتيل تدعى الانسة سلمى الترك ، وكانت تحمل علبة حلوى فيها كمية كبيــرة من الكوكايين •• الانسة سلمى الترك لبنانية •• هي من لبنان •• اثناء التحقيق مع بول فاريم اعترف باسماء شركائه وعملائه ، وبين هذه الاسماء اسم شفيق وهبي من لبنان •

ونفث المفتش الاميركي دخان لفافته،ورشف قهوتـــه وقال : اظنــك الان علمت لمــاذا انا فــي لبنان يا سيدي الرئيس ••

فابتسم رئيس فرقة المخــدرات •• ودون ان ينبس بحرف ، فتح احد ادراج مكتبه وتناول منه ملفا كبيرا فتحه واخرج منه اوراقا وراح يقرأ بعض ما فيها على مســمــع المفتش الاميركي :

شفيق وهبي كان موظفا في شركة الاستيراد والتصدير الا انه طرد لسوء اخلاقه ••

اعتقل بتهمة التغرير بفتاة اسمها سلمى الترك وبالاعتداء عليها • ثم افرج عنه وتزوج منها •• و ••

فقطع المفتش الأميركي على رئيس المكافحة الكلام. وقال : اذن سلمى الترك هي زوجة شفيق وهبي ؟

فأشار الرئيس برأسه بالايجاب.وتابع القراءة

هو الان موظف في شركة الاعمال المصرفية •

يقيم في محلة المزرعة في منزل زوجته سلمى واختها نجلاء • له علاقة مع بعض اصحاب السوابق في تهريب المخدرات • فرضت عليه الرقابة الشديدة منذ ثلاثة اشهر • أتصالاته وتصرفاته تشير الى انه على صلة بالمهربين ••

الرقابة عليه مستمرة ••

نصبنا له كمينا ، وينتظر ان يقع في الفخخلال يومين• ثم تناول الرئيس بعض الصور •• وبعض الاوراق ،وعرضها على المفتش تجوي سيتراك ليقرأ ما جاء في الاوراق : اوصافه : قصير القامة ، نحيل الجسم ، اسمر اللون ،علامة فارقة فوق حاجبه الايسر ، اسود الشعر •• اسود العينين ، يملك سيارة صغيرة من طراز عام ١٩٤٥ •

فابتسم المفتش تجوي وقد وقف على هذه المعلومات وقال : هذه المعلومات المتوفرة لديكم ، سهلت مهمتي ، وستساعدني على القيام بالمهمة المنتدب لها بسرعة وسهولة •

قال رئيس الفرقة : نحن نراقب هذا الشاب منذ امد بعيد ، الا انه لم يكن باستطاعتنا اعتقاله وليس هناك مـا يدينه •• اما الان وقد حملت الينا نبأ ورود اسمه اثنـــاء التحقيق مع بول فاريم في انقره ، فقد اصبح باستطاعتنـا اعتقاله والتحقيق معه • سأتصل بالنيابة العامة فورا ، واطلع حضرة النائب العام على كل شيء ، واطلب اليه ان يسمح لنا باعتقال شفيق وهبي •

واتصل رئيس فرقة مكافحة المخدرات بالنائب العــام ، وروى له كل ما حمل له المفتش تجوي من اخبار واسرار وقال : ارجو ان يسمح لنا حضرة النائب العام باعتقال شفيق وهبي وبالتحقيق معه •

قال النائب العام : اعتقلوه ••

ودعـا رئيس الفرقـة اثنين من رجالـه وقـال لهـما: ستسيران برفقتي الى محطة المزرعة ، هناك مهرب كبير نريد اعتقـاله ••

قال المفتش تجوي لرئيس الفرقة:هل تسمحوا لـــي بمرافقتكم يا سيدي ؟

قال رئيس الفرقة : اهلا وسهلا بك.تفضل معنـا اذا شئت•• وكانت الساعة تشير الى السابعة من الصباح عندما

تحركت سيارة الجيب من امام مديرية الشرطة ، وفيها اربعة رجال هم : رئيس فرقة المخدرات ، واثنان من رجاله ، والمفتش تجوي سيتراك •• واتجهت السيارة بهم الى محلة المزرعة •• وتوقفت سيارة الجيب في اخر الشارع ، بعيدا عن دار شفيق •• وترجل الاربعة منها وساروا نحو الدار •• وشاهدوا سيارة شفيق الصغيرة العجوز جاثمة امام الدار ، فلمعت الابتسامة على شفتي رئيس الفرقة وقال : هو ما زال في الدار ، سيارته هنا •

واحاط المفتشان اللبنانيان بالدار ، وتقدم رئيس الفرقة من الباب يطرقه ، ووقف المفتش تجوي قربه ويده على مسدسه •• ولم يلقوا اي جواب •

واعاد الرئيس الطرق على الباب ، الا ان الباب لم يفتح ••

قال المفتش تجوي : يبدو انه ليس هنا ••

قال المفوض : لا •• انه هنا ، ولكن يبدو انه يقظ ، وانه شاهدنا ونحن نصعد السلالم •

قال المفوض رئيس الفرقة هذا واعاد الطرق على الباب بقوة وشدة •• ولم يرتفع من الدار صوت •• وصرخ المفوض : افتحوا الباب باسم القانون •

ولم يفتح الباب •• فما كان من المفوض الا انه صـــدم الباب صدمة قوية •• وفتح الباب على مصراعيه •• ودخل المفوض الى الدار ، ولحق به المفتش الاميركي وأيـديهمـــا على مسدسيهما ••

واذا بالرصاص ينهال عليهما •••وتراجعا الـــى الوراء وراحا يطلقان الرصاص ، وبدأت المعركة رهيبة ، كان شفيق واقفا في احدى زوايا الدار مرتديا ثياب النوم وهـــو يطلق الرصاص على المفوض والمفتش والذعر يطل من عينيه •

وتبادل المفوض والمفتش نظرات سريعة ، فهم كل منهما معناها •• فاتجه المفتش الى اليسار ، واتجه المفوض الـــى اليمين ، وبذلك حاصرا شفيقا •• ولم يرتد شفيق ، ولـــم ينقطع عن اطلاق الرصاص ، بل هو استبسل فـــي الدفاع عن نفسه ، وقد ادرك ان وقوعه في الفخ ، معناه القضـــاء عليه قضاء مبرما • وخيل اليه انه يستطيع الهرب •• وتراجع الى الوراء واتجه نحو الباب وهو لا ينفك يطلق الرصاص من مسدسين في يديه •

واسرع المفتشان المرابضان امام الدار لنجدة رئيسهما وقد سمعا ازيز الرصاص •• واشتد ازيز الرصاص ،وانهال على شفيق من كل صوب ، واذا بشفيق يصاب برصاصة في

عينه ، وبرصاصات عدّة في يده اليسرى ، فيقع على الارض مضرجا بدمه ••

وتنفس المفوض والمفتشون الثلاثة الصعداء •• وامر المفوض المفتشين بنقل شفيق الى المستشفى فورا ••وانصرف مع المفتش تجوي الى تفتيش الدار •• وفتشا اولا غرفة شفيق ، فعثرا فيها على كمية من الرصاص وعلى مسدسات، وعلى عدد من الرسائل التي كان شفيق يتبادلها مع عملائه المهربين •• وانتقلا الى الغرفة الثانية من الدار •• ووقفا على دهشة وهما يشاهدان فتاة رائعة الجمال ملقاة على السرير وهي مستغرقة في نوم عميق ••

قال المفتش تجوي:ألم تسمع هذه الفتاة دوي الرصاص ؟ الم تستفق على الدوي ؟

وتقدم المفوض منها يهزها ، الا انها لم تستفق ••• والتفت الى المفتش ليقول : الفتاة فاقدة الرشد ، وهي مخدرة •• يجب نقلها فورا الى المستشفى •

وراح المفتش تجوي يفتش تلك الغرفة ، غرفة الفتاة •• ووقف على وجوم امام صورة كبيرة معلقة في الحائط •• واخذ يرتجف •• كانت الصورة تمثل صورة رجل في زهاء الستين من العمر ••

ولاحظ المفوض اضطراب تجوي ، فاقترب منه ليقول : ما بك ايها المفتش تجوي ؟

واخرج المفتش تجوي صورة صغيرة من جيبه ودفع بها الى المفوض ليقول : انظر هذه الصورة الصغيرة ، انها صورة والدي. ألا يلوح لك أنها الصورة الكبيرة ذاتها المعلقة في هذا الحائط؟

قال المفوض : صاحب هـذه الصورة شديـد الشبه بصاحب تلـك ..

قال المفتش : يخيَّـل اي يا سيدي المفوض ان هـذه الصورة الكبيرة هي صورة عمي ، عمي حبيب الترك ، انـا ابن عبد الله الترك ، انني من لبنان كما قلت لك ، لقـد هاجر والدي الى الولايات المتحدة الاميركية منـذ سنوات بعيدة وتغير اسم اسرتنا من الترك الى سيتراك كان والدي دائما يحدثني عن اخيه حبيب ، وكان يقول لي ان اسرتنـا تقيم في طرابلس ، وكنت انوي ان ازور طرابلس بعـد ان انهي مهمتي هنا للبحث عن عمي حبيب وعن اسرته .

وتوقف المفتش عن الكلام قليلا ليهمس : صحيح .. الفتاة التي صرعت في مطار انقره كان اسمها سلمى الترك

ابنة عمي ؟•• وهذه الفتاة ؟ مـن هي ؟ آتكون شقيقتها •• ترى هل كانت ابنة عمي سلمى مهربة ؟ وهل شقيقتها هذه مهربـة ايضا ؟

وظهر الألم واضحا في عيني المفتش تجوي وقد وصل بكلامه الى هذا الحد •• وتقدم المفوض منه يمسك بيده ويقول : سنجلو جميع الاسرار فيما بعد ، اما الان فعلينـا ان نعمل على انقاذ هذه الفتاة ••

واذا بالفتاة تفتح عينيها على مهل وتهمس بعناء وعياء : ايـن انـا ؟

ووثب تجوي اليها يمسك بذراعيها ويصرخ بها : مـن انـتِ ؟ من انتِ ؟ ما اسمك ؟

ونظرت الفتاة الى المفتش نظرة عميقة حيرى ،وهمست: من انـت ؟

وتقدم المفوض منها ليقول : نحن من رجال الشرطة • قولي لنا من انت ؟ وماذا تفعلين هنا ؟

وهمست بذعر : من ؟ رجال الشرطة ؟..واستوت فـي السرير • ومدت يدها الى جبينها هامسة : آخ •• رأسي •• رأسي ، الصداع يؤلمني •

وراح تجوي يشد ذراعها ويصرخ بها : من انت ؟ من انت ؟ ..

قالت : انا نجلاء ، نجلاء الترك .

قال تجوي بذعر ووجل : وابوك ؟ ما اسم ابيك ؟

قالت : اسمه حبيب .. حبيب الترك .

وخارت قوى المفتش تجوي وقد ايقن ان الفتاة هي ابنة عمه ، وهمس والدموع تجول في عينيه : ابنة عمي ؟ ابنة عمي مجرمة ؟ .. مهربة.يا لتعاستي ويا لشقائي..وتراجع الى الوراء ليقول للمفوض : سيدي المفوض هذه الفتاة مجرمة ، ويجب اعتقالها .

واعتقلت نجلاء .. واجريت الاسعافات السريعة لشفيق في المستشفى ، واستؤصلت عينه اليسرى وقطعت يده .. وبدأ التحقيق معه وقد تماثل للشفاء ، وكان لا بد لشفيق من الاعتراف بعد ان اكتشفت جرائمه ، واعترف باعتدائه على سلمى وبتحريضها على الاختلاس ، وبدفعها الى السفر الى تركيا وهي تحمل المخدرات دون ان تعلم ماذا تحمل . .واعترف بتهريب المخدرات ، وباعتدائه على بعض الفتيات والنساء والتغرير بهن ، واعترف بتخدير

نجلاء وبمحاولته الاعتداء عليها.وقال : كنت انوي الاعتداء على نجلاء لأذلها واجعلها آلة طيعة في يدي ، الا ان رئيس فرقة مكافحة المخدرات ورجاله ، دهموا الدار قبـل ان اتمكن من الاعتداء عليها بثوان قليلة •

واطمأن المفتش تجوي سيتراك ، او بالاحرى تجـوي الترك ، وقد علم ان ابنة عمه سلمى كانت فتاة طاهـــرة مظلومة ، وان اختها نجلاء شريفة بريئة •

واطلق سراح نجلاء وخرجت من السجن لتجد المفتش تجوي في انتظارها امام باب السجن •• ووجمت نجـــلاء وتمتمت: ماذا تريد مني؟..

وفتح لها ذراعيه.وهمس : نجلاء انا ابن عمك ، جئت لمطاردة المهربين ، فاذا بي اعثر عليك وانت في اشد الحاجة الى معونتي ، فكأن الله ارسلني لأنقاذك يا ابنة عمي ••

ووجمت نجلاء •• ماذا يقول هذا الشاب ؟ اتراه يضحك منها ، اتراه يهزأ بها ؟.واقترب منها يعانقها والدموع ، دموع الفرح تترقرق في عينيه •

وابى تجوي ان يبتعد عن ابنة عمه نجلاء ، وشعـر بحنين عميق إليها ، لن يدعها تعيش وحدها بعد اليوم ، لا،

تجوي سيتزوج من نجلاء ويسافر واياها الى الولايـــات المتحدة الاميركية .

وما نزل في قلب تجوي من عاطفة وحب وحنين ،نزل في قلب نجلاء .. لقد شعرت نجلاء بعاطفة جامحة تجتــاح قلبها الندي النبيل ، وادركت انها تحب ابن عمها .. هــي تحب تجوي . ولكن . ولكن هل يحق لها ان تفكر بحبه ، وهي التي عاشت في ذلك الوسط الدنس الموبوء؟ لا ، لا ، لا ، ليس لها ان تفكر بذلك . ليس لها ان تفكر بذلــك . ليس لها ان تتطلع الى فوق ، وهي تحت ، فـــي الوادي السحيق البعيد القرار .

وبدأ الحزن يموج في عيني نجلاء ، وبدأ الالم يعصر قلبها ، يجب ان تهرب من تجوي وان تبتعد عنه ، وفــي ابتعادها عنه صون لكرامته .. يجب ان تبتعد عنه ، هي لن تربط ماضيها القذر بمستقبله الناصع البياض .

وذات ليلة جلس تجوي قرب ابنة عمه نجلاء علـــى شرفة دارها في محلة المزرعة ليقول : نجلاء .. يجـب ان اعود الى مقر عملي في الاسبوع القادم . وانا لـــن اعود وحدي . ستكونين رفيقتي يا حبيبتي ، انا احبك يا نجلاء .

لقد احببتك منذ النظرة الاولى ، سنتزوج هنا في لبنـــان الحبيب ، ونسافر الى الولايات المتحدة الاميركية حيــث انهي جميع اعمالي وابيع املاكي ونعود معا الى لبنان . انا لم اعلم ان بلادي على هذه الدرجة من الرقي والتمــدن والجمال ، لقد احببت لبنان ، كما احببتك انت يا نجلاء ، هنا ، في هذا الوطن الحبيب سنعيش معا مدى الحياة .

وترقرقت دمعة حرى في عيني نجلاء.وهمست : ان شاء الله . وتعانقا على هوى وحب وشوق وحنيــن. وخرج تجوي من دار ابنة عمه ليعود الى الفندق الـــذي ينزل فيه. . ودخلت نجلاء إلى غرفتها، لا لتنام بل لتستلقي على سريرها وتسبح في يم من الأفكار.

وفي صباح اليوم التالي عاد تجوي الى دار نجلاء .. وطرق الباب الا انه لم يلق اي جواب .. واذا بامرأة تفتح باب دارها المجاورة لدار نجلاء وتقول له : هل انت المفتش تجوي ؟

قال : اجــل .

قالت : الانسة نجلاء رحلت عن هذه الدار ، وتركت لك هــذه الرسالــة.

وتسلّم الرسالة. وفضها على عجل ليقرأ: «حبيبي تجوي!.. أنا لا أليق بك، ولا أريد أن أشوه اسمك باسمي.. لا تبحث عني لأنك لن تجدني، أذكرني يا تجوي، وثق أنني سأذكرك مدى الحياة، أقبلك بشوق، واسلم لابنة عمك نجلاء..».

وشعر تجوي بالوهن ، واخذ يرتجف كأنه ورقة في مهب الرياح وقد وقف على مضمون الرسالة •• وحمل تلك الرسالة وهرول مسرعا الى صديقه رئيس فرقة مكافحة المخدرات ليقول : خذ اقرأ يا سيدي المفوض.لقد ضاعت نجلاء من يدي.ارجوك ارجوك يا سيدي ان تساعدني على اعادتها الي ••

فابتسم المفوض وهمس : اتريدني ان ابحث لك عن حبيبتك ام ان ابحث عن المهربين ؟

قال : ارجوك ان تساعدني يا سيدي المفوض ، ارجوك ... قال المفوض : اطمئن •• حبيبتك ستعود اليك ، نحن سنتولى البحث عنها ••

وتولى المفوض البحث عن نجلاء •• وبعدبحث طويل اهتدى اليها ، لقد وجدها في دار ارملة انيس بك مدير شركة الاستيراد والتصدير السابق •• كانت نجلاء قد

لجأت الى دار ارملة المدير طالبة اليها ان تقبلها خادمة عندها. كانت تريد ان تهرب من تجوي ، تريد ان تختفي في مكان امين ريثما يسافر تجوي ، الا ان امنيتها لم تتحقق .. فقد اطل عليها ذات صباح مفوض فرقة مكافحة المخدرات ممسكا بيد ابن عمها تجوي هامسا في اذنها : نجلاء .. يجب ان تعودي الى ابن عمك .

ووثب تجوي اليها يعانقها ويمسك بيدها ويسرع الى عقد زفافه عليها ..

وسافر العروسان السعيدان الى الولايات المتحدة الاميركية حيث انهى تجوي اعماله هناك ، ورفع استقالته من منظمة البوليس .. ثم عاد مع عروسه الى لبنان ليعيشا في الوطن الحبيب الجميل .

ومثل شفيق وهبي امام القضاء .. وقضت محكمة الجنايات بسجنه خمس سنوات ، وانقضت السنوات الخمس كما تنقضي جميع السنون ، وخرج شفيق من السجن بلا عين وبلا يد ، وبلا مال . واصبح شفيق متسولا فقيرا ..
إنه لعقاب هائل مروّع أشد وأدهى من عقاب السجن.

وكثيرا ما يكون عقاب الله للانسان اشد واقوى من الموت . ماتت سلمى الترك فارتاحت من عذابها على هذه

الارض الفانية .. لقد رحمها الله واشفق عليها فأراحها من هذه الحياة المثقلة بالعذاب والالام والدموع ..

اما شفيق فلم يمت ، انه يعيش في عذابه ودموعه وآلامه ..

وهناك. . . في شوارع بيروت الفسيحة الرحيبة، راح متسوّل رث الثياب، مقطوع اليد، أعور، يطوف شوارع العاصمة اللبنانية، وهو يمدّ يده السليمة إلى المارة هامساً بذل وانكسار: «حسنة عنكم لله. . .».

إنه المجرم الخطر العريق. . شفيق وهبي.

تمت

مؤلفات الأستاذ بيار روفايل
القصص العاطفية

الأرض العذراء
الأمل الصريع
انا خاطئة
بين نارين
حسناء بغداد
خبز ودمع
خذ قلبي ودعني
دموع الأرز ١/٢
دموع العذارى
دموع لا تجف
زنبقة في الوحول
ماذا فعلت بقلبي
معقل النسور ١/٢
ملائكة في الجحيم
من أجل عينيك
سرّ الراهبة
صرخة الاستقلال
صقر الصحراء
ضاع عمري
طريق الدموع
ظلمني يا قلب
غادة دمشق
في مهبّ الرياح
القلب الأخضر
لا تلمني
لحن الغروب
لن يعود
نار في الجنوب
هل تذكرين
وحدي مع الليل